غير مخصص للبيع

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد 245 ـ ذو القعدة 1417 هـ ـ مارس/ أبريل 1997 م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE 245 - MAR-APR 1997

التسامح والمساواة بين الثقافات

تنمية الشخصية: شروط ومبادئ

المصطلح في الحوار القصصي

الشرق في حياة أجاثا كريستي

الشعب المرجانية في البحر الأحمر

مصحف شريف

كُتب على ورق أوربي سميك، تبدو فيه الخطوط المتوازية والعلامات المائية، بخط نسخي مشكول متقن، في القرن الحادي عشر الهجري. صفحاته كلها مجدولة بالألوان وبماء الذهب. أما الصفحات الثلاث الأولى منه، فقد كُتب النص بالحبر الأسود وسط سحائب مذهبة، وتحيط به جداول عريضة وبداخلها رسوم نباتية ووردية ملونة ومذهبة على أرضية مذهبة وملونة، وفي أعلى النص كُتب اسم السورة بالحبر الأبيض أو الفضي وسط مستطيل عريض أرضيته مذهبة وملونة، وتحيط به جداول ملونة ومذهبة.

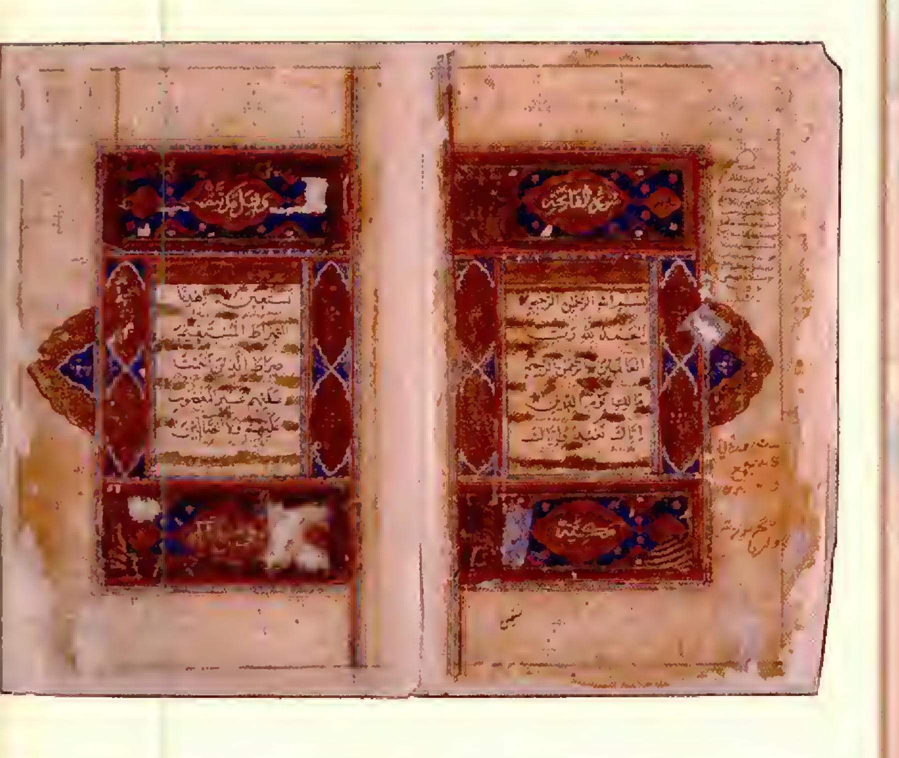
استخدم الناسخ الحبر الأسود في كتابة الآيات القرآنية والحواشي، والحبر الأحمر في كتابة الترجمة الفارسية بخط التعليق بين السطور، وكُتبت أسماء السور بحبر أبيض على ورق مذهب، وأحيطت أسماء السور بإطار مزدوج ملون بالأزرق والأسود بداخله ورود صغيرة بيضاء، أما الفواصل بين الآيات، فقد رُسمت على هيئة وردة صغيرة ملونة ومذهبة.

عليه حواش وتعليقات وضعت وسط أشكال هندسية مجدولة بماء الذهب. بأوله تملك. أما الجلد فهو أحمر غامق مجدول بجداول غائرة وفي وسطه ميدالية بداخلها رسوم نباتية بارزة.

يقع المخطوط في 294 ورقة، ومسطرته 14 سطرًا، ومقاسه 33,5 x 12,5سم.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم 5.

إعداد: فراج عطا سالم





في العدد القادم:

- الحج واقتصادياته
- أبونا المسيسيبي يروي تاريخ أمريكا
- الشعر العربي في ضوء العراقة والتفتح



مـجلة ثقـافيـة شهرية تصدر عن دار الفيـصل الثـقـافيـة



عن العدد الماضي

طالعت العدد (244) من «الفيصل»، وكان أول ما استرعى انتباهي: الغلاف الذي جاء مختلفًا كثيرًا عن الأغلفة السابقة، ولم يطل دهشي؛ لأنني اكتشفت من الوهلة الأولى وجود مسوّغ لهذا التغير، فقد كان هذا العدد بداية لباب جديد هو «منتدى الفيصل» الذي استضاف الدكتور حسن ظاظا، فكان كعهد القراء به عميقًا في طرحه، سلسًا في أسلوبه، وجاءت العناوين التي ضمها الغلاف مشوقة معبرة عن مضمون الحوار الذي دار بينه وبين القراء. وآمل أن يسير هذا الباب على النهج نفسه، وأن يستضيف مثقفين ومفكرين يتميزون بغناء المعرفة، وعمق الفكر.

ومثلت إطلالة رئيس التحرير «من تعدَّ الحق ضاق مذهبه» إرساءً لقواعد الحوار الذي ينبغي أن يكون بين حضارتنا والحضارات الأخرى، وتوضيحًا لخطورة النظرة الأحادية في تقويم القضايا الشائكة، ولا أدري ما إذا كان مقصودًا أن تأتي هذه الإطلالة مواكبة لفعاليات مهرجان الجنادرية التي من ضمنها تناول قضية الحوار بين الإسلام والغرب.

وأهم ما لاحظته في الأعداد الأخيرة من «الفيصل» ذلك الباب الذي يكتبه د. عبدالعزيز الخويطر، فهو يتميز ببساطة الأسلوب وطرافة الموضوع، مع أنه يستند إلى التراث، الذي يراه بعضنا جافًا في مادته، إلا أن هذا الباب أثبت عدم صحة ذلك الادعاء.

وبدا الاهتمام بالطفولة واضحًا في هذا العدد من خلال ما جاء عنها في باب «العالم قريتي»، وفي «نافذة على ثقافة العالم»، إضافة إلى الموضوع الملون الذي تناول قضية الطفل المفرط الحركة.

ولعلي أقترح أن يكون «منتدى الفيصل» كل ثلاثة أشهر حتى تتاح فرصة المشاركة فيه لعدد أكبر من القراء الذين يحصلون على أعداد الفيصل بعد صدورها بوقت طويل، وهذا ما لمسته شخصيًا، ولا يخفى عليكم أن وقتًا غير قصير يمضي دائمًا بين اتخاذ القارئ لقرار المشاركة وتنفيذه الفعلي له في ظل مشاغل الحياة المختلفة. وكذلك، آمل الاهتمام ببث عدد أكبر من الموضوعات الطريفة بين ثنايا العدد لتكون محطات يستريح فيها القارئ، وقد حوى هذا العدد موضوعًا طريفًا نال إعجابي شخصيًا، ألا وهو موضوع «الحدس ظاهرة خارقة أم تفكير مبدع؟».

مع أمنياتي للفيصل بالرقي والتقدم في أداء دورها لخدمة الثقافة والفكر.

د. حسن محمد حمد
جامعة الملك سعود، الرياض

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

1 - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.
2 - ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.
3 - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.
4 - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.
5 - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (3) الرياض 11411 - المملكة العربية السعودية
هاتف 4653026 - 4653027 - 4647884 - فاكسملي: 4647851

ردمد 1140 - 0258 رقم الإيداع 14/0542

الاشتراكات السنوية :

للأفراد 150ريال سعودي، للمؤسسات 250 ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار السعودية 8 ريالات - الكويت 650 فلس - الإمارات 7 دراهم - قطر 7 ريالات - البحرين 750 فلس - عُمان 750 بيسة - الأردن 500 فلس - اليمن 40 ريالاً - مصر جنيهان - السودان 150 جنيه - المغرب 8 دراهم - تونس 600 مليم - الجزائر 10 دنانير - العراق 400 فلس - سورية 30 ليرة - ليبيا 800 درهم - موريتانيا100أوقية - الصومال 2000 شلن - جيبوتي 150 فرنك - لبنان مايعادل 4 ريالات سعودية - الباكستان 20 روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.



من حق الفيصل على قرائها

من حق مجلة «الفيصل» على كل قارئ منصف أن يوازن بينها وبين غيرها من كثير من المطبوعات الأخرى التي تزحم واجهات المكتبات في عالمنا العربي والإسلامي. فعند أول موازنة يتضح أن البون شاسع جداً بين «الفيصل» التي تكسب كل يوم أرضًا ثقافية جديدة، وقراء جدداً من المتعطشين لموضوعاتها الهادفة، ولمحتوى مقالاتها المتميزة، ولمعالجاتها الموضوعية لعديد من القضايا المطروحة في عالمنا اليوم. من جانبي فقد وجدت في تنوعها ما يروي تعطشي للمعرفة، فهذه المجلة الغنية بموضوعاتها تدافع عن القضايا المعروفة لأمتنا، وتلك التي يَجهلها بعض الناس. وهذا ليس غريبًا على مطبوعة تصدر من أرض الحرمين الشريفين، وستظل إن شاء الله صرحًا شامخًا، وحصنًا حصينًا للدفاع عن مقومات الأمة وحضارتها وتاريخها المجيد. وهذا لعمري شيء يعتز به كل مسلم. وإنه ليسرني أن أعرب عن إعجابي بالأبواب المتخصصة وزوايا الكتاب الدائمين، وخاصة إطلالة د. زيد الحسين رئيس التحرير، وما يتبع فيها من حكمة ومنهج ودراية في معالجة القضايا التي يتناولها، وكشفه مواطن الخلل فيما يخص أمتنا. وكذلك أشد على يد د. حسن ظاظا، وأحييه، وأشكره على موضوعاته المتعمقة التي يكشف لنا فيها زيف اليهود وادعاءاتهم الباطلة.

زهير بن الناصر الشعيبي
نهج العراق، عدد 23، حي النسيم، نعسان 1135
الجمهورية التونسية.

إضافة إلى مآثر الفيصل

نشكركم كثيرًا على الملحقات التي تصدرونها مع المجلة، ولاسيما تلك التي تتناول جانبًا من حياة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ وتاريخه.
فمن خلال هذه الكتيبات وقفنا على جوانب عديدة من حياة هذا القائد الكبير الذي كان مصباحًا مضيئًا في تاريخ الإسلام والمسلمين.
وفي موضوع آخر ذي صلة أشير إلى باب «طريق الهدى» الذي تخصصونه للفتاوى الشرعية، ويجيب فيه العلماء الأفاضل عن أسئلة القراء واستفساراتهم، فجزاكم الله خيرًا، وحبذا لو جمعتم هذه الفتاوى في كتيب يُرفق مع أحد الأعداد ليكون مرجعًا، وليضاف إلى مآثر الفيصل العديدة.

عمر الفاروق أحمد إمام
KOMASI - P.O BOX 992
GHANA

الظاهري ومشروعه الفكري

إنني من المهتمين والمتابعين لما يكتبه الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري في زاويتيه: «صداع العقول» في مجلة الفيصل، و«تباريح» في المجلة العربية، وأرجو أن يزودني الشيخ ببعض كتبه وإصداراته، حتى أقترب أكثر من مشروعه الفكري، فالرجل له جهد مقدر بالغ الأثر، وهو صاحب بصمات ورؤى جديرة بالعناية بها، واحترامها من قِبَل الناطقين بالضاد.

درغام عبدالله حسين
سنرو، الفيوم، مصر.

مزيدًا من الاستطلاعات المصورة

أعجبني الموضوع الذي خصصتموه لتناول مستقبل «هونج كونج»، والخلفية التاريخية الوافية عنها المرتبطة بحرب الأفيون، وكذا الأسلوب المميز في العرض وتصوير بعض معالم المدينة. وبهذه المناسبة، أسأل: لم لا تمضون قدمًا في هذا الاتجاه، وتُضَمّنون كل عدد استطلاعًا مصورًا وتناولاً تاريخيًا واجتماعيًا واقتصاديًا عن بلد من بلدان العالم؟ فمثل هذه الموضوعات مقروءة، إضافة إلى أنها تغني ثقافة قراء المجلة وتزيدهم ارتباطًا بها.

محمد محمود البيلي
3 ش زكي قنديل، تقسيم الجمعية، الطالبية، الجيزة، مصر.

المفاعلات النووية وأسرارها

طالعت العدد 242، وقد شدتني الموضوعات العلمية التي اشتمل عليها، مثل: موضوع «الأنظمة المصغَّرة» الذي عرض فيه الكاتب جوانب مهمة من عمل تلك الأنظمة، وكذلك موضوع «علم الفضاء» الذي يفتح الذهن على آفاق رحبة، وباب «العالم قريتي» الذي يقدم جرعة مفيدة مركزة من موضوعات علمية متعددة. ونظراً لاهتمام القراء بالجوانب العلمية، وخاصة في هذا العصر الذي يشهد تطوراً سريعًا في المجالات العلمية المختلفة، فإنني أود منكم الاهتمام بموضوعات الكيمياء والأحياء والفيزياء، ولاسيما الفيزياء النووية. كما أرجو أن تسلطوا الضوء على كيفية عمل المفاعلات النووية.

أحمد سلمان عبدالله
وادي الرشاء، المثناة، الدوادمي 11911
المملكة العربية السعودية.

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على بعضها الآخر للقراء يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سائلًا المولى عز وجل مع بداية حديثي هذا إليكم أن تكونوا بخير جميعًا وأن يوفقكم دائمًا لما تبذلونه من جهد، وما تقدمونه من فائدة.

أحب أن أشير إلى نقاط عدة:

- ما قدمتم عليه من تخصيص منتدى بين القراء وأعلام الفكر، له دلالة في الجلال والروعة والحكمة لا يخفيه من المصداقية، وما يضفي من حيوية للمجلة، ويزيد من تشبثنا واحترامنا. وخير دليل الحلقة الأولى... وما حملته من أفكار جديدة وجميلة وبناءة.
- تشرفني على الدوام إطلالة رئيس التحرير الدكتور زيد، وأستلذ بما تحمله كل رقة من أفكار ومضامين وقيادة وحماسة ... وأقترح أن تجعلوا من ضيوف منتدى الفيصل أستاذنا رئيس التحرير صاحب الإطلالة الحلوة بحياته وبقلمه.
- لاحظت ومن خلال ردودكم الخاصة في العدد الأخير، أنكم تريدون أن تبلغوا المرسل عن وصول مادته إليكم، وتوافونه بخطاب آخر تحددون فيه موقف مادته من النشر، وعليه أسائلكم عن الخطاب الثاني بعد أن وصلني الأول (المادة: لحظات في حياة شاب.. وخطابكم الأول قد وصلني في بداية الشهر التاسع من العام الميلادي المنصرم).

ولكم مني خالص الاحترام والتقدير، وجزاكم الله عني وعن المسلمين كل خير.

أخوكم ممدوح الحايك

٢/٢٠
٩٧

العنوان: سوريا - درعا - موثبين
إعدادية موثبين.
ممدوح ابراهيم الحايك.

«شخصية العدد».. باب جديد

أقترح تخصيص باب في مجلتنا العزيزة «الفيصل» بمسمى «شخصية العدد»، يتم من خلاله تسليط الضوء على شخصية من الشخصيات العربية والإسلامية والعالمية، تزيد القراء معرفة بالشخصية، وبما قدمته للأمة الإسلامية والعربية، وللحضارة الإنسانية، من إنجازات واختراعات ومعارف. آمل الاهتمام باقتراحي هذا، ودرسه، فثقتي كبيرة بأن قراء «الفيصل» سيجنون فوائد جمة من تخصيص هذا الباب، واختيار الشخصيات التي تتناولونها بإتقان.

براء محمد سعيد عبدالواحد
تلدو، حمص، سورية.

زاوية للاستفسارات الثقافية

أهنئكم على تفوقكم المستمر، وأتمنى لكم المزيد من الازدهار. ولدي اقتراح، فحبذا لو خصصتم بابًا أو زاوية يطرح القراء عبرها أسئلتهم واستفساراتهم الثقافية والعلمية والأدبية، ومن ثم توالونا بالإجابة بأسلوب مركز ومختصر، ولا شك في أن مثل هذا التجاوب سيدعم التواصل بين «الفيصل» وقرائها الذين يكنون لها التقدير والاحترام.
آمل أن يلقى الاقتراح قبولكم، ونراه قريبًا على صفحات الفيصل.

سلطان عبدالرحمن العتيبي
الرياض، المملكة العربية السعودية.

التحرير: رأي وجيه نقوم الآن بدراسته، وتوجهنا في المجلة البدء فيه. فما رأي الإخوة القراء؟

الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

إطلالة

هذا العلم..



يلاحظ الإنسان أن العلم بدأ ينحرف إلى غير وجهته الصحيحة، حتى بات العالم في وضع يهدد بفنائه بوسائل صنعتها يد الإنسان نفسه. ولقد كان كتاب جوناثان شيل الصادر في عام 1982م بعنوان: مصير الأرض THE FATE OF THE EARTH إنذارًا بما سيؤول إليه حال العالم إذا استمر في صنع وسائل الدمار وتطويرها بالوتيرة نفسها التي يسير عليها، وكان تقدير جوناثان حينها أن قوة تدمير الرؤوس النووية تفوق 600 ألف مرة قوة تلك القنبلة الذرية التي أحالت مدينة هيروشيما اليابانية إلى أثر بعد عين.

وإذا كان العالم الأمريكي - الألماني الأصل - أوبنهايمر الملقب بأبي القنبلة الذرية قد أطلق صرخة مدوية وهو يشاهد أول تجربة للقنبلة الذرية في صحراء ترنيتي بولاية نيو مكسيكو، عندما صاح: «يا إلهي ماذا صنعت؟»، فكيف كانت ستكون صرخته لو شاهد هذه الرؤوس النووية التي تهدد بفناء البشرية في كل حين؟

ومع أن المتفائلين في هذا العالم قد أمَّلوا كثيرًا في أن انتهاء الحرب الباردة سيكون إيذانًا بتخفيف وطأة هذه الأسلحة المدمرة التي تجثم ككابوس مخيف على أنفاس البشرية، إلا أن شيئًا من ذلك لم يحدث، بل الأدهى أن بعض الخبراء ذهبوا إلى أن سوء الأوضاع في روسيا يمكن أن يكون سببًا في زيادة احتمالات حدوث خطأ ما، ينتج منه إشعال حرب نووية شاملة، ومسوغهم في ذلك أن هناك انهيارًا في شبكة الأقمار الصناعية وأجهزة الإنذار المبكر الروسية؛ مما يزيد من إمكانات حدوث خطأ فني؛ يترتب عليه قرع أجراس الإنذار بحدوث هجوم نووي، ومن ثم لا مناص من الضغط على الزناد السريع لمواجهة هذا الهجوم المتوهَّم، ليجد العالم نفسه في أتون حرب نووية، لا يعلم مداها إلا الله.

ولا يفوتنا أن هناك دولاً أخرى عديدة تمتلك صنوفًا من أسلحة الدمار المتطورة، قد يؤدي استخدامها تحت أي ظرف من الظروف إلى هلاك ملايين البشر والكائنات الحية، وإفناء مظاهر الحضارة في أجزاء واسعة من العالم.

وقد فوجئ العالم - وهو لايزال يفكر في هذا المأزق الذي صنعته القنابل الذرية والنووية والجرثومية وغيرها من وسائل الدمار الشامل - بمأزق آخر لا يقل خطرًا وأثرًا عما يكابده، إذ جاء الاستنساخ الحيوي للنعجة «دوللي» إيذانًا بثورة في علم الأحياء (البيولوجيا)، ينظر إليها كثير من العلماء على أنها تفوق في نتائجها وتحدياتها كل ثورات العلم التي صنعها الإنسان وعاشها في هذا العصر، وما سبقه من عصور؛ فتتضاءل حيالها ثورات المعلومات والاتصالات وغزو الفضاء.

وهذه الثورة الجديدة التي يشير إليها العلماء لم تأت بين عشية وضحاها، وإنما جاءت نتيجة لإرهاصات عديدة وضعها العلماء على مدى زمني طويل، لأن من الثابت أن هذه التجارب التي ترمي إلى استيلاد أنواع من الكائنات الحية من غير الطريق الطبيعي المتمثل في اختلاط نويات الخلايا الجنسية الذكرية بنويات الخلايا الجنسية الأنثوية تجري منذ وقت بعيد. وكانت أولى هذه التجارب قد أجريت على النباتات، إلى أن نجح عالم النبات ستيوارد من جامعة كورنيل الأمريكية في إنتاج ثمار الجزر باستخدام خلاياه، دون بذوره، وتهيئة المناخ المناسب لتكوين الأنسجة، وتبعه في ذلك علماء آخرون أجروا تجاربهم على أنواع أخرى من النبات، وحققوا فيها نجاحًا كبيرًا. أما التجارب على الحيوانات، فبدأت بالحيوانات البسيطة، مثل الهيدرا، ودودة البلاناريا. وظل الحال كذلك، حتى استطاع العالم جيردون من جامعة أكسفورد البريطانية الوصول إلى استنساخ ضفادع مكتملة التكوين من الخلايا الجسدية، وشجع نجاحه على إجراء التجارب على الفئران والخنازير والقردة، إلى أن نجح علماء أسكتلنديون في استنساخ نعجة من خلية جسدية واحدة. وملخص العملية كما تشير الدوائر العلمية المتخصصة: أخذت خلية جسدية من نعجة، ثم عُزلت منها النواة التي تضم المادة الوراثية، وفي الوقت نفسه، أُخذت بيضة غير ملقحة من نعجة ثانية، وفُرِّغت من المادة الوراثية الموجودة بها، وبعد ذلك زُرعت فيها المورثات المأخوذة من الخلية الجسدية للنعجة الأولى، ثم نُقل هذا الجنين - المكوَّن من البيضة والمورثات المنقولة إليها - إلى رحم نعجة ثالثة قامت بحمله، حتى وضعته نعجة مماثلة للنعجة الأولى صاحبة الجينات الوراثية.

والمتابع لهذه القضية يجد أن ردود الأفعال الرسمية للدول إزاءها كانت حازمة في رفض تطبيقها على الإنسان، فالرئيس الأمريكي بيل كلينتون طلب من الهيئة الاستشارية لقوانين الأخلاق البيولوجية إعداد تقرير كامل عن مدى إمكان تطبيق هذه التقنية على الإنسان، وتوالت بعد ذلك ردود الأفعال في دول أخرى، اتفقت جميعها على خطورة إجراء تجارب على الإنسان في هذا المجال. وفي الوقت نفسه، تباينت ردود أفعال العلماء بين مستبعد لإمكان تطبيقها على الإنسان، وبين متوقع لحدوث هذا الأمر في مدى زمني قريب لا يجاوز العامين.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الذي يمنع العلماء من المضي قدمًا في تجاربهم هذه، وتطبيقها على الإنسان، مهما كانت قوة القوانين التي تمنعها؟

ومسوغ السؤال وجود شواهد كثيرة تؤكد قيام بعض العلماء بإجراء تجارب محظورة على البشر في مجالات تصنيع الأدوية والأمراض المستعصية وفي كل مجال جديد من مجالات الطب، مما يقتضي أهمية اتجاه الأنظار إلى الآثار السلبية التي يمكن أن تترتب على تطبيق هذه التقنية الجديدة على الإنسان، ووضع تصور مستقبلي لتفاديها قدر الإمكان، وإعداد الضوابط الأخلاقية والقيمية التي تحكمها، على أن تلتزمها جميع دول العالم، انطلاقًا من أن آثارها ستمتد إليها جميعًا بلا استثناء، مهما كان بُعد المسافات بينها.

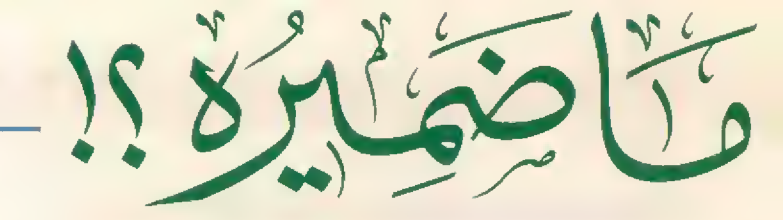
ولعل ما يتسم به تطبيق مثل هذه التقنية «البيولوجية» من سرِّية يجعل من الصعب التيقن من احتمالات وجود تجارب تجرى بالفعل حاليًا على الإنسان، ولا أدل على ذلك من السرية التي تمت بها عملية استنساخ النعجة «دوللي»، حتى إعلان القائمين عليها عن نجاح تجربتهم، ومن هنا، فليس مستبعدًا أن تتم عمليات استنساخ الإنسان بالسرية نفسها، ولاسيما أن هناك استعدادًا كبيرًا لكثير من الناس للخضوع لمثل هذه التجربة، اتساقًا مع نزوع الإنسان إلى فكرة الخلود، إلى حد أن هناك من يطلب تجميد جسده قبل موته بدقائق، أملاً في أن يعود إلى الحياة في زمن قادم. وتوجد بالفعل في الولايات المتحدة جمعية تضم هؤلاء الذين يتوقون إلى العيش مرة أخرى، على الرغم من الاعتراضات الكثيرة التي لاقتها فكرة التجميد قبل الموت بوصفها جريمة قتل تستحق العقاب.

ويذكر أن الكاتب دافيد رورفيك أوضح في كتابه: في صورته IN HIS IMAGE الذي صدر في العام 1977م أن العلماء نجحوا في استنساخ مليونير بناءً على رغبته. وتحمل هذه القصة الخيالية دلالات واضحة على الحلم الذي يراود الإنسان في الاستمرار في الحياة، ولو في نسخة جديدة تعيده إلى عهد الطفولة والشباب، وهو ما يُخشى أن يستغله العلماء في تطبيق عملية الاستنساخ الحيوي على الإنسان!

ومن الإشكالات التي تثيرها مثل هذه التقنية، ما يتعلق بحقوق الإنسان الذي يُستنسخ بهذه الطريقة، إذ سيأتي إلى الحياة نبتًا شيطانيًا لا جذور تربطه بالبيئة التي يعيش فيها، الأمر الذي يؤدي به إلى المعاناة والإحساس بالاغتراب عن محيطه، مما قد يدفعه إلى معاداة المجتمع، وتغذية ميول الانتقام لديه، ويتحول المجتمع حينئذ إلى حالة من الفوضى والتشتت، تضر بتماسكه، وتهدد وجوده وكيانه.

وتتضاعف مأساة الإنسان في هذا العصر، ولاسيما في تلك المجتمعات التي تتفشى فيها الإباحية والانحلال الخلقي، والتفكك الأسري، مما يؤدي بالأطفال إلى المعاناة من التشرد والضياع، الأمر الذي يدفعهم إلى الانقلاب على قيم المجتمع وتقاليده، فتشيع نتيجة لذلك كل أنواع الجريمة والعنف. وللدلالة على ما يعانيه الأطفال في ظل غياب مؤسسة الأسرة، يكفي أن نذكر أن 47٪ من الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية غير شرعيين، وهذا الوضع بلا شك سبب رئيس في ارتفاع نسبة الجريمة بها، وهو ما حدا بعلماء التربية إلى أن تتعالى أصواتهم منادية بضرورة إعادة الاحترام إلى النظام الأسري، كما أشار إلى ذلك الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في خطابه الذي ألقاه في 5 فبراير الماضي. وعلى هذا، فإن استنساخ أطفال خارج نطاق الأسرة يبقى قضية بالغة الخطورة، عظيمة في آثارها السلبية التي تؤدي إلى تعميق مظاهر التدهور القيمي والأخلاقي في العالم.

وإذا سعى علماء الأحياء بجدية إلى استنساخ البشر، فإن ذلك سيمثل مفارقة عجيبة، لتناقضه الواضح مع التحذيرات التي تدوي في العالم منبهة على خطورة الزيادة السكانية، التي عُقدت لها المؤتمرات، ودُبِّجت حولها القرارات والتوصيات، ووضع علماء الاقتصاد وخبراء السكان لها حلولاً تتعارض في بعض جوانبها مع



القوانين والأديان، ومع ذلك، يصرون على تطبيقها في جميع دول العالم! فكيف سيكون موقف هؤلاء من هذه التقنية التي من شأنها أن تزيد أعداد السكان إذا مُضي في تطبيقها على الإنسان؟ أم إن المستنسخين بهذه الطريقة سيمثلون النخبة التي ينبغي أن يضحي في سبيلها بشر آخرون، من أولئك الذين يُنظر إليهم على أنهم أسباب المشكلة السكانية والعالة على مصادر الغذاء والطاقة في العالم؛ ومن ثم عليهم أن يُفسحوا المجال لمن هم أجدر منهم بالحياة؟

ومن المتناقضات الواضحة التي تثيرها هذه القضية الشائكة وجود أطفال كثيرين في العالم يعيشون حاليًا تحت ظروف معيشية غير إنسانية، إذ تؤكد الأرقام والإحصاءات أن نحو 40 ألف طفل يموتون يوميًا في العالم، ويشارك 200 ألف طفل في حروب العصابات، و100 مليون طفل لا تفتح لهم المدارس أبوابها، وإنما يُجبرون على اقتحام سوق العمل بحثًا عن لقمة العيش، و150 مليون طفل يعانون الجوع، و30 مليون طفل يفترشون أرصفة الشوارع. وبلغ الأمر إلى درجة شيوع بيع الأطفال، واستخدامهم في أعمال منافية للآداب، وتجارة المحرمات، ويتحول كثيرون منهم إلى قطع غيار بشرية لمن يملكون المال، ويتشبثون بالحياة على حساب غيرهم. إن هذا الواقع المؤلم حقًا الذي يعيشه العالم يدفع كل عاقل فيه إلى الاستغراب والدهشة حين يسمع عن أنباء الاتجاه إلى استنساخ بشر آخرين، لأن القضية في هذه الحالة تخرج من نطاق العلم الذي يجب توظيفه لصالح الإنسان وتطوره، لتصبح نوعًا من الترف العلمي، الذي يشبع غرور العلماء ويحقق طموحاتهم الذاتية على حساب القضايا الإنسانية الملحة، مما يدعو بإلحاح إلى ضرورة التداول والنقاش حول المشكلات والقضايا التي ينبغي أن يطرقها البحث العلمي قبل غيرها، من دون أن يكون ذلك حَجرًا على حرية القائمين عليه، لأن ترك ترتيب الأولويات للاجتهاد الفردي يمثل إهدارًا للأموال والطاقات العلمية، بينما العالم أحوج ما يكون إلى تلك الأموال وجهود الباحثين من أجل إيجاد حلول جذرية للمشكلات التي تتهدده من كل صوب وحدب.

ومما يدعو إلى القلق من إمكان الإسراع في تطبيق هذه التقنية على الإنسان تواضع الأجهزة والمعدات التي تحتاج إليها، وقلة تكاليفها التي لا تتجاوز 120 ألف دولار حسب ما أوضح المتخصصون، وهذا ما ييسر تجاوز القوانين مهما كانت صرامتها، إضافة إلى أن هناك سهولة في إجراء هذه العملية في أي دولة من الدول الفقيرة، باستغلال الظروف المعيشية الصعبة لشعوبها، التي تُعدّ حقل تجارب لكل جديد في مجال الطب والصيدلة، وليس ببعيد - كذلك - أن تتخصص عصابات في تطبيق هذه التقنية على الإنسان، بحثًا عن مكاسب مادية، أو لتوظيفها - مستقبلاً - في الأعمال الإجرامية، مادام أنه من المحتمل إيجاد نسخ مكرورة من الشخص الواحد.

ويبدو الأمر أشد إيلامًا وأكثر إثارة للاشمئزاز والتقزز إذا اتجهت النوايا إلى استخدام هذا الإنسان النسخة قطعَ غيار للإنسان الذي استُنسخ منه، مما يمثل انتهاكًا صارخًا لحقوق الإنسان التي كثيراً ما تتردد على الألسنة من غير إدراك معناها الحقيقي، ويصبح الإنسان حينئذ في مقام سلعة تُباع وتُشترى في الأسواق، ثم تُفرَغ من محتواها لتُقذف بعد ذلك في سلال القمامة، بلا أدنى اكتراث.

وإذا كان ألدوس هكسلي في روايته «عالم جديد شجاع» الصادرة في عام 1932م قد تخيل أن العلماء بعد ستة قرون نجحوا في استنساخ 96 إنسانًا من إنسان واحد فقط، فإن العلماء اليوم يتحدثون عن احتمالات استنساخ أناس من خلايا العباقرة والمبرزين في المجالات المختلفة، ليمثلوا النخبة التي تتصف بصفات ذهنية عالية المستوى، والتي في إمكانها أن تُحَسّن النسل البشري، وأن ترتقي به في مدارج الحضارة. وهذا الاحتمال يقود إلى إثارة التساؤلات حول خطورة استخدام الطغاة والمتجبرين لهذه التقنية لاستنساخ أشباه لهم، تمتثل لأوامرهم، وتسير على دربهم، ويمكن أن يصل بهم الأمر إلى استنساخ جيش كامل يتشابه أفراده في الصفات كافة. ومن هنا، فإن أولئك الذين صنعوا فيلم «أولاد من البرازيل» لم يكونوا واهمين حين تناولوا محاولة صنع نسخ عدة من هتلر. وما دام قد جاء ذكر هتلر، فإنه ليس مستبعدًا في عصر يسوده التفكير العنصري أن تكون هذه التقنية سلاحًا يستخدمه المالكون لها لتحقيق فكرة النقاء العنصري، ومحاولة القضاء عل الأجناس الأخرى.

ويقودنا هذا الاحتمال إلى البحث عن العلاقة التي ستكون بين من يملكون هذه التقنية، ومن لا يملكونها، لأنها - بلا شك - ستصبح عنصر قوة يزيد الفارق الحضاري بين الأمم المتقدمة والمتخلفة، وسلاحًا يشهره القوي في وجه الضعيف لإخضاعه، وترسيخ الإحساس بالدونية والتبعية في داخله، ولا يسلم الأمر من ظهور كائنات مشوهة على شكل وحش فرانكنشتين ودراكولا تنقلب على الإنسان وتتمرد عليه، بلا أي تفرقة بين الأقوياء والضعفاء.

ومن الواضح أن التساؤلات والتخمينات التي تثيرها هذه التقنية الجديدة لا حدود لها، ولكن يُعدّ الاهتمام الواسع بقضية الاستنساخ، وما ينداح عنها من إشكالات متعددة، تأكيداً للطابع الإنساني الذي تتسم به بعض القضايا، لما لها من تأثير كبير، بعد أن حتم تقارب أطراف المعمورة، واختزال المسافات بينها، ضرورة التواضع على مشترك عام من القيم والأخلاق بين سكان العالم يضبط مسارات الحياة، ويحول بينها وبين الانفلات. وتبدو ضرورة وجود قيم وأخلاقيات عامة بين بني البشر اليوم أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى، بعد اتساع نطاق المد الإعلامي، وتيسر سبل الانتقال السريع بين أرجاء العالم، مما يجعل تأثيرات المفاهيم والأفكار والأحداث تسري بينها في وقت قصير، ولا يعني ذلك إغفال الفوارق الموجودة بين الأمم والشعوب في مواقفها تجاه القضايا والمشكلات المختلفة، وإنما يعني في المقام الأول وجود قواسم مشتركة في المواقف وردود الأفعال إزاء بعض هذه القضايا والمشكلات ذات الطابع الإنساني العام، يجب التحاور حولها للوصول إلى صيغة تحقق صالح جميع الدول بلا أي مساس بخصوصية هوياتها وانتماءاتها.

وقد أثارت عملية الاستنساخ الحيوي مجدداً التساؤل عن الحدود التي ينبغي أن يلتزمها العقل، والضوابط القيمية التي يجب أن توجه عمله، وتحول بينه وبين أن يشطح إلى المدى الذي يضر بالإنسان أكثر من أن ينفعه، لأن غياب السياج القيمي يُحَوّل العقل إلى مارد لا يأبه لنتائج عمله، ولا يقيم وزنًا للأضرار التي تُلحقها أعماله بالمجتمع الإنساني.

ولا تمثل المناداة بضرورة وجود منظومة قيمية تضبط البحوث العلمية حَجْرًا على حرية العقل، بقدر ما هي صون له من سلوك طريق الغي والضلال، لأن الخوف يبقى قائمًا من اغترار الإنسان بعقله، والافتتان بنتائج علمه، فيصل به الأمر إلى تأليه العقل، متناسيًا أنه منّة من الله سبحانه وتعالى، خصه بها من أجل أن يوظفها في الاضطلاع بمسؤوليات إعمار الأرض وفق منهج واضح، يحقق صالح البشرية، ويدفع عنها الضرر، مما يوجب على الإنسان أن يوازن بين جوانب المنفعة والضرر التي تخلفها أفعاله وأعماله، ليغلّب مبدأ: دفع المضرة مقدمٌ على جلب المنفعة، حين يترافق الأمران، وهذه هي القاعدة الشرعية التي بيّنها الإسلام، تحقيقًا لصالح الإنسان، لكي يقوم بما كُلّفه من مسؤوليات شرّفه الله بها من دون المخلوقات الأخرى.

وهذا التخوف من آثار هذه الثورة التي يشهدها علم الأحياء ليس وقفًا على المستويات الرسمية أو عامة الناس، وإنما هو شعور يبديه كثير من العلماء المتخصصين، لأنهم أكثر إدراكًا لمخاطر إطلاق العنان للعقل، وبخاصة أن أمامهم تجارب علمية في هذا المجال، كانت سببًا في تحويل بعض الكائنات الدقيقة المسالمة إلى كائنات تحمل الأمراض والأوبئة للإنسان وغيره من المخلوقات. وفي الجانب الآخر، لا يمكن أن ينكر أحد ما حققته - وما يمكن أن تحققه - هذه التجارب من منافع جمّة للإنسان بإسهامها في إيجاد علاج لكثير من الأمراض الوراثية والمستعصية، وتطويرها لنخب من النباتات والحيوانات، والمحافظة على الكائنات المهددة بالانقراض. ومع ذلك تبقى معضلة الموازنة بين المنافع والأضرار قائمة، وتظل القوانين والتشريعات التي تنظم البحوث في هذا الميدان الحيوي قاصرة ما لم تكن هناك نظرة كلية تستوعب آثارها وتدرك تداعياتها في المستقبل. وهذه النظرة وفرتها الشريعة الإسلامية بمفهومها الشامل عن الكون والحياة والإنسان، ورعايتها الدائمة لصالح الحياة المتجددة؛ بتوكيدها قيمة العلم، وضرورة إعمال العقل والفكر حتى يقوم الإنسان بمسؤوليته فيما استخلفه الله فيه على الأرض ضمن حدود الإصلاح وعدم الإفساد. ويصبح الاحتكام إلى هذا المنظور الشامل في غاية الإلحاح والأهمية وإلا انفلت العقل إلى حد بعيد قد يجعل علماء الأحياء يصيحون في يوم ما: «ياإلهي ماذا صنعنا بالعالم؟».

ما يتسم به تطبيق مثل هذه التقنية «البيولوجية» من سرّية يجعل من الصعب التيقن من احتمالات وجود تجارب تجرى بالفعل حاليًا على الإنسان!

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين







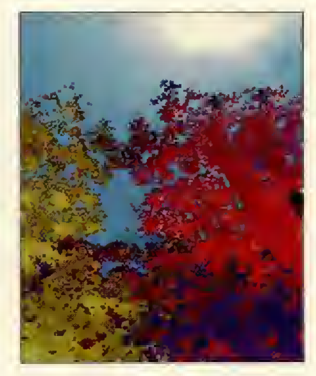
فنون الزخرفة الإسلامية من خلال فنان معاصر

ازدهرت الصناعات الحرفية في ظل الحضارة الإسلامية ازدهارًا عظيمًا، وكانت من مظاهر الرقي الحضاري للأمة، غير أنها بدأت تتراجع مع تراجع الحضارة الإسلامية عن مركز الريادة. ومع ذلك، فإن هناك ومضات تظل باقية لتدل على تراث عريق يحتاج إلى من يحييه في ثوب عصري يلائم المستجدات، ويواكب التطورات في عالم اليوم.

لخضر درياس، وأحمد رفاعي ألقيا الضوء على رائد من رواد الفنون الزخرفية في الجزائر هو الفنان مصطفى بن دباغ، الذي استلهم التراث الزخرفي الإسلامي في أعماله، ووازن فيها بين الأصالة والمعاصرة.

طالع ص15

الشعب المرجانية: أنواع وأشكال ونظريات



يزخر البحر الأحمر بشعب مرجانية تغطي شاطئه، وقد قسم العلماء هذه الشعب إلى أنواع ثلاثة، كما ظهرت نظريات متعددة حول نشأتها. ويتميز الساحل السعودي على البحر الأحمر بوجود مكثف لهذه الشعب.

محمد أحمد النهاري تناول الشعب المرجانية في البحر الأحمر، وأشار إلى استعمال الإنسان للمرجان في صناعات الحلي منذ آلاف السنين، مدعمًا مقالته بمجموعة من الصور المعبرة عن أنواع المرجان وأشكاله.

طالع ص 84



البعد السياسي في قضية البيئة

لقضية البيئة أبعاد متعددة، من أبرزها البعد السياسي، الذي لم يجد اهتمامًا كذلك الاهتمام الذي لاقته الأبعاد الأخرى، مثل الأبعاد الأمنية والاقتصادية. وقد قدم كتاب «السياسات البيئية العالمية» لمؤلفيه جاريث بورتر وجانيت براون عرضًا موجزًا لهذا البعد المهم، وأشار إلى التباين في المصالح البيئية، حتى إن دولة واحدة تستطيع ـ وفقًا لمصالحها ـ تعويق الاتفاقات العالمية الخاصة بالبيئة.

طه عبدالرحمن محمد علي أعد عرضًا وتحليلاً لهذا الكتاب الذي يؤكد أهمية التعاون الدولي في حل القضايا البيئية.

طالع ص94

أدب وفكر

العنوان	الكاتب	الصفحة
اليهود الإصلاحيون: والمسيرة الشاقة!	د. حسن ظاظا	19
ثقافات العالم: رهبة الغزو الثقافي وخطورة الانغلاق على الذات	د. محمد سيف يس	26
مراحل كتابة السيرة الذاتية في الأدب السعودي 3	عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري	32
الكتابة بين المواهب الأصيلة والمحاولات الفاشلة	عبدالعزيز بن عبدالله السالم	35
من عشق فعفَّ (صداع العقول)	الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري	44
الشعراء والسرقات (أقوال وخواطر)	د. نوره صالح الشملان	62
الفصحى في الحوار القصصي	صالح بن إبراهيم الحسن	67
التلقائية في الآداب القديمة	د. كمال نشأت	92
مجتمع المسلمين.. مجتمع الأمن والسكينة	د. السيد رزق الطويل	98

تربية واجتماع

العنوان	الكاتب	الصفحة
تنمية الشخصية: لماذا تموت المواهب؟ وكيف يتفجر الإبداع؟	د. عبدالكريم بكار	40
الكتاب المدرسي: الموازنة بين القيمتين المعرفية والفنية.. كيف؟	د. عبدالحميد إبراهيم	54

تراث وتاريخ

العنوان	الكاتب	الصفحة
تأثير واسع (أقوال الماضي للحاضر)	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	24
مواقف من السيرة النبوية	د. عبدالعزيز عبدالله الحميدي	30
بنت عدنان تتحدث عن هموم اللغة العربية (قصة قصيدة)	د. محمود جبر الربداوي	38
رحلة زرياب إلى الأندلس 1	خيرالله سعيد	46
ملوك الطوائف: نتاج الواقع المضطرب أم ضحية الصورة المشوَّهة؟	د. عبدالله بن علي ثقفان	60
الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك (من نوادر التصنيف)		91

شخصيات

د. عبدالرحمن الحاج صالح: الخليل وسيبويه سبقا عصرنا في دراسة الصوتيات (حوار مع)	أجراه: بشير إبرير	51
أجاثا كريستي: أحببت الشرق فاستمتعت بالكتابة في الصحراء	صلاح الدين شعبان	57
تجربتي في الشعر والحياة (من تجاربهم) 1	د. يوسف عز الدين	72
ولي الدين يكن.. شاعر أذابه العشق والبعاد	عيسى فتوح	80

شعر وقصة

يا آسري (قصيدة)	مروة حلاوة	25
تقول الريح (قصيدة)	نصر علي سعيّد	65
الله يُمهلُ ولا يهمل (قصة مترجمة)	زهير شفيق روميه	100
الثأر (قصة من تراث الشعوب)	محيي الدين فارس	107

الأبواب والزوايا الثابتة

العالم قريتي		10
الطريق إلى الله: مريم هيكورن: الطريق إلى الإسلام يبدأ من الداخل		64
طريق الهدى	الشيخ د. صالح اللحيدان	66
من المكتبة السعودية		78
دائرة المعارف: أدباء أطباء 1	إعداد: خليل محمود الصمادي	103
الحركة الثقافية في شهر		110
كتب وردت		123
المسابقة		124
الاستراحة		126
تباشير: من وحي النوى (قصيدة)	شعر: إبراهيم محمد شرف الدين	128
ردود خاصة		130
مناقشات وتعليقات		132
على موعد: السباحة في بحر الظلمات	د. حلمي محمد القاعود	138

من كتّاب العدد



د. كمال حسين فهمي نشأت

- من مواليد الإسكندرية، مصر 1923م.
- حاصل على الدكتوراه في الأدب الحديث والنقد من جامعة عين شمس 1965م بمرتبة الشرف الأولى.
- عمل أستاذاً للأدب الحديث والنقد الأدبي في كلية الألسن وأكاديمية الفنون بمصر، وكلية الآداب بالجامعة المستنصرية في بغداد، وكلية بنات جامعة الكويت.
- عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في مصر، وكان عضواً في لجنة منح جائزة الدولة التشجيعية في مصر، كما كان عضواً في لجنة منح جائزة الدولة التشجيعية في الشعر في الكويت، وناقش وأشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعة المستنصرية وجامعة بغداد.
- تُرجم بعض شعره إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والصينية.
- من مؤلفاته: النقد الأدبي الحديث في مصر 1983م، شعر المهجر 1966م، أبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث 1967م، مصطفى صادق الرافعي (سلسلة الأعلام) 1968م، مصطفى عبداللطيف السحرتي (سلسلة النقاد) 1992م، وله رواية مترجمة عن الإنجليزية بعنوان «الجحيم الحي» 1967م.
- من دواوينه الشعرية: رياح وشموع 1951م، أنشودة الطريق 1961م، ماذا يقول الربيع 1965م، كلمات مهاجرة 1969م، أحلى أوقات العمر 1981م، النجوم متعبة والضحى في انتظار 1988م.

د. عبدالله بن علي ثقفان

- من مواليد العسران، السعودية 1368هـ.
- حاصل على الدكتوراه في الأدب العربي (أدب أندلسي).
- عمل مدرساً بوزارة المعارف، وتدرج في سلك التعليم الجامعي، ويعمل الآن أستاذاً مشاركاً بكلية اللغة العربية، جامعة الملك سعود.
- شارك في مؤتمر «الجهاد العربي» في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وندوة «الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات» بمكتبة الملك عبدالعزيز العامة، وندوة «ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية» في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- من مؤلفاته: ديوان أدب السلوك لعبدالمنعم الجلياني (دراسة وتحقيق)، المادة الأدبية في المصادر التاريخية الأندلسية خلال القرنين 5-7 الهجريين، المجالس الأدبية في الأندلس، الانتماء في الأدب الأندلسي، الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين، كتاب «مرآة عيد» ضمن سلسلة هذه بلادنا.
- له أكثر من مئة مقالة منشورة في الصحافة المحلية.

صالح بن إبراهيم الحسن

- من مواليد بلدة الحرّيق، الوشم، السعودية 1377هـ.
- حاصل على دبلوم الدراسات العليا في البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي من كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1402هـ.
- يعمل مدرساً للغة العربية وعلومها في المعاهد العلمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- له مجموعة من الدراسات الأدبية والمقالات النقدية في المجلات الثقافية السعودية والخليجية.



طه عبدالرحمن محمد علي

- من مواليد مصر.
- حاصل على ليسانس آداب، قسم اللغة العربية.
- صحفي وباحث بمعهد البحوث والدراسات العربية بالجامعة العربية.
- له مقالات منشورة في الصحافة المحلية والعربية، وله مجموعة قصصية بعنوان «العائد».



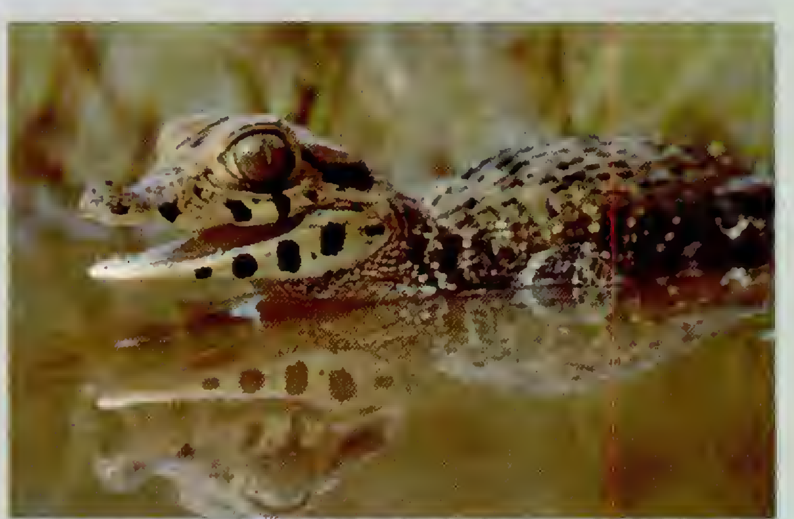
حُمّى الذهب

تقضي على الحياة الفطرية في الأمازون

ظاهرة .. تنذر بالخطر تهدد الحياة الفطرية في البرازيل. فقد كشفت دراسة مكثفة أن تماسيح الكايمن أخذت تنقرض ـ بشكل يدعو إلى الفزع ـ من الأنهار والبحيرات في تلك المنطقة التي اشتهرت بحيواناتها المتنوعة.

فالزواحف الآن في طريقها للإبادة بسبب الصيد الجائر وتعدين الذهب والتطور الصناعي. وبعض الزواحف تحتوي أنسجتها على نسب عالية من الرصاص مما يجعل لحومها غير صالحة للأكل بسبب سُميَّتها.

قام الباحث بيتر برازايتس من مركز الحياة الفطرية للحدائق المركزية التابع لجمعية الحفاظ على الحياة الفطرية في نيويورك بتتبع مدى حظوظ تمساح الكايمن CAIMAN CROCODILUS والتمساح



الأسود MELANOSUCHUS NIGER في القدرة على مقاومة التغيرات، ونفَّذ برازايتس مشروعه هذا بالتعاون مع عالمي أحياء برازيليين، هما: جورج روبيلو وكارلوس ياماشيتا. قام الفريق بتقويم وضع الحيوانات في 47 موقعًا في مناطق الأمازون في البرازيل، وذكر الباحثون لمجلة أوركس ORYX أن كلا النوعين من التماسيح قد تلاشى من مواطنه السابقة في جميع مناطق شمالي البرازيل.

وفي مقالة أخرى صدرت في مجلة أمفيبا ـ ربتيليا (برمائيات ـ زواحف) وأوردتها نيوسينتست، أفاد الباحثون أنه خلال دراستهم التي استغرقت أربع سنوات توصلوا إلى أن تماسيح الكايمن السوداء قد اختفت من 41 موقعًا من أصل 47 كانت تتكاثر فيها. ويقول برازايتس: إن تماسيح الكايمن السوداء إذا أُقصيت من مكان ما فإنها نادرًا ما تعود إليه حتى ولو لم يعد الصيادون لملاحقتها. أما تماسيح الكايمن الاعتيادية فهي تصيب نجاحًا أفضل، إلا أنها، مع ذلك، تلاشت من أربعة مواقع من أصل 39 موقعًا كان قد زارها فريق الباحثين.

وتوصل الباحثون إلى أن كثافة تماسيح الكايمن في البرازيل لا تبلغ سوى عُشر كثافتها في أنهار فنزويلا. أما في أحواض أنهار ولاية دوندونيا على الحدود مع بوليفيا التي أصيبت بتلوث كبير بسبب المخلفات الصناعية فإن الحيوانات قد أصيبت بشكل أسوأ واختنقت بالزئبق بسبب عمليات تعدين الذهب. يقول الباحثون: إن الحيوانات القليلة التي وُجدت كانت هزيلة تغطيها الطحالب، وحالتها الصحية سيئة، لأنها مصابة بالعديد من الطفيليات.

لقد كشفت عينات تحاليل الأنسجة التي أُجريت بالتعاون مع إليزابيث أوديرنا الباحثة في مركز مونتيفيور الطبي في نيويورك عن مستويات تثير الفزع من الرصاص في أكثر من نصف العينات، وقد حوت أنسجة أحد التماسيح ما قدره 168 ضعف المستوى المسموح به في الأسماك الصالحة للاستهلاك البشري.

يقول برازايتس: إن الرصاص قد يأتي من الخامات التي تحتوي على هذا المعدن ويلقيها المنقبون عن الذهب في الأنهار. كما أن الذين يعملون في مناجم الذهب يلوثون الأنهار بالزئبق حيث اعتادوا أن يرسبوا الذهب المنحل في الماء.

ويقول كذلك: إن ما نحتاج إليه في الواقع هو تحديد مقادير التلوث بالزئبق، ويضيف: إن الصيد مع ذلك متوافر بكثرة، على الرغم من وجود القوانين التي تمنع ذلك، وغالبًا ما يعمل الصيادون مثل أولئك المشتغلين بالتعدين، فهم يصطادون الحيوانات من أجل لحومها، ويبيعون الجلود بطريقة غير قانونية.

يقول الباحثون: إن إعادة الحيوانات إلى مواطنها تستلزم اتخاذ تدابير أكثر حزمًا مثل حصر انتهاك حرمة الصيد، وانتهاج الصرامة مع من يدمرون المواطن الطبيعية للحيوانات، وإدخال التقنيات التي تخفض نسبة التلوث الناجمة عن التعدين والنشاطات الصناعية.

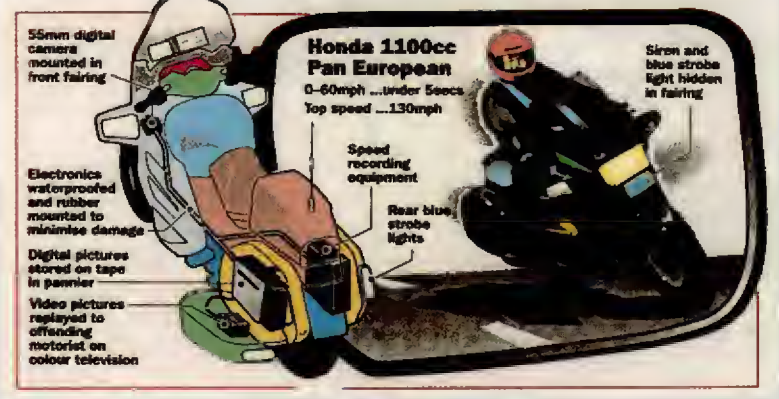


خطأ في التخدير يصيب طفلة بتلف في الدماغ

ذهبت الأم بطفلتها البالغة من العمر أربع سنوات إلى المستشفى، ليتم تثبيت أقراط في أذنيها، وتجرى لها عملية بسيطة لإزالة زائدة أنفية. كانت الطفلة «زو» ممتلئة حيوية ونشاطًا، وكانت الأم «دونا» تتوقع أن تعود بطفلتها بعد سويعات لتواصل اللعب مع أخويها «جيد» و«جوردان».. لكن ما حدث لم يكن في الحسبان، فبعد دقائق من إعداد «زو» لتجرى لها العملية الجراحية البسيطة في مستشفى دونكاستر الملكي DON-CASTER ROYAL INFIRMARY أبلغت الأم أن ابنتها نقلت إلى غرفة العناية المكثفة. ولما استفسرت عن السبب، علمت أن الصغيرة أعطيت جرعة زائدة من عقار مخدر!!..

كان ذلك مبتدأ الفاجعة التي تعرضت لها أسرة «زو»، ثم تعمقت المأساة واشتدت عندما علمت هذه الأسرة أن صغيرتها ستعاني بسبب هذا الخطأ الفادح في أثناء عملية جراحية روتينية من تلف في الدماغ. وقد ذكرت صحيفة الإكسبريس اللندنية في 25 يناير أن المسؤولين في المستشفى، في محاولة منهم لتدارك الأمر، فتحوا تحقيقًا موسعًا، والأسرة من جانبها مستمرة في استشارات قانونية.. ولكن هل يمكن تدارك الأمر حقًا؟!

تقنية جديدة لإدانة السائقين المتهورين



وفرت التقنية الحديثة إمكانات أكثر دقة لضبط السائقين المتهورين الذين يقودون سياراتهم بسرعات غير نظامية. فقد أمكن تطوير دراجات نارية لاستخدام رجال المرور. ولدقة هذا النوع من الدراجات وسرعتها في اللحاق بسيارات تكسر حاجز السرعات المحددة أطلق عليها: «الدراجة الشبح» تشبيهًا لها بطائرة الشبح الأمريكية المقاتلة B52. وقد تم تزويد هذا الطراز من الدراجات بكاميرا فيديو لتسجيل سرعة السيارة التي تقوم بملاحقتها، والحصول على إثبات قوي في حق السائق المتهور، ولن يفيد هذا الصنف من السائقين محاولتهم تهدئة السرعة. فالمعروف أن بعض السائقين الذين اعتادوا القيادة بسرعات عالية، درجوا على أن يأخذوا حذرهم عند رؤية دوريات المرور، أو عند اقترابهم من المواقع المراقبة بوساطة الرادار. وتعليقًا على ذلك يقول ريه كيتغ الناطق باسم الشرطة اللندنية لصحيفة الإكسبريس: لا سبيل أمام السائق المتهور لكي يمارس أسلوب المخادعة، ففي اللحظة التي يحاول فيها استكشاف الطريق، للتأكد من خلوه من دوريات المرور تكون الدراجة الشبح قد لحقت به من حيث لا يدري.

وكاميرا الفيديو المركبة في الدراجة، فضلاً عن أنها أعطت فعالية أكبر لأسلوب المراقبة والضبط؛ فإنها أيضا جاءت استجابة للطلب المتزايد من قبل المحاكم التي تفصل في قضايا حركة السير، للحصول على أدلة أفضل لإصدار حكمها وإدانة السائقين غير الملتزمين أنظمة المرور. فشريط الفيديو عندئذ، يكون دليلاً دامغًا؛ إذ إن السائق بمجرد توقيفه من قِبَل الشرطة، يمكن أن يشاهد قيادته السيئة على شاشة صغيرة مثبته على الدراجة، وتكون الصورة واضحة بحيث لا تثير أي شك، ذلك أن التقنية الحديثة قد أزالت المشكلات الناجمة عن الاهتزازات، التي كانت تجعل الحصول على صورة جيدة بوساطة كاميرا مثبتة على جسم يتحرك بسرعة عالية أمرًا صعبًا، والدراجة الشبح لديها القدرة على رفع سرعتها إلى 130 ميلاً في الساعة، وبإمكانها الانطلاق بسرعة 60 ميلاً خلال أقل من خمس ثوان.



التطور المشترك للضحية والمهاجم المفترس





نحل العسل الأوربي، الذي استوردته اليابان بعد دراسة متأنية، قبل مئة وعشرين سنة، وحصل على شعبية كبيرة لدى مربي النحل اليابانيين، لم يتوصل إلى حل فعال للتعامل مع الهجمات المفاجئة التي تقوم بها حشود الزنابير اليابانية العملاقة. إذ تقوم الزنابير الغازية بتحديد العش الهدف بوساطة المادة الكيمائوة (فيرومون)؛ وهي مادة تجذب النحل من العش ثم تبدأ المجزرة. والزنبور الواحد، الذي يبلغ حجمه ثلاثة أمثال حجم النحلة العاملة وعشرين ضعفًا من وزنها، يستطيع أن يقتل أربعين نحلة في الدقيقة الواحدة بفكيه القويين، وهذا يعني أن مجموعة من عشرين زنبوراً تستطيع أن تقضي على مستعمرة كاملة مكونة من ثلاثين ألف نحلة، خلال ثلاث ساعات تقريبًا. يقول العالم الإخصائي بالحشرات ماساتو أونو من جامعة تاماجاوا في طوكيو: إن سلاح اللسع لا يُعدّ فعالاً ضد الهجوم الذي تشنه الزنابير العملاقة؛ فنحل العسل الأوربي يحاول الدفاع عن مستعمرته بسلاح اللسع، إلا أنه يُباد بعد وقت قصير.

وقد اكتشف «أونو» أن ما هو أكثر فعالية يكمن في خطة متميزة تبناها نحل العسل الياباني، تتمثل في تطوير سلاح قتل بالتحميص (بالخبز)، وقوام الخطة كما أوردته مجلة «ديسكفر» في عدد فبراير: عندما يتحرى نحل العسل الياباني مادة الفيرومون التي تفرزها الزنابير تتجه قرابة مئة نحلة عاملة إلى مدخل الخلية. وعندما تقترب الزنابير تتراجع النحلات العاملات إلى داخل الخلية جاذبة الزنابير إلى الداخل حيث تواجه كمينًا من ألف نحلة عاملة، وتقوم قرابة خمسمئة نحلة، على وجه السرعة، بالإحاطة بأحد الغزاة على شكل كرة كثيفة، ثم تأخذ بتحريك عضلات أجنحتها داخل الصدر، مما يعمل على رفع درجة حرارة النحل فترتفع درجة حرارة «الكرة» بسرعة لتصل إلى 116 درجة فهرنهايت (تتحمل النحلة حرارة تصل إلى 122 درجة فهرنهايت)، إلا أن الزنابير تهلك عند درجة 114فهرنهايت). وبعد مرور خمس عشرة دقيقة من التحميص تموت الزنابير. وإذا ما نجح النحل (الذي لا يأكل الزنابير) في قتل أول مجندين من الزنابير، فإنه يشن هجومًا كاسحًا على البقية، أما إذا أخفق في هذا الهجوم، فإنه يغادر خليته ليبني خلية جديدة.

ويعتقد أونو أن الخطة الدفاعية للنحل قد تطورت مع خطة الهجوم المكثفة التي تعتمدها الزنابير، وهذا مثال على التطور المشترك للضحية والمهاجم المفترس.

تبريد غرف العمليات وراء تلوث الجروح

العمل تحت الأضواء المتلألئة الساطعة، وارتداء بزات العمل السميكة، قد يجعل من العمليات الجراحية عملاً غير مريح بالنسبة للأطباء والممرضين. لذلك، من الناحية التقليدية، يتم الحفاظ على درجة حرارة غرف العمليات الجراحية باردة تمامًا، وهذا ما يجعل درجة حرارة المريض الذي تجرى له العملية الجراحية باردة أيضًا، بل قد

تهبط درجة حرارة الجسم 4 درجات.

لقد اعتاد الأطباء الظن أن درجات الحرارة المنخفضة هي شيء جيد للمريض، لأن البرودة تعوق تكاثر الجراثيم في جو الغرفة. ولكن طبقًا لدراسة حديثة اتضح أن درجة الحرارة المنخفضة في غرف العمليات تزيد من خطر إصابة المريض بالجراثيم ثلاثة أضعاف. فمما يسبب التلوث ـ حسبما جاء في مجلة «ديسكفر» عدد فبراير ـ ليس، في الواقع، الجراثيم العائمة في جو الغرفة، ولكن انخفاض مقاومة المريض للجراثيم الموجودة على الجلد، أو داخل الجسم. هذا ما يقوله دانيل سيسلر طبيب التخدير في جامعة كاليفورنيا بسان فرانسيسكو وبجامعة فيينا. وللكشف عن كيفية تأثير درجة الغرفة في مقاومة المريض، قام سيسلر وزملاؤه بدراسة حالة 200 مريض أجريت لهم عمليات جراحية، واختاروا 104 مرضى عملوا على تدفئتهم بحقنهم بسوائل دافئة وبطانيات يتخللها هواء دافئ مما حافظ على درجات حرارتهم عند المستويات الاعتيادية. أما الـ 96 مريضًا الذين لم تتم تدفئتهم في أثناء الجراحة، فقد هبطت درجة حرارتهم إلى 94,5 فهرنهايت أي 34,7 درجة مئوية. وقد وجد سيسلر أن ما نسبته 19٪ من جروح من لم تتم تدفئتهم قد تلوثت بالجراثيم. بينما لم يتلوث إلا ما نسبته 6٪ فقط من جروح من تمت تدفئتهم، كما أن المرضى الذين لم تتم تدفئتهم مكثوا في المستشفى ثلاثة أيام تقريبًا أكثر مما مكث نظراؤهم.



طرائق علمية تعرف الأم أن رضيعها يتألم

وفق دراسة دقيقة لحركات الأطفال الرضع، الذين تجرى لهم عمليات جراحية في الأسبوعين الأولين من حياتهم، أعد الباحثون قائمة اختبار لدلائل الألم. وهذه الدلائل قد تقدم مساعدة حيوية لملايين الأمهات والآباء، إذ تكشف عن بعض الإشارات التي قد تدل على أن الطفل يعاني آلامًا معينة.

أصابع القدم TOES: عندما تتباعد أصبع القدم الكبيرة عن الأصابع الأخريات، ويلاحظ التصاق الأصابع الأخريات بعضها ببعض بشدة

العينان EYES: إذا كانت العينان مغلقتين بشدة فهذا يدل على أن الطفل يشعر بضعف عام

الجبهة BROW: تدل الخطوط القائمة على الجبهة أو حول العينين على أن الطفل منزعج، أو يشكو من ألم

الفم MOUTH: وجود خطوط حول الفم، وكذلك شكل الفم، ووضع اللسان قد يدل على أن هناك مشكلات تزعج الطفل

أصابع اليد THUMBS: عندما تجمع أصابع اليد في داخل الكف فهذا يدل على وجود ألم

يعتقد الخبراء، في جامعة ليفربول جون مورز، أن بحثهم ـ الذي نُشر في مجلة إرضاع الأطفال JOURNAL PAEDIATRIC NURSING وأوردته ديلي ميل اللندنية ـ يمكن أن ينطبق على جميع الأطفال الرضع، وقد يساعد الأمهات والآباء بشكل أفضل من المؤشرات التقليدية، مثل: البكاء، والحركات مثل: تقوّس الظهر.

إحدى النتائج المثيرة للدهشة للدراسة هي أن الأطفال الذين يعانون آلامًا مبرحة يتمددون بصمت وهم في حالة توتر شديد مما يوهم أنهم في راحة تامة.

وقد استحدث الباحثون الذين درسوا الأطفال الرضع في مستشفى رويال ليفربول للأطفال نظامًا حسابيًا يحسبون بموجبه درجات الألم بالاعتماد على الحركات الدقيقة في أصابع اليدين والرجلين والفم والعينين.

وتقول رئيسة الفريق وممرضة الأطفال مورين هورغان: إن مثل تلك الآلام قد تم التقليل من شأنها.

وتضيف: توجد ثمان دلائل رئيسة، وإذا ما أخذت هذه الدلائل فرادى فإنها قد لا تعني شيئًا، ولكن إذا اجتمعت فإنها تعني الكثير. وينبغي للوالدين ألا يقلقا إذا ما ظهرت دلالة أو دلالتان فقط. فقد يعني ذلك أن الطفل مر بحلم سيئ، أو أنه غير سعيد تمامًا، وعلى كل حال فإن ذلك يُعدّ طبيعيًا.

والدلالات هي: تعبيرات الوجه، أساليب النوم هل هي اعتيادية أم لا، الحركات العفوية، مدى تأثر الطفل بمحفِّز ما، انثناء العضلات، مزاج الطفل، حجم الطفل، نغمة البكاء ومدته.

وهنالك مؤشرات أخرى أكثر تحديدا، مثل: المسافة بين إبهام الرجل والأصابع الأخرى ووضع إبهام اليد في قبضة اليد.

تقول الدكتوره ماري كنليفي التي تعمل في مستشفى أطفال: إن تلك النتائج مثيرة للاهتمام، ولكن يجب اختبارها مقابل النتائج الحالية قبل أن تُعلن صحتها.

وتضيف: إنه شبه مستحيل أن تؤكد أيّ من أفعال الطفل الرضيع توضح قدراً أكبر من الألم وأيها تدل على قدر أقل، ولكنها خطوة إلى الأمام لا إلى الخلف.

مصطفى بن دباغ

رائد الفنون الزخرفية في الجزائر

لخضر درياس - أحمد رفاعي



الآية الأولى من سورة الفتح

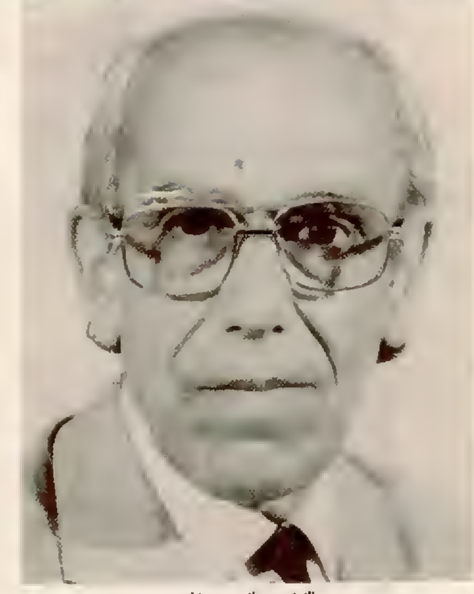
عرفت مدينة الجزائر في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، كغيرها من الحواضر الإسلامية في المغرب العربي، ازدهار الصناعات الحرَفيَّة على إثر توافد موجات المهاجرين إليها من الأندلس خاصة. واستمد العديد من أحيائها وشوارعها وأسواقها وأزقّتها أسماءه من هذه الحرَف. وهذا مايفنّد ادعاءات بعض الكتّاب الغربيين الذين ينكرون على مدينة الجزائر معرفتها لمثل هذه الحِرَف، ويدّعون أن المهارات الحرفية التقليدية فيها لا تستحق الذكر.

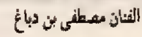
المؤرخون الغربيون يفندون مزاعمهم بأنفسهم

وحتى لا نُوصف بالانحياز والانسياق العاطفي في معالجتنا لهذه المقولات الساذجة بحق، نترك الكتّاب الغربيين أنفسهم يردّون على هذه المزاعم. فهذا هايدو Haédo، من مؤرخي القرن السابع عشر، يقدّم قائمة بأسماء الحرفيين الذين كانوا يمارسون آنذاك مهنًا مختلفة كالسلاحيّين (صنّاع الأسلحة) والخيّاطين والإسكافيّين والسلايلية (صانعي السلال) والصبّاغين والسرايجيّة (صنّاع سروج الخيول) والبنّائين والباروديين والمدفعيّين(*).

كما أعطى جراماي Gra-maye معلومات أكثر دقة عندما أحصى في عام 1623م ثمانين حدّادا، ومئة وثمانين سكّاكا، وأكثر من ألف ومئتي خياط، وثلاثة آلاف تاجر، ومئتي حرايري (صانع الحرير). وفي القرن الثامن عشر، أكد الدكتور توماس شو Thomas Show هذه الأرقام بعد أن أضاف إلى ما ذكره سابقوه بضع حرف أخرى تفوّق فيها سكّان المدينة. وفي القرن نفسه، أشار دوبراديه De Pradier إلى ما كان يُصنع في المدينة من أشرطة حريرية وأحزمة مذهّبة ومفضّضة على جانب كبير من الروعة والإتقان. بالإضافة للملابس الخشنة المصنوعة من الصوف المحلّي.

وفي بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1832م، أورد الكاتب بول أوديل Paul Eudel في ذكره لأخبار المدينة أسماء بعض الشوارع. كما عثرنا في محفوظات الوثائق الفرنسية على أسماء أخرى للأسواق، كسوق الحرير وسوق الغزل وسوق العطّارين وسوق الخبّازين وسوق الفحامجية (صنّاع الفحم) وغيرها.





الفنان مصطفى بن دباغ

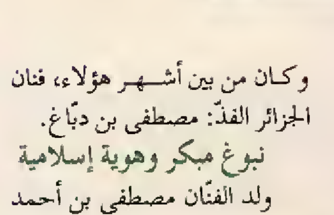


البسملة في وضع متناظر (متعاكس)

فنون تواجه الحصار!

وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الحرف بدأت تتدهور مع احتلال الفرنسيين للجزائر؛ لأن الكثير من الحرفيين هجروا المدينة نحو تونس والمشرق العربي خوفاً من بطش المستعمرين، كما تعرّضت تجارة الكثيرين للكساد من جراء انخفاض أسعار المنتجات وارتفاع قيمة الضرائب تشجيعاً للمنتوجات الفرنسية. وتمّ حلّ النقابات المهنية التي كانت تتكفّل بصيانة حقوق الحرفيين ومصالحهم. وأدى ذلك كله إلى انقراض معظم الصناعات الحرفية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وعلى الرغم من هذه الظروف الصعبة، شهدت المرحلة التي أعقبت بداية القرن العشرين ظهور حركة فنية حرفية، رفع لواءها صنّاع مهرة وفنّانون أكفياء، أغنوا تراث المدينة بعناصر الإبداع الذي تميّز بعمقه الفكري وانطباعه بوجه عام بالطابع العربي الإسلامي،



وكان من بين أشهر هؤلاء، فنان الجزائر الفذّ: مصطفى بن دبّاغ.

نبوغ مبكر وهوية إسلامية

ولد الفنّان مصطفى بن أحمد



صندوق العروس تزينه باقة ورد وطائر الربيع

زخرفة نباتية تتوسطها البسملة وسورة الإخلاص



طائر الفجر

إبريقان بزخرفة إسلامية تتوسطهما باقة ورد

بن دبّاغ في الخامس من سبتمبر/ أيلول من عام 1906م في حي القصبة العتيد بمدينة الجزائر. وهو ينتمي لعائلة من الفنانين، إذ كان والده مقايسي (مسّاح أراضٍ)، وكان جدّه لأمه الذي عُرف باسم «أحمر خدّو» فلكيًا ورياضيًا شهيرًا. وعندما ظهرت موهبة مصطفى منذ بداية طفولته، فضّل أن يتتلمذ على يدي شيخ تركي

مصطفى بن دباغ
رائد الفنون الزخرفية في الجزائر

يدعى «دلاشي عبدالرحمن»، عُرف ببراعته في فن الزخرفة العثمانية الممزوجة بمسحة فارسية. وسرعان ما ظهر نبوغه في هذا الفن واقتداره على الإبداع والتعمق فيه. وانتسب بعد ذلك لمدرسة الفنون الجميلة في مدينة الجزائر، حيث تعلّم صناعة الخزف على الأستاذين سويرو Sou-pireau ولانغلوا Langlois المتخصصين في الفن الفارسي. ثم بعد ذلك راح ينعم النظر ويغوص في خبايا الفن الإسلامي وفضاءاته الرحبة، فقرأ الدراسات التي كتبها الغربيون في هذا الصدد من أمثال ميجيون Mi-geon وبايو Bayeux وريكار Ricard ومارسي Marçais وغيرهم. وقام ابن دباغ بتأسيس «جمعية شمال إفريقيا للفنون الزخرفية»؛ إلا أن هذه التسمية أخافت الفرنسيين فبدلوها إلى «جمعية الحرفيين المسلمين الجزائريين». وحظيت هذه الجمعية الجديدة بتأييد كبار الشخصيات الوطنية الجزائرية؛ لما كان لها من مدلول وطني إلى جانب مدلولها الفنّي. وأقامت الجمعية الجديدة أول معرض فني لها تضمن العديد من اللوحات والقطع المزخرفة لابن دباغ وأقرانه من الفنانين الجزائريين، حضره الحاكم العام الفرنسي، الذي أعجب بالأعمال المعروضة، حتى اضطر إلى الاعتراف رسميا بالجمعية. ولدى اكتشاف الإدارة الاستعمارية الفرنسية للصبغة السياسية التي اكتسبتها الجمعية، قامت بتبديل اسمها من جديد إلى «جمعية الأهالي» وأنشأت فيها خلايا لمراقبة نشاطاتها.

مرحلة حاسمة في الفن والنضال

وعقب نهاية الحرب العالمية الثانية قامت السلطات الاستعمارية بنقل ابن دباغ من الجمعية، وعينته أستاذا في مدرسة الفنون الجميلة.

وكانت تلك المرحلة حاسمة في حياته الفنية والنضالية معًا، فإلى جانب دعوته للتمسك بالهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، كان مهتما بإحياء الحركة الفنية الجزائرية برفقة الفنانين الوطنيين الجزائريين المشاهير، مثل: محمد راسم،



ملك الطيور

مصطفى بن دباغ
رائد الفنون الزخرفية في الجزائر



إبريق مزخرف مجلل بآية قرآنية

ومحمد تمّام، ومحمد صفاقسي، وغيرهم. وكان من نتائج هذا العمل إنشاء «جمعية الفنون التطبيقية» التي تعدّت شهرتها في السنوات الأخيرة حدود الوطن؛ لتبرز الوجه الفني للجزائر العربية الإسلامية. ولا نغالي إذا قلنا إن التلاميذ الذي تخرّجوا في قسم الفنون التطبيقية على يدي ابن دباغ ورفاقه سيستمرون في حمل مشعل التمسك بالانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية من خلال تعبيرهم عنه بالفن الأصيل.

مآثره الفنية

برع ابن دباغ في شتّى فنون الزخرفة على الزجاج والورق والخزف والخشب. وتجلّى عمقه الفني في مجموعة من القطع الفنية المزخرفة على قطع الأثاث المنزلي وصناديق العرائس والمرايا والمرافع وحوامل العمائم والآلات الموسيقية. والمتتبع لأعماله سيجد أنها تشكل في مجموعها مدرسة ذات أسلوب تشكيلي بسيط، يحمل السمة التجريدية التزيينية المتميزة. وتبرز في أعماله مجموعة العناصر التالية:

* العناصر النباتية: تتمثل في أوراق النباتات وسعف النخيل والأزهار التي تقترب في تشكيلاتها من الواقعية.
* العناصر الخطيّة: تتمثل في زخارف مغرقة في التجريد والإيحاء بالجمال الذاتي المتميّز بتوظيف الخط العربي الذي يعد التفنّن فيه السمة الرئيسة لهذه المدرسة التي أسسها ابن دباغ. وتُعطي للحرف الواحد وظائف وأشكالاً متعددة تخدم أساسا الوظيفة الدينية التي تؤثر في عين المشاهد أيما تأثير.
* العناصر الهندسية: تتمثل في التجريد الهندسي المألوف في الفن الإسلامي، وتتجلّى بالشرائط المضفّرة التي تؤطّر الحروف والصور والزخارف.
* العناصر الحيوانية: تتجلّى في التصوير الانطباعي المتقن للأسماك والطيور وبعض الكائنات الخرافية التي لا توجد في واقع الإنسان، ووظيفتها الإغراق في التجريد وإبراز الخيال الجمالي.

نشاطاته ومعارضه

وتعددت نشاطات ابن دبّاغ، وتعدّت شهرته الجزائر كلها، حيث شارك في العديد من التظاهرات والمعارض الفنية، من أشهرها:

- معرض المعمّرين في مرسيليا عام 1922م.
- المعرض الدولي في نيوكاسل في بريطانيا عام 1929م.
- المعرض الفني الدولي في شيكاغو في أمريكا عام 1933م.
- معرض فنون الأهالي في الجزائر عام 1937م.
- المعرض الوطني الأول للفنون التطبيقية في الجزائر عام 1964م.
- معرض الفنون الجميلة والتطبيقية في الجزائر عام 1968م.

كما نال العديد من الأوسمة والترقيات عن أعماله الفنّية منها:

- الجائزة الأولى لمقاطعة مرسيليا عام 1938م.
- عيّن عضوا في جمعية الفنانين الجزائريين والمستشرقين عام 1942م.
- قُلد رتبة (ضابط) في الأكاديمية الفرنسية عام 1947م.
- قُلّد رتبة (ضابط) في التعليم العام في الجزائر عام 1955م.
- رقّي إلى رتبة عميد مدرسة الفنون الجميلة في الجزائر عام 1982م.

واليوم، تعد أعمال مصطفى بن دبّاغ من روائع كنوز الفن الزخرفي الإسلامي في الجزائر، ومن الشواهد الحية على غنى الفن الجزائري وثرائه وتميّزه الذي يستمد جذوره من الفن الإسلامي الأصيل.

هامش:

(*) فضلنا الإبقاء على الأسماء ذات الأصل التركي للحرف التقليدية الشائعة في الجزائر لأنها ما زالت معروفة لدى السكان على هذا النحو.

اليهود الإصلاحيون.. والمسيرة الشاقة



د. حسن ظاظا

وهل في اليهود (مصلحون)؟ نعم! ولكنهم لا يُسمع لهم صوت وسط ما يتصاعد من الصهيونية من نقيق.. ونهيق. مع أن إرادة الإصلاح تواكب التاريخ اليهودي منذ بعثة سيدنا موسى عليه السلام، أي منذ كانوا يُسَمَّوْن «بني إسرائيل» فقط، إلى أن تولى حكمهم داود الذي ينحدر من سبط «يهوذا» بن يعقوب، وخلفه ابنه سليمان، على الجميع السلام، فكان الملك وراثيا.. في يهوذا، وانتسبت الرعيّة إلى ملوكها، فعُرفوا في العالم باسم «اليهود» بعد موسى، وبني إسرائيل، بنحو خمسمئة عام. وأما «الصهيونية» فتنتسب إلى جبل منخفض في مكان ما من «القدس» أقام عليه داود أول قاعدة عسكرية له. والجبل أزيل من مكانه في عهد سليمان، عندما شرع في تنفيذ عمل معماري ضخم، يعيد به تخطيط المدينة، ليجعل منها عاصمة لمملكة مزدهرة سياسيا ودينيا، بعد أن اختارها أبوه داود عاصمة له في السنوات الأخيرة من حكمه، أما بداية عهده وأكثر سني حكمه فكان في «حيرون» الخليل.

أما موسى فلم يترك في توراته اسم الخليل أو القدس إلا في ذكر سلفه سيدنا إبراهيم عليه السلام ـ وكان قبل موسى بخمسمئة عام تقريبا، وقبل داود وسليمان بنحو ألف عام ـ وكان سيدنا موسى في ذكره للبلدتين يحدد أنهما مملوكتان لاثنين من الأمراء الفلسطينيين، من أهل الصلاح والكرم.

محاولات الإصلاح.. مستمرة!

ولا نجد في توراة اليهود التي رواها اليهود عن موسى، وكتبوها بأيديهم، ما يجعل من الخليل سوى مقبرة لسارة، وله أيضا عندما يختاره الله إلى جواره، وأمّا شالم (أورشليم) فكان يحكمها ملك فلسطيني مؤمن هو «ملكيصدق»، وليست في التوراة أية إشارة إلى جعل أي من المدينتين مكان عبادة لليهود، أو قبلة، أو معبداً مركزياً لهم يحجّون إليه في المناسبات! بالعكس، كانت القدس بلداً مكروهاً من بني إسرائيل، مذموما على ألسنتهم، يخافون دخولها لأن أهلها يعادون اليهود! (سفر صمويل الثاني).

رأى موسى عليه السلام الأهوال من بني إسرائيل، ربما أكثر مما رأى من فرعون! وحارب فيهم التمرد، والزنا، والسحر، بل الكفر، وعبادة الأصنام! ومخالفة شرائع الله ليوم السبت، إلى جانب التمرد المتكرر على موسى، ومخالفة أوامره، والوقوف في وجهه بالقوة، وربما قتله أيضًا. ثم تعاقب المصلحون من بعده، يحاولون ردّ هذه الأمة العنيدة، اليابسة الرأس، الغليظة الرقبة، إلى طاعة أنبياء الله، دون جدوى، كما تكرر وصفهم بذلك في ما بين أيديهم من التوراة وكتب الأنبياء. فخليفة موسى، يوشع بن نون، يوسّع عليهم سلطة الكهنة، ويأمرهم بأن يكونوا في مقدمة الجيش المحاصر لمدينة أريحا، أولى المدن الفلسطينية التي غزاها بنو إسرائيل، فما كادوا يدخلونها حتى أمعنوا في قتل أهلها ونهب أموالهم، حتى تركوها قاعًا صفصفا.

ثم ظهرت بعد يوشع فئة من السفاحين والأشقياء، الخارجين على كل الشرائع والقوانين، بما فيها شريعة الله إلى موسى، يسمونهم في تاريخهم (القضاة) وهم قضاة بلا قانون، ولا شريعة، ولا محاكم، جعلوا دستورهم التخريب والقتل والإحراق، اشتهر منهم باراق بن أبي نُوعَم، وجدعون، ويفتاح، وشمشون، ولم يأتوا لبني إسرائيل بنتيجة، إلا سوء الأحدوثة، والكراهية الأبدية من الفلسطينيين لمساكنة بني إسرائيل. ثم جاهد داود في إصلاح ما تركته أجيال من القضاة والدجالين والأفاقين، ولكن دبّ الخلاف في بيته، وبين أبنائه وبناته، فلم ينتفعوا بدعوته إلى العدل والتوبة والإحسان وإيثار السلام؛ فقام بعضهم ضده (ابنه أبشالوم مثلا)، واستباح بعضهم الحرمات (أمنون مثلا)، وعاقر أكثرهم الخمر ففشت فيهم الفاحشة والعربدة، ولم يبق منهم على الإيمان والاستقامة إلا سليمان عليه السلام، الذي فكر ـ بعد أن ورث أباه ـ في أن يخلع على تلك الدولة هيبة تضاهي بها ما حولها من الدول المنظمة القوية، وأن يكون أساسها الدين، فبنى في أورشليم معبدا مركزيا، ورتب له الكهنة والقضاة وفرائض الطهارة والعبادة، كما قسم مملكته أقاليم جعل على كل منها عاملاً يتلقى أوامره وينفذها، فلم يزد هذا الإصلاح اليهود إلا غلظة واستهتارًا وعصيانا وإجراما، صرخ منه أنبياؤهم ووصفوه في كتبهم بأنه كفر ووثنية ونسيان تام لله! ولم يفد وعظ الأنبياء إلى أن تفسخت مملكة سليمان بعد موته مباشرة إلى مملكتين متعاديتين متحاربتين: السامرة في شمال فلسطين، ويهوذا في جنوبها، كل منهما تُكفّر الأخرى، وتسخر منها، ومن شريعتها وكتبها، حتى دمّر المملكة الشمالية الامبراطور الأشوري «سلمانصًر» وأتم هذا الفتح خليفته «سرجون الثاني» الذي أجلى السامرة من أهل مملكة إسرائيل، نحو سنة 720 قبل الميلاد، بعد أن أخفقت محاولات الإصلاح على يد أنبياء إسرائيل، الذين كان من آخرهم ـ وأشهرهم ـ إشعيا وهُوشع.

ومرة أخرى ذهبت أصوات أنبياء السامرة سدى! وتقول الأساطير اليهودية إن الذين شردّهم الأشوريون كانوا عشر قبائل من مجموع اثنتي عشرة هم كلّ أسباط بني إسرائيل، وأن تلك القبائل العشر ما لبثت أن تشتت في جميع أنحاء العالم، بحيث «ضاعت» وسط شعوب الأرض.

مملكة تفنى.. وأخرى تقاوم إلى حين!

قال الراوي: وإذا رأيت ـ بين سكان الأرض ـ إنسانا يعطف على اليهود أو يرحمهم، فتأكد من أنه من سلالة تلك «القبائل العشر الضائعة»؛ إذ من المستحيل أن يعطف على بني إسرائيل، أو يرحمهم، من لا يجري في

عروقه دم من بني إسرائيل، بفضل الاختلاط بتلك القبائل العشر الضائعة!.

وحاول الأباطرة الأشوريون إسقاط مملكة يهوذا الجنوبية التي كان يتعاقب على عرشها ملوك من سلالة سليمان بن داود عليهما السلام، ولكن كان منهم ملوك عادلون مستقيمون نجوا من الكارثة، أشهرهم يوشياهو بن أمون الذي تُوّج ملكا في أورشليم عام 641 قبل الميلاد، وحكم اليهود إحدى وثلاثين سنة إلى أن هاجمه فرعون مصر «نخاو» وقتله، عام 610 ق.م. وعُثر في عهده على نسخة من التوراة في أعمال معمارية كان قد أمر بها في المعبد المركزي الذي شيده سليمان عليه السلام، فقرر يوشياهو أن هذا الكتاب الذي أنزل على موسى فأهملته الأمة ونسيته، وأمر بإحياء شريعة موسى وانتقل بنفسه إلى المعبد فحطم ما فيه من الأصنام، وقتل كهنة تلك الأصنام، والنساء اللائي يؤجّرن أنفسهن للزنا، تقربا لهذه الأصنام، وكذلك الغلمان المبذولين للّواط، والسحرة والعرّافين والدجالين، وأحرق كل ذلك وذرّى رماده على قبور أسلافه محمّلا إياهم كل تلك الموبقات. وفي عهده ظهر إرميا النبي، ابن حلقيا الكاهن الأعظم للهيكل، فاهتم بمحاربة دعاة الفساد والرذيلة والبدع والخرافات الوثنية، وحذر من الكذّابين مدّعي النبوة الداعين إلى المقاومة الصهيونية ضد الإمبراطور الكلداني بختنصر، الذي كان يحاصر أورشليم بجيش كثيف بقيادة «نبو زرَدان» أحد مشاهير القادة في جيش بختنصر.

كما كانت الحملة المصرية التي وجهها «نخاو» إلى أورشليم قد أضعفت من معنويات اليهود الهشّة في ذاك الوقت، وكان النبي إرميا يدعو إلى حل الأزمة مع بختنصر (سلميًا)، فقام في وجهه المتشددون، وكان الملك يوشياهو قد قُتل في المعركة مع فرعون مصر نخاو - كما ذكرنا -، وخلفه ملوك ضعاف، فأولهم «يو أخاز» أسقطه الفرعون «نخاو» عن العرش، فخلفه «يواقيم» أو «يهوياقيم» الذي تم في زمانه اقتحام الجيش الكلداني لأورشليم، والقبض عليه هو وأسرته وأسرهم مع بقية يهود فلسطين، وتوجيههم إلى بابل في معتقل ضخم اسمه «تل أبيب» خلعت الصهيونية العالمية اسمه على «تل أبيب» أضخم قاعدة لهم - 1929 من القرن الحالي - حتى لا ينسى اليهود هزيمتهم القديمة، والثأر لها من أبناء المنطقة كلها! وقد شهد النبي إرميا كل هذه الكوارث التي كان يحذر منها، ونظرًا لأن الأنبياء الكذابين كانوا يتهمونه بالولاء لعدوهم الكلداني «بختنصر»؛ فإنه آثر - حتى لا يثبت التهمة على نفسه - أن يلجأ إلى مصر، العدوّ التقليدي للبابليين والأشوريين والكلدانيين في العراق، ولحقه أفراد من المتشددين اليهود فاغتالوه في دلتا النيل، بالقرب من «المحلة الكبرى» وقبره معروف هناك. وانتهت بذلك آخر أسرة حاكمة يهودية في فلسطين، أسسها داود وابنه سليمان، وأرادا لها أن تكون حكومة سلام، مطيعة لله، ومتمسكة بالسلام مع جميع جيرانها، مسالمة للجميع، محافظة على السلام الروحي مع الله سبحانه وتعالى، فنقضت هذا العهد بسرعة، وأنذر أنبياؤها بهذه العاقبة، فباءت بغضب من الله، من ذاك الوقت إلى الآن، على الرغم مما تتبجح به الصهيونية المعاصرة من انتصار وهيبة وعدوان على الجيران.

بدء ظهور اليهود القرّائين

وتوالت حركات الإصلاح، وفي كل مرة ينبري لها الإرهابيون والمتشددون والمتعصبون فيصدّعونها ويفسخونها، لأن الإصلاحيين كانت قبلة أنظارهم دائمًا الإيمان بالله الأبدي الموجود في الكون كله، وليس في فلسطين وحدها، وربّ الناس جميعا وليس رب اليهود وحدهم، مهما ادّعوا أنهم شعبه المختار، فقوم موسى، وقوم إبراهيم قبله، اختارهم ربهم لأنهم - في وسط عالم من الوثنية والشرك - كانوا منفردين بتوحيده وطاعته، أما الآن فإن طاعة الله وتوحيده قد جاء به المسيح، ثم النبي محمد عليهما الصلاة والسلام، ونادى بذلك حكماء وفلاسفة في كل زمان ومكان، مما أسقط عن بني إسرائيل هذه الخصوصية بعد موسى ومن أعقبه من الرسل والأنبياء عليهم سلام الله، ولم يعد اليهود «مختارين» لطاعة الله وحدهم، وليتهم أطاعوا موسى وآمنوا بتوراته وكفّوا منذ القدم عن عبادة الدينار والدولار، والأقوياء الطغاة من حكّام العالم في كل زمان ومكان!

> **كلما ظهرت حركة إصلاحية بين اليهود انبرى لها الإرهابيون والمتشددون فيهم لتصديعها وتفسيخها؛ لأن الإصلاحيين كانت قبلة أنظارهم دائمًا: الإيمان بالله رب الناس جميعًا وليس اليهود وحدهم**

وفي كل عصر يحاول مفكر يهودي أن يأخذ بأيديهم إلى طريق الهداية، فيقوم في وجهه غاضبون متعصبون، يؤولون شريعة موسى حسب أهوائهم ثم يسجلونها لتكون دستورًا لتقاتلهم مع الأمم الأخرى حتى من لا يؤمن بهذه التعاليم المتراكمة في ما يسمى بالتلمود، ثم «القبالة» و«الزوهر» و«البهير» وما شابهها من خرافات باطنية صوفية تدور كلها حول محور واحد هو قتل أعداء اليهود أو تخريب ما يعملونه لتحسين حياتهم، ومسايرة الزمن وما تقتضيه من نماء وتطور.

وظهر الإسلام بما فيه من سماحة وحرية وترحيب بما ينفع البشر جميعًا، حتى من حضارات غير المسلمين، وقام أحد علماء الدين اليهود في العصر العباسي الأول هو «عنان بن داود»، وكان مرشحا لتولي منصب (رأس الجالوت) - أي رئيس الجالية اليهودية - في الدولة الإسلامية كلها. وكان متبحرًا في الديانة اليهودية، ولكنه كان فيها متحررًا جدا، جريئا في اجتهاداته، فوجد من القوم عزوفًا عنه حتى بايعوا أخاه الأصغر لشدة امتثاله لأوامرهم. وسمع أن علماء المعتزلة المسلمين يقولون بامتثال السنة (العملية) التي أخذوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتداءً به جيلا بعد جيل، وتوقفوا في السنة (القولية) ولم يعدّوا منها مصدرًا للتشريع إلا الأحاديث المتواترة، وأجازوا من غير المتواتر: الصحيح، والحسن إذا كان يوضح آيات من كتاب الله، أي إنهم ضيّقوا حجية السنة القولية. والتقط عنان بن داود هذا الرأي، فرفض التلمود بتمامه، لأنه كله، بما حواه من تفاسير وتخريجات وأساطير وعنعنات، غير ثابت أو صحيح الرواية بأسانيد متصلة عن موسى عليه السلام، وأن الحجة في الدين اليهودي تنحصر في الكتاب الواجبة (قراءته) في العبادة، وهو التوراة الموسوية، وكتب الأنبياء الذين ظهروا بعد موسى في بني إسرائيل، والنصوص الدينية التي سُجلت في الجزء الأخير من «العهد القديم» باسم «كتب الحكمة». وكان رفض التلمود بخرافاته من قِبَل عنان بن داود يُوصف بأنه كفر، وانسلاخ من الشريعة اليهودية.

وأعلن شيوخ اليهود تكفير عنان، واتهموه بالهرطقة والزندقة، وأشاروا إلى أنه قضى سنين من شبابه في إيران، فتأثر ببقايا المجوسية بين جهلة الإيرانيين، وشكوه إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، فأمر بوضعه في السجن. وتصادف أن كان في ذلك السجن نفسه الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان لامتناعه عن تولي القضاء، ولما سمع من عنان قصته أشار عليه بأن يدافع عن نفسه، لدى الحكومة الإسلامية، بأنه «صاحب مذهب» مخالف لعامة اليهود فقط، وأنه مازال يهوديا من «أهل الذمة»؛ فأقرّه أمير المؤمنين، وأطلقه، واشتهر مذهبه باسم «القرّائين». ومنذ شيوخ الصدوقيين المعاصرين للمسيح عليه السلام، الذين كانوا يرفضون كل اعتقاد يهودي لم يرد به نص صريح في التوراة، لم تقم حركة يهودية إصلاحية في قوة القرائين. وصدرت الفتاوى من «الربّيين» أتباع التلمود

اليهود الإصلاحيون.. والمسيرة الشاقة

باعتبار القرائين كُفّارا لا تجوز ذبيحتهم، ولا يدخلون معابد اليهود التلموديين، ولا يجوز لعامة اليهود التقليديين الزواج منهم. وهكذا استقل القراؤون بمعابدهم وعلومهم الدينية، وهم مكروهون من المؤمنين بالتلمود. وكان أكثر القرائين يعيشون في العالم الإسلامي، وفي بعض أطراف الامبراطورية العثمانية وفي شبه جزيرة القرم في روسيا القديمة، ودأبت الصهيونية على جمعهم في فلسطين ضد إرادتهم، وهم هناك ضحية تفرقة دينية كانت في منتهى القسوة، ولكن خفّ عنهم الاضطهاد، حتى سمح لهم بإقامة معابد خاصة بهم. وكان لهم زعيم ديني زاملني في الدراسة بباريس بعض الوقت، هو الحاخام «شيشمان» الذي كان يخشى السفر إلى إسرائيل خوفا من أن تمنعه الصهيونية من الخروج، فيصبح «رهينة» عندهم لمساومة القرائين، لأنهم كانوا يعدون الصهيونية من خرافات التلمود وضلالاته، ومازال القراؤون يبيح علماؤهم طبخ اللحم بالزبدة - وهو حرام عند التلموديين - ولا يحلّون من الصيد إلا الظباء، ويحرمون الطيور ما عدا الحمام!

محاربة الإصلاح للاستفادة من الأوضاع!

لم يؤثّر القراؤون في بقية اليهود، لأن هذه البقية وجدت من علمائها وفقهائها نشاطا كبيرا في خدمة التلمود وتيسير المعرفة به؛ إما بشرحه، وإما بتلخيص قصصه، وإما بإلقاء أضواء منه على التاريخ القومي لليهود، وربط هذا كله بالبطولات الأسطورية القديمة لليهود. ونشير من ذلك إلى كتاب ألفه - باللغة العربية - العلاّمة اليهودي سعيد بن يوسف الفيومي، المشهور باسم «سعديا جأون» وجعل عنوان كتابه هذا «الرد على عنان». والحقيقة أن تحرّر المذهب القرّائي من الأحقاد التلمودية، وشعور اليهودي العادي بأن هذا الحقد مقدس، إلى أن يعاد مُلك داود وسليمان في فلسطين، وإلى أن يثأر اليهود من أعدائهم، بدءاً ببابل - وطن بختنصر -: يا بنت بابل المخربة! طوبى لمن يأخذ أولادك فيضرب بهم الصخر! (المزامير - رقم37) وهو بالتأكيد ليس من مزامير داود، الذي عاش قبل تلك الحوادث بخمسة سنة! هذا النشاط الواسع أضعف من تقبّل اليهودي العادي للإصلاح القرّائي. يضاف إلى ذلك أن الثري اليهودي - ككل أثرياء العالم - لا يسعى لتغيير الأوضاع، لأنه مستفيد منها. وأثرياء اليهود ومشقفوهم كانوا كثيرين في أيام الدولة العباسية في المشرق، وكذلك في أيام الإسلام في الأندلس، ولم يكن التعايش بين المسلمين والأقليات الدينية يتعرض لأية هزّات خطيرة ما دامت الدولة قوية مهيبة، والرخاء في متناول الناس على اختلاف انتمائهم. وفي تلك العصور تم ضبط قواعد اللغة العبرية وجمع ألفاظها في مؤلفات وصل إلينا كثير منها.

من ذلك كتاب «التنقيح» الذي ألفه اليهودي أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي الأندلسي نحو سنة 1000 ميلادية، وقسمه جزأين: أولهما: النحو، وسمّاه «كتاب اللُّمَع»، وثانيهما: معجم لألفاظ اللغة العبرية - مشروحة بالعربية - سماه «كتاب الأصول». وألف أبو سليمان داود بن إبراهيم الفاسي، نزيل الفسطاط بمصر، معجما لألفاظ اللغة العبرية مشروحة بالعربية عنوانه العربي «كتاب جامع الألفاظ» وبالعبرية «إغرون»، ويظن كثير من الباحثين أن المؤلف كان من طائفة القرّائين، لأنه - على ضخامة كتابه - لم يذكر فيه كلمة تلمودية واحدة.

وإذ كان «الإصلاح» في الدين اليهودي يعد «ظاهرة» واكبت الرسالة الإلهية لموسى، فإن ذلك أوضح دليل على ما لازم هذا الدين من انحراف

لم يستطع اليهود القرّاؤون التأثير في بقية اليهود؛ لأن هذه البقية وجدت من علمائها نشاطًا كبيرًا في خدمة التلمود وتيسير المعرفة به، وربط هذا كله بالبطولات الأسطورية عند اليهود

وتحريف ومن جرائم أيضا. ذلك لأن التبرم بالفساد تأكيد لخطورة هذا الفساد. وكان من أسهل الأمور على المحاكم اليهودية الحكم بالقتل لأوهى الأسباب. وفي كتابات المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي عاصر مولد المسيح عليه السلام، وتولى مهمة قيادية في حرب اليهود ضد الامبراطورية الرومانية بقيادة الإمبراطور الروماني «فسباسيان» وابنه وخليفته «تيتوس» عام 70م صور من التشرذم العقائدي بين اليهود - حتى في فلسطين في زمانه (من 34 - 100م تقريبا) -، وكان قد اشتهر قبله بسنين قلائل فيلسوف ومصلح ديني بين يهود الاسكندرية هو «فيلمون الاسكندراني» المولود عام 20 قبل الميلاد والمتوفى عام 54 ميلادية، وكان هذا الفيلسوف يمثل - في تطور الفلسفة - الانتقال إلى الأفلاطونية الجديدة بما امتازت به من إدخال دور العقل - إلى جانب المثاليات الوجدانية - في البحث في ما وراء الطبيعة على الخصوص، وله تفسير للتوراة (باليونانية) يعدّه الترائيون المتزمتون من اليهود من باب «التأويل» الذي لا يهتم كثيرا بمنطوق اللفظ ومعناه العادي. فعنده أن الحيّة التي قدمت الفاكهة المحرّمة إلى حواء وآدم لم تكن مجرد حية من تلك الزواحف التي نعرفها، لأن حيوانات الجنة غير مؤذية أصلاً، لولا أن الشيطان - حتى يتسلل إلى الجنة - تلبّس في بدن الحية، وفي القرآن الكريم لا ذكر للحيّة، بل للشيطان، وبهذا الرأي أخذ العالم البريطاني الحديث «السير جيمس هنري فريزر» في كتابه «الفولكلور في العهد القديم» (ترجمته إلى العربية من الطبعة المختصرة الدكتوره نبيلة إبراهيم سالم، وراجعه الدكتور حسن ظاظا). وفي مناهج تفسير الكتابات الدينية يبدو الخروج عن المعنى الحرفي للألفاظ إلى معان رمزية أو تأويلية أمر تحتمه بعض وجوه التعبير.

سبينوزا.. من أشهر الضحايا!

ولو شئنا أن نتتبع حركات الإصلاح اليهودية، وموقف كل حركة منها ساعة (الصدمة) مع صخرة المحافظة لطال بنا الحديث، وارتفعت حوله الضوضاء قبولاً ورفضاً من كل جانب، لذلك أقتصر على الحركات التي تركت بصماتها واضحة على الدين اليهودي، وأقفز بسرعة من الشرق إلى الغرب، لأقدّم مفكرا يهوديا كان اليهود من معاصريه في القرن السابع عشر الميلادي بأوربا - أو جزء منهم على الأقل - يتمنون لو لم يكن يهوديا وهو: باروخ سبينوزا. وطنه هولندا، ومدينته «أمستردام» وكان مولده بها عام 1632م وتوفي بقرية قريبة منها عام 1677م. بدا دراسته في مدرسة يهودية لدراسة التلمود والتوراة اسمها «شجرة الحياة»، ثم زاد اهتمامه بالعلوم الكونية مثل علم الأحياء والفلك، واهتم بفلسفة «ديكارت»، ومن ثم بدا عليه عدم الاهتمام بتراث أسلافه، إذ راحت تتأصل فيه أفكار أخرى كان الآخرون يعدّونها «إلحادية» أو «منحرفة» على الأقل، مما أدّى بأبناء طائفته في أمستردام إلى أن يعلنوا طرده من الطائفة. وحتى نتصور الإطار الفكري والثقافي لليهود في تلك الأزمان - بعد زوال الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، وضعف المشرق الإسلامي في ظل المماليك والعثمانيين - فقد عادت التفرقة الدينية إلى أوربا: إجماع على كراهية المسلمين والعرب، واحتقار اليهود واضطهادهم، مما حدا باليهود إلى أن يتترسوا خلف نصوصهم الدينية: التوراة وكتب الأنبياء وكتب الحكمة، ثم الشريعة الشفهية: المشنا والتلمود، ثم الكتب الصوفية الباطنية الروحانية: القبالة والزوهر والبهير، ثم كتب السحر والاتصال بالجن وبأرواح الموتى وما إليها من الخزعبلات.

وعلى مشارف عصر سبينوزا كانت أوربا الشرقية

مرتعا خصباً للأفاقين ومدّعي الولاية أو الكشف أو صنع المعجزات من اليهود ممن اشتهروا باسم «الحسيديم» أي الأتقياء، أو الذين يحملون لقب «جأون» أي العلماء، وهي أسماء لم تكن تطابق المسمى بحال من الأحوال، وكان يقوم في كل مستوطنة يهودية واحد من أولئك المحتالين، فيستغل بلاهة أولئك التعساء المحرومين، فيعيش بينهم، يجوعون ليطعموه، ويتحملون غضبه وأمره ونهيه طمعا في بركته أو خوفًا من لعنته، وتتسابق نساؤهم في التقرب إليه فلو طلبهن للمتعة المحرمة لبّينة بسرور تيمنا برضاه.

وفي غرب أوربا كان أمر التجمعات اليهودية أسوأ: إذ كانت أوكارًا للربا والزنا وإخفاء المسروقات والإيقاع بالسذج من الناس، وتسخيرهم لمآربهم غير المشروعة حتى كان انتقال اليهودي من مدينة إلى مدينة يحتاج إلى: 1- أن يكون مزودًا بشهادة تعريف. 2- وشهادة إذن بالانتقال. 3- شهادة كفيل. 4- بيان عن اسم الشخص الذي يقصد لقاءه في سفره. 5- مبلغ كاف من المال للذهاب والإياب. 6- في طريقه عليه ألاّ يمر داخل بلد مسيحي راكبًا. 7- وعليه أن يعلق على صدره «الحلقة» وهي حلقة من الخشب تدل على أنه يهودي (يبلغ وزنها في بعض الأحيان أكثر من خمسة كيلو جرامات). 8- في المدن والقرى عليه أن يلزم اليسار في سيره. وقائمة هذه الواجبات تطول ولا تكاد تنتهي.

وأشعر أن باروخ سبينوزا كان قد استبشر خيراً عندما طردته طائفته في أمستردام، فالرجل قد اكتشف أن الدين هو ثمرة إيمان العبد بربه فقط، ثم إنه وجد أن الإصرار على الحنين إلى فلسطين، والاستيلاء على مدينة «القدس» وتهويدها أو تنصيرها لا يساوي شيئًا عند الله، لدرجة أنه كان يقول إن معبد اليهود في أمستردام بهولندا لا يقل بركة عن هيكل سليمان في القدس. أما من أين كان يعيش فلم يكن ذلك من العلم أو الفلسفة أو التعليم، بل من صناعة العدسات والنظارات!

ذاع صيت سبينوزا في أوربا من أقصاها إلى أقصاها، وأمكنه الجهر بدعوته في المشكلة اليهودية، وهي أن دينه له هو، وليس أي حاخام أو قسيس أو شيخ مسؤولاً عنه إذا غضب الله عليه، كما لا يستطيع أي منهم أن يقاسمه في المكافأة التي يكافئه الله بها على عمله الصالح. وأزعجت الطائفة اليهودية في هولندا هذه الأفكار. فاجتمع مجلسها في يوم 27 يوليو/ تموز سنة 1656م وأصدر قراراً بتكفيره (حيرم)، وورد في مسوّغات التكفير أنه أعلن أن موسى - عليه السلام - لم يتسلم التوراة مكتوبة بيد الله، ولم يكتبها هو بيده!، ثم تشكيكه في كون آدم هو أوّل إنسان بشري على وجه الأرض! ثم إعلانه أن قوانين الطبيعة أولى بالاتباع من قوانين التوراة.. أو التلمود! وهنا انتقلت الطائفة من مجرد الغضب إلى صدور فتوى بضرورة قتله.

هاجر سبينوزا من أمستردام، بناءً على نصح تلاميذه، فتركها نحو عام 1660م إلى بلدة صغيرة قريبة هي ريجنسبورغ، وكان فيها كثير من النصارى البروتستنت المتسامحين، ثم غادرها ليسكن مدينة «فووربورغ» ثم رحل إلى «لاهاي» عام 1670م وبقي فيها حتى وفاته.

أما كتاباته الفلسفية ففي أولها دراسة عن فكر الفيلسوف الفرنسي «رينيه ديكارت» الذي كان يعجب به. فأسهب في عرض أفكاره. ثم نشر كتابًا لم يذكر اسمه عليه في طبعته الأولى وكان عنوانه: وثيقة. وراحت شهرة سبينوزا تتسق وتعلو حتى عُرض عليه أن يشغل كرسي الدراسات الفلسفية بجامعة هايدلبرج لكنه رفض. كما وصله عرض من لويس الرابع عشر أعظم ملوك فرنسا أن يجري عليه راتبًا ضخمًا مدى الحياة إذا هو جعل إهداء واحد من كتبه إلى ملك فرنسا، فرفض أيضًا، لأن فرنسا كانت قد قامت بغزو بلاده هولندا عام 1667م. وكان في ذاك الوقت قد أنهى أهم كتبه في «علم الأخلاق» ولكنه لم يجد له ناشرًا، وفي كل ذلك كان يواصل عمله في صنع العدسات البصرية أو النسيج.

أما مؤلفاته التي نُشرت بعد موته، فمنها نحو للغة العبرية، ومجموع رسائل. وقد تأثر أسلوبه في العرض والبحث العلمي بالأساليب المألوفة لدى شيوخ اليهود في العصور الوسطى مما جعل فهمه بصورة واضحة وتامة وعميقة من الأمور التي لا تخلو من إرهاق حتى للمثقف الأوروبي. ومازالت الأجيال تردد الآن بعض آرائه، كقوله مثلاً: الحياة في ظل العقل حياة في ظل الله. الأمن في الحياة اليومية، والديمقراطية ضروريان للوصول إلى المعرفة الحقة.

والأوربيون الآن، من النصارى أو اليهود، يعدّون سبينوزا مؤسس العقلانية الشمولية في فهم الدين، والتمييز بين نصوص المقدسات المسيحية واليهودية.

أما دراسته العميقة بعنوان: دراسة دينية سياسية، فإنها - على شهرتها - تبدو للقارئ كأنها مفككة، يعوزها الكثير من التماسك والإحكام. ومع كثرة تفكيره في الدين فقد مات وهو يعتقد أن مايقرأه اليهود والنصارى في كتبهم من أبعد مايكون عن الوحي السماوي!

ولم ينس باروخ سبينوزا أن مايؤكده في مايوجد في نصوص العهد القديم من اضطراب واختلاف في العبارة والصياغة والدلالة، والمؤثرات الأسلوبية ثبت كلها أن هذا الكلام ليس كلام الله، وأنه استفاد هذه الملاحظة من عالم يهودي أندلسي سبقه بأربعة قرون، هو الفقيه اليهودي، مفسر التوراة أبراهام بن عزرا، تلميذ علماء العرب الأندلسيين وأول من ألّف في علوم البلاغة في اللغة العبرية آخذًا كل ماذكره في كتاب له خصصه لذلك من علماء المسلمين الذين كتبوا في علوم الأسلوب وإعجاز القرآن ونقد الشعر وعلوم البلاغة. إلا أن هدف أبراهام بن عزرا كان التوفيق لا التفريق.

لماذا يخافون من كل شيء؟

لكن كل احتفظ بحد أدنى من مظاهر الحضارة والنظام، في الوقت الذي كان فيه شرق أوروبا غارقًا في التخلف، انصهرت فيه أمم كاملة في الجهل والتخلف والاستبداد والمجاعات وهجما بالذئاب والدبية والنخاسين المتربصين لخطف الصبايا والغلمان وبيعهم في أسواق الرقيق لدى الفرس والأتراك. وعانت جموع اليهود هناك من هجمات القوزاق طورًا، وإرهاب جباة الضرائب تارة، وجنون شيوخهم بالمحافظة على عالم بلا أمل وبلا راحة من جهة أخرى؛ حتى امتلأت مواطن اليهود باليأس والبؤس، واشتعلت نيران العداوة بين الطوائف الدينية من كاثوليك وأرثوذكس ويهود أشد ماتكون مرارة ووحشية. وفي رأيي أن نتفرغ لدراسة المجتمع اليهودي في تلك الأصقاع النائية حتى نفهم مبلغ الشراسة والوحشية التي يعاني منها الفلسطينيون العرب مسيحيين ومسلمين من هذه الموجات اليهودية من المهاجرين الذين نزح معظمهم من شرق أوروبا: بولندا وبلغاريا وروسيا وأوكرانيا والقرم هربًا من جحيم التمييز الديني والعنصري ومن الفقر والجهل والمرض. وكان العرف عندهم أن من غلب سلب، وأن الصراع على الحياة بين طرفين مختلفين لا بد أن يأكل أحدهما الآخر، ولا فرصة للمنهزم في البقاء، فضلاً عن الحرية والكرامة. إن مأساة اكتساح التتار للدولة الإسلامية تشبه ماكان يجري في شرق أوروبا، وفي مواطن اليهود بها. فهؤلاء الناس عاشوا أجيالاً متتابعة في هلع

علينا أن نتفرغ لدراسة المجتمع اليهودي حتى نفهم مبلغ الشراسة والوحشية التي يعاني منها الفلسطينيون العرب من هذه الموجات اليهودية من المهاجرين الذين نزح معظمهم من شرق أوربا

الحروب، وفزع المفاجآت، فإذا سمعناهم الآن في فلسطين يقولون: «أمن إسرائيل» فإن ترجمة ذلك: «والموت للآخرين» ولا يمكن أن يتغير هذا إلا بصلح عادل، تضمنه دول قوية يُحسب لها حساب، ولزمن طويل. ويكفي أن نذكّر بمذبحة يهودية واحدة في أوربا الشرقية قام بها القوزاق وساعدهم المسيحيون في تلك النواحي، كان ذلك في 10يونيو/ حزيران من عام 1648م؛ أي عندما كان سبينوزا في هولندا يعيش حياته، ويجد فرصة للتعبير عن نفسه بلا خوف ولا وجل، اللهمّ إلاّ من المتحجرين من حاخامات اليهود أنفسهم، ومع ذلك لم يقتله أحد في هذا الوقت نفسه، بل كانت أمستردام بيهودها الأثرياء الوجهاء تتبرع بمبالغ طائلة لافتداء العبيد اليهود الذين باعهم النخاسون للأتراك.

في هذا اليوم، وفي السهوب البولونية ـ الروسية، جاء قائد القوزاق شميلنيلي وفتك أولاً باليهود، ثم ترك قطعان القوزاق تهاجم البولنديين وتنهب بيوتهم. وانتهت المذبحة بأكثر من خمسة آلاف قتيل من البولنديين واليهود، في يوم واحد.

أدى هذا اليأس إلى انطواء بعض اليهود على أنفسهم، خائفين من كل شيء، كارهين لكل إنسان. وهؤلاء هم الذين قذفت بهم الصهيونية إلى قلب العالم العربي: فلسطين. ومنذ ثمانين عامًا ونحن ننادي بالسلام، وندفع ثمنه غاليًا، وننظر من حولنا فإذا بنا قد فقدنا كل شيء.. حتى الكرامة! وعفوًا.. أنا لست من دعاة الحرب ولا من أنصار اللاسامية (اضطهاد اليهود والتعصب ضدهم)، لكن الإنسان إذا رأى أهله وقومه لا يعدون لأمن بلادهم العدة الكافية لابد أن يشعر بالأسى والضياع. وهذه الأمة العربية الصابرة منذ نصف قرن وهي تردد في ذهول: إلى متى؟ والجواب: إلى أن تستطيعوا أن تردعوا المعتدي! أما السير في مظاهرة ـ مهما كانت ضخمة ـ بنظام وأدب، مع لافتات تحمل شعارات مختلفة المساحات والألوان فعمل لا يفهمه الخصم الذي ذاق مرارة الإبادة تعصف بأهله جميعًا في هجمات التنكيل ـ البُوغْرم في الاصطلاح الروسي، الذي أصبح عالميًا وخاصًا باليهود وممتلكاتهم وذويهم في عقر دارهم ـ وهم الآن يذيقون العرب ألوانًا من البوغرم، ولو استطاعوا أكثر من ذلك لفعلوا، ولو رجعنا إلى عام 1919م وإلى ثالث يوم من شهر يناير، لعرفنا أن الجنرال بيليورا أدار بنفسه بَشاعات من هذا (البوغرم) الذي شمل اليهود في كل الجزء الذي أخضعه البلاشفة لسلطانهم. وكان الحاكم بأمره فيه هو هذا الجنرال الأوكراني، وانتهى بعشرات الآلاف من القتلى الرجال، والنساء، والأطفال، ثم جاءت اللاسامية الألمانية والإيطالية، وكان لها من الضحايا ما لا يعلم عددهم إلاّ الله. فاليهود يحسبونهم بالملايين، والألمان فُرضَ عليهم دوليًا هذا الحساب، وبعض المحققين من المؤرخين يرون أن هذا العدد مبالغ فيه ومحسوب عليه من مات بالجوع أو الوباء.

تاريخ من الدماء والمؤامرات!

والخلاصة أن التاريخ اليهودي كله يجري في واد رهيب من الدماء والدموع، منذ فرعون، إلى أشور وبابل، إلى اليونان، فالرومان، فالبيزنطيين، فالمسيحيين، وفئات من المسلمين! لعلها الأقل تعطشًا لدماء اليهود، ثم محاكم التفتيش النصرانية، ثم الدكتاتوريات المعاصرة. ولم يعط أحد تعليلاً مقبولاً لهذا العداء. وفي رأيي أن هذا التاريخ الدامي الحافل بالمذابح والمؤامرات على نهب الأموال وتضييع الأرزاق، مع رغبة عنيدة في البقاء أمة وحدهم، كل هذا ـ على مدى عشرات القرون، وفي كل بقاع الأرض، ولا أستثني حتى أمريكا ـ أحالهم إلى فئة من الضواري، لها عند كل أمة ثأرٌ. ومن أجل هذا نادى سبينوزا بالشعار القائل: «كن يهوديًا في بيتك ومعبدك، ومواطنًا مخلصًا لأمتك!». وسنرى أن الوجه الأهم في مسيرة الإصلاح الشاقة عند اليهود، الذي لا يقل شأنًا عن سبينوزا بل قد يفوقه، هو «موسى مولسون»، وهو اسم إذا سمعه الصهاينة تأففوا، وإذا سمعه شيوخ اليهود ـ الذين تحجرت عظامهم على إبعاد عنصر الزمن من حسابهم ـ استعاذوا من الشيطان. مع أن حلمه الذي استنفد حياته كلها كان أن يحوّل اليهودي الكريه إلى أخ في الإنسانية يعبد ربّه ـ أو لا يعبده ـ على طريقته، ويرى في الناس جميعًا إخوة له، وعونًا على مواجهة تجربة الحياة الدنيا، ثم يحكم سبحانه وتعالى في أمر عباده من كل دين ومذهب وملّة بحكمه وعدله وعفوه وكرمه.

ونظرًا لأن دعوة الإصلاحيين اليهود دعوة ليس لها معين مادي وليس لها بريق المناصب ووجاهتها، ولا قعقعة «القوة الضاربة» وزمجرتها، فإن صوتها سيظل خافتًا إلاّ لو تنبّه من لهم مصلحة في تقليم أظافر الصهيونية، وإن شاء الله أرجو منه العون حتى أرافق اليهود الإصلاحيين في مسعاهم الإنساني الجليل، ليس لأنني ذو مصلحة في أن يتسع الخلاف بينهم وبين الصهيونية، فما يمكن تصور سعة الخلاف بين الطرفين إلى أكثر من هذا، لكن ليكتشف العالم المعاصر أن الصهيونية ليست إلاّ حركة استعمارية استيطانية غير إنسانية، تهدف إلى تشريد أمة بأسرها من وطنها الأصلي، وإحلال جماعات أخرى كل واحدة منها مختلفة عن الأخرى تمام الاختلاف في العادات والتقاليد ونظم الحياة، بل باللغة، وعمق العلاقة بالدين، فضلاً عن الفكر والثقافة والاكتفاء بمناقبيات قبلية لا تتكئ على أية أسانيد. ولعل العالم يكتشف في النهاية أنه سمع من الصهيونية أسطورة فآمن بها ببلاهة.

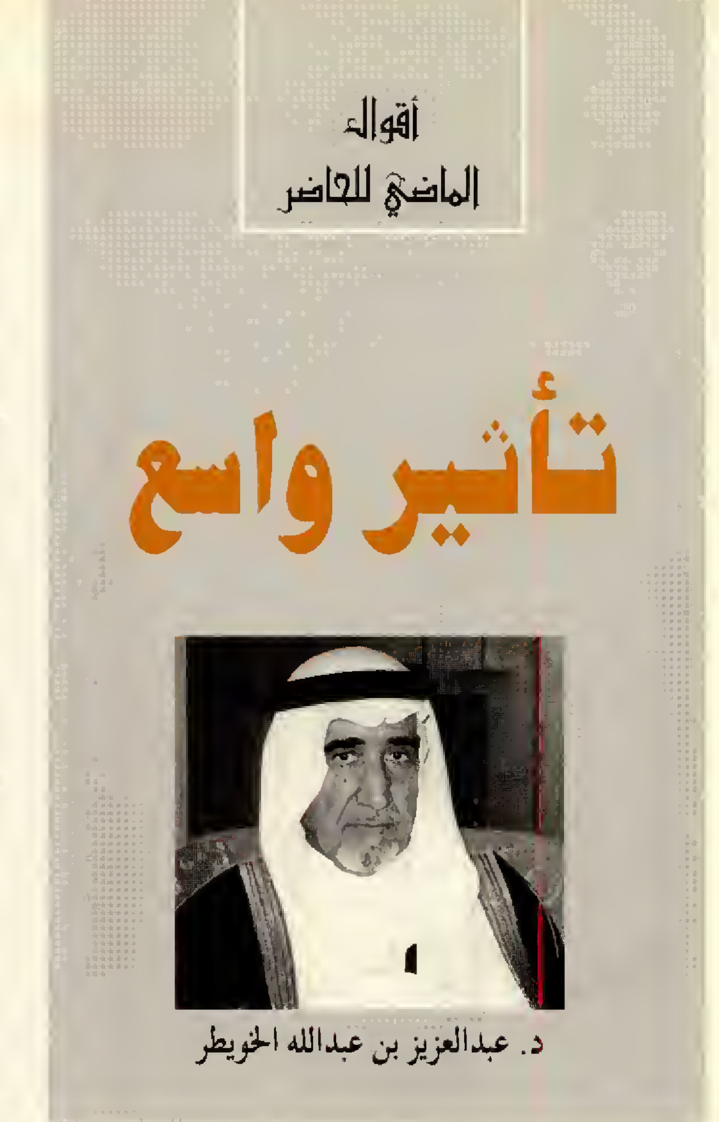
ولو رجعنا إلى أئمة الصهيونية الحديثة: بن غوريون وجابوتنسكي، وقبلهما تيودور هرتسل وغير هؤلاء من القادة والزعماء لظهر لنا بوضوح عدم عمق علاقتهم بالعقيدة اليهودية، وبدا لنا أن كل نشاطهم كان أساسه سياسيًا فقط، وعنصريًا وهميًا، واستعماريًا حقيقيًا.

ونشير هنا إلى شهادة من التاريخ اليهودي المعاصر لنا، وهو تأسيس «الاتحاد العام الدولي لليهود الإنسانيين العلمانيين»، ومؤتمر المنظمات اليهودية العلمانية، في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1985م، وهما منظمتان منبثقتان عن المركز اليهودي العلماني في بروكسل ببلجيكيا، والجمعية الإسرائيلية لليهود الإنسانيين العلمانيين، وتعددت المراكز العلمانية في الغرب، على إثر الانتفاضة الفلسطينية منذ عام 1990م، وبخاصة في فرنسا، حيث بدأت الاجتماعات العامة للمنظمات اليهودية العلمانية فيها في ربيع عام 1991م. وكان رد الفعل المنتظر لهذا التطور نشاطًا محمومًا من جانب اليهود المتزمتين (الأرثوذكس) كما يسمون أنفسهم، وواجهت تجمعات من أنصار «إعادة بناء المجتمع اليهودي»! وهي حركة فلسفية إصلاحية أمريكية المنشأ، أنشأها «مردخاي قبلان» لإعادة تكوين النظم اليهودية، وإمدادها بمزيد من الحياة والنشاط، انطلاقًا من فكرة أن الفكر اليهودي التقليدي قد أدركه الهرم وضعف الشيخوخة فاندحر إلى دهاليز التخلف والتأخر عن ركب الحضارة الإنسانية المعاصرة، ولكن هذا الاتجاه مايزال يراوح مكانه من الصهيونية: خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الوراء.

وهكذا تسعى حركة التحرر اليهودي لفرض نفسها على «الإصلاحيين»، ولكنهم ـ على عادة اليهود جميعًا ـ يظهرون للناس جميعًا وقلوبهم شتى. وإن كانت الصهيونية الاستعمارية أكثر منهم تفككًا وخلافًا، ولاسيما أن الصهيوني من عامة اليهود كان يراها ـ بسذاجة المقلّد الذي لم يفهم شيئًا ـ العودة إلى أرض الآباء والأجداد، أرض شاسعة مترامية الأطراف، أرض طيّبة معطاءة، تفيض لبنًا وعسلاً، ثم يصمت حزينا عندما يصل إليها فيجدها ضيقة صغيرة، قليلة الخيرات، فلا لبن ولا عسل، ولا حتى ما يكفي من الماء! أما الحرية فلا يراها المجند للصهيونية إلا بالموت.

وستكون لنا ـ بعون الله ـ وقفة، بل وقفات حول الأساليب اليهودية في الانعتاق من نير التلمود والحاخام، ولماذا لم تجد الدعوات الإصلاحية منذ القرن الخامس عشر ـ بل قبله بزمن طويل ـ استجابة من اليهود.

تأثير واسع



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

اندلاح العرب يمينًا ويسارًا من صحرائهم مع ظهور الإسلام، وبدء الفتوحات، وأبعدوا إلى حدود الصين؛ فاتصلوا بالحضارات القديمة، والديانات المختلفة، والعادات والتقاليد التي كانت سائدة في تلك البلدان، فرأوا من ذلك أنواعًا، وشاهدوا غرائب وعجائب؛ وكان لا بد أن يتأثروا مع الزمن بذلك، ويظهر بعض ذلك في أفعالهم، وأقوالهم، وتصرفاتهم ولباسهم.

وما يلمس الجوانب الروحية كان أقرب للاقتباس وأحرى بالتأثير؛ ودخل المجتمعَ في العصر العباسي، نتيجة الترجمة، ونقل الأفكار، شيءٌ كثير، جزء منه في الدين بعد أن أُلبس ثوب الإسلام، وصُبغ بصبغته، وأصبح لا يميز عما جاء به الإسلام إلا في بعض الجوانب، مثل المغالاة في العبادة، والانقطاع عن الدنيا، كما كان يفعل الهنود في بعض مللهم.

هذا أدى إلى التصدي لمثل هذه الأمور من علماء وَقَفُوا أنفسهم على نقض مثل هذا. ومن الأمور التي ظهرت وانتشرت بفعل التأثير الأجنبي: التصوف، وقد انتشر في المحيط العربي، ساذجًا في أول الأمر، لا يعدو أن يكون انقطاعًا للعبادة وتقشفًا في المأكل والملبس؛ ثم تطور إلى مدارس مختلفة، وانتشر في البلدان الإسلامية؛ وأصبح عنصر فرقة بين المسلمين، زاد فئاتهم فئات، وطوائفهم طوائف، ودخل فيه من الطقوس غير الإسلامية ما جعل بعضه يدخل في مظهر السخرية والهزء مما يراه فيه الإنسان؛ ولا يزال قائمًا، وله متعصبون؛ وقوّاه أن أصبح أداة سياسية في بعض البلدان. والغريب، أو لعله ليس غريبًا عند إنعام النظر، أنه انضم إليه شباب متعلمون، عصبيةً أو سياسة، ولهم من هذا مكسب بطريق أو آخر؛ وهذا نتيجة التعليم الضحل، الذي لم يحمهم من الوقوع في شباك الصيادين المتربصين، وإذا لم يكن في بلادنا أثر ظاهر لهذا، فهو في بعض البلدان العربية، ينخر في كيان أهلها؛ وله مواسم تُذَكِّر الناس به، وتشدهم إليه.

فتأثير الديانات التي كانت سائدة في البلدان التي فُتحت كان كبيرًا؛ وفي بعض الأحيان يأتي ظاهرًا، وتسهل مقاومته، أو تهذيبه، وأحيانًا يأتي خفيًا، يدخل في المجتمع تدريجًا، ويستشري شرُّه دون أن يشعر به الناس، وعندما يتضح، وتبدأ أضراره، يكون قد عمّق جذوره، وأرسى قواعده، ودق إسفينه، ويحتاج إلى قوة خارقة لاقتلاعه وإزالة أثره.

والمتتبع لما ظهر في العصر العباسي من أفكار الإلحاد، والنبوّ الفكري، وما وقف في وجه هذا من مقاومة صادقة، تصدت له بقوة من الأفكار الإسلامية الصافية، وبإيمان راسخ، وعقيدة رصينة؛ يدرك قوة الهجمة، التي تعرَّض لها المجتمع حينئذ، والجهاد الموفق الذي وقف في طريقها.

وحاول المصلحون المخلصون أن يُبقوا المجتمع الإسلامي في وضع متوازن، كما أراد له الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلفاؤه الراشدون - رضي الله عنهم -؛ فالدين الإسلامي مثلاً جعل الأمر متوازنًا بين حق الدنيا وحق الآخرة؛ فلا يزحف أحدهما على حق الآخر؛ وفي هذا عمار الكون، وضمان الأجر في الآخرة؛ وفي هذا سعادة الإنسان دنيا ودينًا؛ فالدين الإسلامي

نبذ المغالاة، وحث على الأمر الوسط، ولكن بعض الأديان، ولعله اجتهاد من مصلحيها في ضوء فساد مجتمعهم، حثوا على الانقطاع للآخرة، وترك الدنيا خلف ظهرهم كلية، فأخذوا في الوعظ، وركزوا على جوانب، جاؤوا فيها بإخافة مرعبة، وهذا نموذج لأحدها، مما نُقل من اللغة الهندية إلى اللغة العربية:

«وفي كتاب للهند:

مثل الدنيا، وآفاتها، ومخاوفها، والموت، والمعاد الذي إليه مصير الإنسان، قال الحكيم:

وجدت مَثَلَ الدنيا، والمغرور بالدنيا، المملوءة آفات، مِثْل رجل ألجأه خوف إلى بئر، تدلى فيها، وتعلق بغصنين نابتين على شفير البئر؛ ووقعت رجلاه على شيء، فمدهما، فنظر، فإذا بحيَّات أربع، قد أطلعن رؤوسهن من جحورهن، ونظر إلى أسفل البئر، فإذا بثعبان فاغرٍ فاه نحوه، فرفع بصره إلى الغصن، الذي يتعلق به، فإذا في أصله جُرَذَان: أبيض وأسود، يقرضان الغصن دائبين، لا يفتُران، فبينما هو مغتم بنفسه، وابتغاء الحيلة في نجاته، إذ نظر فإذا بجانب منه جحر نحل، قد صنعن شيئًا من عسل، فتطاعم منه، فوجد حلاوته، فشغلته عن الفكر في أمره، والتماس النجاة لنفسه؛ ولم يذكر أن رجليه فوق أربع حيات، لا يدري متى تساوره إحداهن؛ وأن الجرذين دائبان في قرض الغصن، الذي يتعلق به، وأنهما إذا قطعاه وقع في لهوة التنين، ولم يزل غافلاً حتى هلك.

قال الحكيم:

فشبهت الدنيا المملوءة آفات وشرورًا ومخاوف بالبئر، وشبهت الأخلاط التي بني جسد الإنسان عليها من المِرَّتين والبلغم والدم، بالحيّات الأربع، وشبهت الحياة بالغصنين، اللذين تعلق بهما، وشبهت الليل والنهار، ودورانهما، في إفناء الأيام، والأجيال، بالجرذين: الأبيض والأسود، اللذين يقرضان الغصن دائبين، لا يفتران؛ وشبهت الموت الذي لا بد منه بالتنين الفاغر فاه؛ وشبهت الذي يرى الإنسان ويسمع (ويطعم) ويلمس، فيلهيه ذلك عن عاقبة أمره، وما إليها مصيره، بالعُسيلة التي تطاعمها».

[العقد الفريد: 3/68- 69، ت: أحمد أمين ورفيقيه، وكليلة ودمنة:85، ت: صابر يوسف، مكتبة القاهرة].

قصيدة

يا آسري

شعر: مروة حلاوة

ستظلُّ أجملَ روضةٍ في ناظري ... يا آسري.. لا تبتعد.. يا آسري

ألِفَتْ عيوني فيكَ.. أبهى منظرٍ ... فرشفتُ من عينيكَ عطرَ أزاهري

يا ألفَ لحنٍ.. راح يملأ خافقي ... بعذوبة نشوى.. وسحرٍ آسرِ

فأنا إذا ما غِبْت غابتْ فرحتي ... وإذا حَضَرْتَ.. فأنتَ كُلُّ مشاعري

ألقيْتُ في عينيك هَمِّي في غدي ... ومآسيَ الماضي.. وظُلمَ الحاضرِ

يا كُلَّ آمالي.. وبدْءَ ولادتي ... وعُذوبةَ النَّجوى.. لقلبي الحائرِ

الشوقُ في قلمي.. تُهدهدهُ المُنى ... فَيبوح بالشِّعرِ.. النديِّ.. الساحرِ

أنتَ الصباح لمُقلتي.. ولمهجتي ... يسري بأوردتي.. ويملأ ناظري

أنت العبير لروضتي.. ويراعتي ... ينسابُ في أنغام حُبِّي الطاهرِ

ومنابعُ الإلهام أنت.. وأنجُمي ... ومواسمي الجَذْلى.. وزَهْو دفاتري

تُصغي إليكَ الروح في سكَناتها ... والشِّعرُ يرفدني بنبعٍ غامرِ

فكأنك النورُ الوحيد لظُلمتي ... وكأنك السَّلوى لجوع خواطري

وأفرُّ.. لا أرنو.. وأنت مُقاربي ... وأصيح: يا لَهفي.. ولَسْتَ مُجاوري

يا أيُّها السَّاري لِقُدسِ عواطفي ... يا آسري.. لا تَبتعد.. يا آسري

التسامح والمساواة بين الواقع والأمل

د. محمد سيف يس

من ضمن تقاليد البحث العلمي الراسخة، أن يحدّد الباحث مفاهيم ومضامين المصطلحات الأساسية التي غالبًا ما يجعلها عنوانًا لبحثه، وذلك حتى لا تبقى مضامين هذه المصطلحات غائمة وضبابية ومحوطة بالغموض وعرضة للالتباس. فكثيرًا ما يحدث أن يتجادل اثنان، ثم يكتشفان أخيرًا أن كل واحد منهما يتحدث عن شيء آخر. فالبداية إذن عن التعريف، وما من بداية أكثر منها علمية وموضوعية، وذلك لأنه إذا فُهم المراد كان الكلام في قبول صوابه ورد خطئه على سنن مرضية وطريقة معروفة. لهذا كله أجد نفسي ملزمًا تقديم المضمون الواضح والمحدد لمصطلح «ثقافة»، وسأبقى ملتزمًا هذا المضمون على امتداد هذا المقال.

إن أكثر المفاهيم تداولاً، هي أكثرها حاجة إلى التوضيح والتحديد(1). تصدق هذه المقولة أكثر ما تصدق على مفهوم الثقافة Culture، وذلك لأسباب كثيرة، منها التعقيد الذي تمتاز به الظاهرة التي يحاول المفهوم الإحاطة بها، والتغيير الذي يطرأ على المفهوم عبر الزمن، شأنه في ذلك شأن المفاهيم الأخرى في العلوم الإنسانية، وارتباط المفهوم ارتباطًا وثيقًا بالتوجهات الفكرية (الأيديولوجية) للكتّاب، بوعي أو بغير وعي، باسم شرائح اجتماعية مختلفة داخل القطر الواحد، أو باسم ثقافات بأكملها كما هو الحال بالنسبة للمستشرقين من أبناء الغرب؛ مما اضطر الباحثين لابتداع مصطلح «المركزية الاثنية» للتعبير عن هذا المنحنى في دراسة ثقافات الآخرين»(2). فما هي الثقافة؟

محاولات لوضع تعريف محدد

ترجع كلمة Culture، أي ثقافة، في أصلها إلى الفعل اللاتيني Colere، وهو يعني فعل الزراعة، أو فلاحة المحاصيل، أو تربية الماشية. وقد ظل معنى الزراعة - حتى في الاستعمالات الحديثة - واضحًا في اللغات الأوربية في فعل الكلمة Culti-vate، ومن الاستعمالات القديمة للكلمة في اللاتينية استعمالها بمعنى التمجيد والتعظيم، وبمعنى الدرس والتحصيل العلمي، ثم استعمل في امتداد لهذا المعنى لوصف تنمية العقل وفلاحته.

هناك العديد من التعريفات التي حاولت تحديد معنى هذا المصطلح، منها الفلسفي ومنها العلمي، لكن مهمة هذا المقال لا تنحصر في التعرض لها بُغية مناقشتها أو إبداء الرأي فيها، فهذا لا يغنيه في كثير أو قليل. فالمقال على سبيل المثال لا يُعنى بمفهوم الثقافة الاحترافية المتخصصة، ولا بمفهوم ثقافة الإلمام من كل شيء بطرف، وهو ما يسمى اليوم بالثقافة الشاملة - وهي إلمام الشخص بمحتويات عصره في العلوم والفنون والآداب بقدر يسير أو كثير - كما أنه لا يُعنى بالثقافة بمفهوم ما زاد على حرفة الشخص أو مهنته. إنما يُعنى هذا المقال بالثقافة انطلاقًا من المفهوم الإنساني (الانثروبولوجي)، وهي ذلك الكل المعقّد الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والتقاليد وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع، إلى جانب المميزات الاجتماعية والسكانية (الديموغرافية) والمواقف التي يتخذها المجتمع. وهو ذلك المفهوم الذي ساد في نهاية القرن الثامن عشر، وخاصة في ألمانيا وإنجلترا بشكل تعميمي للحديث عن الروح Spirit التي تحرك جميع مظاهر الحياة التي تميز مجموعة محدودة من البشر(3).

فالثقافة المقصودة في هذا المقال هي الموروث الحضاري من لغة ومعتقدات وفنون وآداب وطريقة وسلوك في الحياة. هي كل تلك العناصر التي تميز المجموعة من غيرها من المجموعات، والتي تهيمن على الأفراد في المجموعة نفسها، وتجعل تصرفاتهم بعضهم نحو بعض، أو نحو غيرهم من الناس متشابهة إلى حد ما، بسبب تشابه العناصر التي دخلت في تكوينهم. فالثقافة التي تعنينا هي مجموع تلك العناصر التي تدخل في تكوين مجتمع ما وتميزه من غيره من المجتمعات وتجعل تصرفات أفراده متشابهة متميزة(4).

أما مصطلح «الثقافة الغربية» الذي سوف يكون

ثقافات العالم..

محوراً من محاور هذا المقال، فقد صُمّم بهذه الصيغة، لأن دول غرب أوربا هي أهم مقياس لهذه الثقافة. فهي أهم مهد لها في صناعتها ونظمها وقوانينها ومؤسساتها الرسمية والاجتماعية. والجدير بالذكر أنه كان يُطلق على هذه الثقافة «الثقافة الأوربية» ولكن، بعد اعتراض الأمريكان على هذه التسمية، بحسبانهم شاركوا في صنع هذه الثقافة ونشرها، فقد اتُّفق على تسميتها «الثقافة الغربية» دون ربطها بأوربا ربطًا محكمًا.

في البدء أستميح القارئ الكريم عذراً في أن أبدأ مضمون هذا المقال بسؤال، وذلك لأن الإجابة عنه تمثل العمود الفقري في معالجة الموضوع الذي يود طرحه؛ والسؤال هو: كيف نستطيع حفظ الثقافات الإنسانية غير الغربية وصونها ونشرها وممارستها في عالمنا هذا الذي يميل إلى التعقيد، الذي يضم ثقافة غربية متسلطة لا همّ لها سوى السعي لافتراس كل الثقافات الأخرى التي لا تتناغم معها ولا تماثلها في الشكل والمضمون والتهامها؟

ثقافات مهددة بالزوال

بات من المؤكد أن كثيراً من الثقافات الإنسانية، وخاصة في بلدان ما يعرف بالعالم الثالث، قد اندثرت أو هي في طريقها للاندثار. ومن المؤكد أيضًا أن استمرار هذه الظاهرة، دون التصدي الحاسم لها، سوف يهدد الإنجازات الأساسية لشعوب هذه البلدان ـ نقصد أساليب تعبيرهم الحياتية ونظم اتصالاتهم ـ بالزوال التام والنهائي، وسوف تكون النتيجة أن يدور العالم في فلك ثقافة واحدة أو ثقافات محدودة. إن مشكلة المنطق الداعي للإعراض عن الثقافات غير الغربية، هي أنه يقترح علينا إبدال ثقافة بثقافة، وإنشاء نظام ثقافي عالمي له لون واحد يقود حتمًا إلى الضيق والحيرة والاغتراب النفسي، ويفتقر إلى غنى الثقافات وتنوّعها.

لقد عوّد الكثيرون من أهل الغرب أنفسهم التعايش مع منطق حتمية الغزو الثقافي بحجة أنه أمر ضروري لابدّ منه لكي يتمكن بنو البشر ـ يقصدون ذواتهم ـ من التخلص إلى الأبد من الثقافات الضعيفة أو البدائية، أو ثقافات الإنسان غير المستأنس، إلى آخر تلك المصطلحات النابية، التي لا تغيب اللهجة التحقيرية فيها عن فطنة أحد. ومن المعروف أن دعاة الحروب قد لجؤوا، وما زالوا يلجؤون، إلى منطق التخلص من الضعف الإنساني في تسويغهم لشن حروبهم وضرورة القيام بها.

إن مثل هذا المنطق لا يعادي الإنسانية في كل زمان ومكان فحسب، وإنما يوضح جهلاً علميًا صارخًا، وفهمًا وتفسيراً خاطئًا لنظرية داروين يراد تطبيقه على الثقافات ونظمها الحياتية والتعبيرية.

لقد ارتأت دوائر الأمم المتحدة أن تخفف من قسوة المصطلحات التي يصف بها الغربيون الثقافات غير الغربية، وتنم عن صَلَف مبتكريها، فأطلقت على جمهرة هذه الثقافات «الثقافات النامية»، أو «الأقل نموًا» أو «ثقافات العالم الثالث»، وما يشبه ذلك من نعوت فيها بعض التهذيب. ومهما كانت هذه التسميات والنعوت، فإن المقصود بها أخيراً هو التخلف بوصفه حالة أو نمطًا لحياة اقتصادية واجتماعية مثقلة بأوزار كثيرة من الجهل والفقر والتردّي في مختلف جوانب حياة الشعوب غير الغربية وظروفها.

إن استعمال مصطلحات مثل «نام» و«أقل نموًا»، وهي مصطلحات تستعمل في المجال الاقتصادي، بمعنى عدم التقدم صناعيًا، وممارسة ما يُعرف باقتصاد من اليد إلى الفم ـ للتعبير عن ثقافات بعض الدول ـ هو استعمال غير موفق؛ وينم عن مقدار لا يستهان به من عدم العلمية. فتخلف هذه الدول اقتصاديًا لا يعني بالضرورة تخلفها ثقافيًا. إن بعض هذه الدول يمتلك ثقافات سلوكية إنسانية في درجة من نفاذ الرأي ويقظة الوعي لا تستطيع أن تتخيل درجة أبعد منها.

لقد أثبتت الدراسات العلمية والتجارب المكتسبة، بأنه لا توجد مجموعة بلا ثقافة، مهما صغرت ومهما ظهرت للمغير في أدنى درجات التأخر. وهي ظاهرة لا يرجع وجودها بالضرورة إلى ثنائية التأثر والتأثير، أو ثنائية الأخذ والعطاء. ولكل ثقافة بنيتها الخاصة بها، التي تشارك الثقافات الأخرى في بعض السمات، وتختلف عنها في بعضها الآخر. فالسمات المشتركة هي الدليل على إنسانية جميع البشر، في حين أن التباين دليل على خصوصية الثقافات(5). فمفهوم الثقافة يقوم ـ كما هو معروف ـ على أساس الوحدة في التنوع. كذلك أُثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن جميع الثقافات تمتلك المقدرة نفسها على التعبير والاتصال، على الرغم من أنها تمثل تقنيات ذات نظم إنتاجية مختلفة، وأن لكل منها قيمة في حد ذاتها وأهمية ومكانة خاصة بها. وذلك لسببين أساسيين هما:

ـ لأنها تثري حياة الذين أفرزوها وأبدعوها، وتنظم سلوكياتهم، وتخلق لديهم وجهة النظر الخاصة بهم، التي تميزهم من غيرهم.

ـ لأنها تحتوي على اكتشافات مهمّة في مجال البيئة الإنسانية والطبيعية، فهي تمثل بذلك كنزاً يزخر بطاقات وإمكانات خلق جماعي، استثمرت فيه شريحة من الجنس البشري عصارة فكرها ومقدراتها عبر القرون.

إن فقدان إحدى الثقافات الإنسانية، يفقد الفرد الذي ينتمي إليها كيفية التأمل والتفكير والإحساس، ويقود إلى تدمير توازنه الروحي، ويسلبه القدرة على التأقلم الذي يجعل حياته محتملة مع رقعة الأرض التي يسكنها. كذلك فإن هذا الفقدان سوف يحرم الإنسان من نعمة التداخل الثقافي الاختياري الواعي، وما ينتج منه من تأثيرات إيجابية متبادلة وإلمام وخيال، وهي ممارسات سوف يحتاج إليها الجنس البشري في المستقبل احتياجًا فعليًا.

إن الطريقة الوحيدة التي نستطيع من خلالها منع اندثار الإرث الثقافي الإنساني المتعدد المتكامل، تتجسد في التزامنا وتمسكنا بممارسة مبدأ التسامح

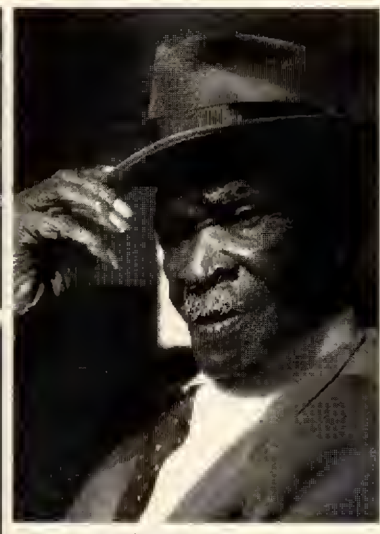
عود أهل الغرب أنفسهم التعايش مع منطق حتمية الغزو الثقافي ؛ كي يتمكنوا من التخلص من الثقافات التي يصفونها بالضعيفة أو البدائية

والمساواة بين الثقافات، أسوة بمحاولات التزامنا وتمسكنا بمبادئ المساواة السياسية والاجتماعية، بحيث يكون تداول كل ثقافات العالم - دون استثناء - من الأشياء المتاحة والمباحة بلا رقابة أو وصاية أو اضطهاد أو تمييز من أي نوع، بحيث تأخذ كل ثقافة من الثقافات الأخرى ما يناسب قيمها ومنطلقاتها.

العزلة معول لتحطيم الثقافات

يعتقد كثيرون أن العزلة الثقافية يمكن أن تمثل أهدى الطرائق التي يستطاع بها حماية الثقافات غير الغربية من الاندثار، ودفعها والسير بها نحو التقدم والازدهار، وذلك، لأن مجرد التقاء الثقافات يعني أن الثقافة الغالبة - وغالبًا ما تكون غربية نسبة لما لها من إمكانات غير محدودة - تقوم بفرض تصوراتها وقيمها وأنماط حياتها وسماتها على الثقافات الأخرى التي يكون دورها في هذه الحالة سلبيًا، فتستكين لها، وذلك لأنها مأخوذة بمظاهر قوتها وبحداثتها من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي لا تدرك حقيقة نواياها ولا تقدّر آثارها فيها ولا موقفها من نفسها. وعلى كل المنطق، الذي يحاول به دعاة حماية الثقافات غير الغربية من خلال عزلها ثقافيًا، دعم نظريتهم؛ فإنها تظهر - في الواقع - أمام أي تناول دقيق لها دون أساس تستند إليه؛ فمن المؤكد أن الثقافات لم تزدهر قط - طوال حقب التاريخ - ولم تحافظ على مكوناتها في جوٍّ من العزلة، بل في مناخ يكفل لها حرية الالتقاء بالثقافات الأخرى.

إن العزلة يمكن أن تهدم الثقافات وتحطمها بالقدر نفسه الذي يمكن أن تُحطِّم به شخصية الفرد عندما يختار هو، أو تُفرض عليه هذه العزلة، وإن الانغلاق على الذات يقود إلى الإفقار والتقهقر الحضاري. ومن المعروف أن الدوائر الثقافية التي سادت في الماضي واحتلت أهم المواقع وأخصبها في التاريخ الإنساني، هي تلك التي كان لها ما يُعرف باتصالات وعلاقات الند للند مع جيرانها أو مع المجموعات الإقليمية الأخرى، أو تلك التي كانت تقع في ملتقيات ومراكز طرق الهجرات الإنسانية، أو على أطرافها، ونذكر على سبيل المثال، ثقافة أثينا، وثقافات الوادي المركزي للمكسيك، وثقافات الشاطئ الغربي للولايات المتحدة، وأخيرًا السودان الذي التقت فيه ثقافات القارة السوداء بثقافات الشرق الأوسط عبر القرون. لقد كان التواصل المباشر بين الثقافات، طوال التاريخ القديم، سمة أساسية من سمات الشعوب، كذلك كان تواصلها عن بعد Cultural Telepathy أمرًا أيَّدت حدوثه البحوث العلمية الحديثة، وهو تواصل فطري وتلقائي نافذ وذو بصيرة ثاقبة يستطيع التقاط الجوهر من الحصى، وتمييز الطيب من الخبيث.



سيطرة الثقافة الغربية على غيرها من الشعوب لا يعني بالضرورة صلاحها وتفوقها الأخلاقي

لقد كانت الشعوب التابعة في العصر (الكلاسيكي) ملزمة دفع جزية سنوية للدول المسيطرة، أما اليوم فإن هذه الشعوب باتت ملزمة ومضطرة لشراء المنتجات الروحية الغربية - نعني الأفكار والمعتقدات والأدب والفنون والنظم التعليمية - إن كانت تريد لنفسها مسايرة الأسلوب الحياتي للمجتمع العالمي، الذي صاغه الغرب وصممه مدّعيًا أن اتّباعه أو ممارسته أمر ضروري لتهيئة المناخ لعملية التصنيع، التي ينبغي أن تكون هدف كل الدول غير الغربية للوصول إلى السعادة والرفاهية.

ولكننا نقول إن الصناعة ليست كلها خيرًا مطلقًا، فقد أثبتت التجارب أن الصناعة، إن لم يُكبح جماحها، فسوف تقود - كما حصل بالفعل - إلى التلوث البيئي بكل أشكاله المادية والروحية. من جانب آخر فإن ازدياد الإنتاج الصناعي السريع والمستمر - بوساطة الطاقة الذرية والكمبيوتر - قد أغرق الدنيا بكل أنواع السلع، الأمر الذي جعل تسويقها يشكّل مشكلة حقيقية، لذا تخلت كثير من الدول عن فكرة إقامة الصناعة بوصفها فلسفةً اقتصادية واتجهت إلى ميادين إنتاجية أخرى ذات عائد مضمون كالزراعة والسياحة وغيرهما.

حقيقة أخرى لا تتفق مع منطق حتمية إنشاء الصناعة في الدول غير الغربية، مؤداها أن آلات التقنية الصناعية وأدواتها التي تحمل ثقافتها معها تسعى دائمًا - شعوريًا أو لا شعوريًا - لتدمير الآلة المحلية والقضاء على البنيات الثقافية القومية؛ مما أدى إلى نضوب قدرات الإنسان الإبداعية ومهاراته الفطرية، وفنونه، فأخذت تضمر أنامل أصحاب الحرف الشعبية والتقليدية الدقيقة التي تشكل جانبًا من التراث، الذي هو جزء من الثقافة والتاريخ. وقد حدث أن انهارت بالفعل ثقافات تحت وطأة آلات الصناعة وأدواتها، والأمثلة أكثر من أن تُحصى.

إن التجربة اليابانية قد أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك خطأ منطق الغرب الداعي إلى أن تتبنى الشعوب غير الغربية أسلوبه الحياتي - الذي أفرزته الصناعة - إن هي أرادت الدخول إلى عالم الصناعة، إذ استطاعت اليابان - على تقدمها الصناعي - أن تحتفظ بنقائها الثقافي الموروث، وذلك بفضل اتّباع سياسة واعية صُممت من أجل توظيف إمكانات الصناعة في خدمة الموروث الثقافي، فبقيت مجموعة القيم المتوازنة التي تأخذ بها سليمة لم تُدمَّر - كما حدث في الغرب الصناعي - ولم تُصَب خلاياها بالعطب.

إن مكونات النظام الثقافي الغربي مستوحاة من مظاهر حياتية أفرزتها تلك البقعة في العالم التي تسمى الغرب، فهو إذن نظام يتلاءم مع خصوصيات هذه المظاهر الحياتية ويتفاعل معها ويعبّر عنها دون غيرها. عليه فإن الثقافة الغربية هي

ثقافة إقليمية صرف ليس فيها أي أثر لدعوى العالمية والشمول.

سيطرة بعض الثقافات لا يعني بالضرورة صلاحها

وإذا كانت هذه الثقافة قد غزت اليوم معظم أنحاء المعمورة، فإن هذا ليس معناه صلاح قيم هذه الثقافة وتفوقها الأخلاقي والمعنوي، بل هو راجع إلى قدرة منتجيها الاقتصادية والسياسية، التي تسمح لهم بالسيطرة على وسائل الإعلام الكبرى ـ التي تملك القدرة على الاختراق والتأثير في أي رقعة في العالم ـ والقرارات السياسية والاستراتيجية العالمية. إن كل ما نود قوله للمتأوروبيين ودعاة التغريب، والذين يقتنعون بصحة نظرية عالمية الثقافة الغربية، ويدعون إلى ممارستها واتخاذها سلوكًا، هو أن يتذكروا قولة ابن خلدون: «إن الإنسان ابن عوائده ومألوفه، لا ابن طبيعته ومزاجه، فالذي ألفه في الأحوال متى صار خلقًا وملكةً وعادةً، تنزّل منزلة الطبيعة والجبلّة». وهذه فرضية نظرية يمكن أن نجد لها الآن تأكيدًا في علم الاجتماع وعلم النفس الحديث. كذلك على دعاة التغريب أن يفكروا في الأمر كما لو كان من المحتمل أن يكونوا مخطئين. فالمطلوب وقفة مع الضمير، لأن الكارثة عندما تقع فلن تتجاوز أحدًا، ولن تميّز بين الرؤوس.

ليس هناك من سبب واحد يدعو إلى الاعتقاد بأن الدعوة إلى ديمقراطية الثقافات، ومقاومة الهيمنة الشاملة للثقافة الغربية يعنيان رفضًا للثقافة الغربية بكلياتها، وغض الطرف عن مكتسبات المعاصرة في مجال السلوك الحياتي. إن ما ندعو إليه أن يكون هناك تبادل وتفاعل وأخذ وعطاء إرادي بلا نوايا عدوانية وبلا مركزية نفوذ ثقافي.

ففي هذه الحالة فقط يحدث الازدهار والمحافظة على الجوهر في آن واحد؛ لأن ما يؤخذ طواعية يكون ـ بعد تنقيحه ـ تطورًا طبيعيًا ونموًا عضويًا ينتهي بنضج عناصر شتى، بعضها بيئي وراثي، والآخر مكتسب، لكنها متساوية من حيث الأهمية. كذلك ندعو إلى إقامة حوار ثقافي من منطلق المشاركة والشراكة والتكامل، وعدم الاستسلام لفكرة عالمية الثقافة الغربية، التي كثيرًا ما تعني تخلي الدول غير الغربية عن مسؤولياتها الأساسية في حماية ثقافاتها القومية.

لم يكتف أهل الثقافة الغربية بما لديهم من آليات لاحتواء الثقافات الأخرى وتغريبها، فقاموا في السنين الأخيرة بابتكار آليات جديدة أكثر فعالية لإحكام قبضتهم وهيمنتهم على المجال الثقافي في العالم، من بينها:

ـ زيادة حجم تمادي الثقافة الغربية في إشاعة الجهل وضرب العزلة حول الثقافات غير الغربية، لإبعادها والقضاء عليها، أو إرغامها على الخضوع لسيطرتها واستغلالها، ثم تثاقل سعينا نحو الوقوف في وجه هذه الظاهرة التي زكّيناها طويلاً من طريق تجاهلها فلاحت في الأفق ملامح تناسيها.

ـ نشر الاتجاهات الفكرية (الأيديولوجية) ـ بكل السبل المباحة وغير المباحة ـ التي تؤكد أن القيم الغربية قيم عالمية، نشرًا منهجيًا يتسم بالادّعاء.

ـ الاستخدام العملي للعلم والتقانة والإنسانيات، لا بوصفها حقوقًا وقيمًا عالمية تُسخّر لخدمة مختلف ثقافات العالم، ولكن حسب مشيئة الثقافة الغربية، أو في خدمتها.

وإحقاقًا للحق الذي يجب أن نقدسه جميعًا نقول إن في حوزتنا عددًا من القرائن والأحوال والمواقف التي تثبت وتؤكد حدوث تغيرات إيجابية في سلوكيات بعض المؤسسات والهيئات والتجمعات والشخصيات الغربية ـ الرسمية والشعبية ـ تجاه الثقافات غير الغربية، تتلخص في:

ـ ربط ظاهرة وجود هذه الثقافات وأشكالها ومضامينها بالمكان والزمان والانتماء إلى الدين والمجتمع والظروف البيئية.

ـ تأكيد ضرورة الإبقاء عليها بوصفها رافدًا من روافد النشاط الإنساني.

ـ ألاّ تكون سمة التعامل معها التعالي والسخرية وألاّ ينظر إليها نظرةً دونية، وأن يُعترف بها رموزًا قادرة على شحن السلوك الإنساني للمستهلك لها بطاقات هادرة جبارة لا يستطيع اعتراض سبيلها معترض.

ـ لم تعد الدراسات العلمية لهذه الثقافات تُرصد من خلال تلك النظرة المسماة بـ Exoticism المولعة باستقصاء الغريب والعجيب والشاذ، بل أصبحت هذه الدراسات تتناولها على أساس أنها سلوك إنساني معتاد له ما يسوّغ وجوده ووجود الذين أفرزوه.

العزلة يمكن أن تهدم الثقافات وتحطمها، والانغلاق على الذات يقود إلى الإفقار الثقافي والتقهقر الحضاري؛ الأمر الذي يهدم نظرية دعاة الانعزال

أما الأسباب والدوافع التي قادت إلى هذا التغير الإيجابي في سلوك بعض الغربيين فيمكن إرجاعها إلى الآتي:

ـ تنبيه حركات الإصلاح الحديثة في الغرب نفسه وتحذيرها من اعتناق فكرة عالمية الثقافة الغربية، التي تمثل ترسيخًا للاغتراب الحضاري في نفوس الشعوب غير الغربية ودواخلها.

ـ ازدهار الشعور الوطني في حركة القوى الاجتماعية في الدول غير الغربية، ومطالبتها رسميًا وشعبيًا ـ من خلال مؤسسات الأمم المتحدة الثقافية والسياسية ـ أن تحظى ثقافاتها بالاحترام والتقدير والمساواة، ووقف عمليات الغزو الثقافي الغربي.

ـ اقتناع بعض أهل الغرب ـ أخيرًا ـ بأن للتسامح الثقافي الكثير من الفضل في عملية تهذيب النفوس البشرية وتوسيع آفاقها ومداركها، والنأي بها عن ردود الفعل السيئة مثل الغرور والجهل.

كل هذا أدى إلى إلغاء بعض الحواجز النفسية الغربية، التي كانت تدفع إلى تسليط الأحكام المعيارية استنادًا إلى قناعات تفاضلية بين الثقافات.

إن ما يستحق الإعجاب حقًا هو أن هذا السلوك الغربي الإيجابي تجاه الثقافات غير الغربية لم يُفرض بقوة القوانين، وإنما نبع في أسمى مراميه وأنبل تجلياته من الإيمان بأن الإنسان إنسان، مهما تباينت ظروفه التاريخية، ومهما اختلفت سلوكياته، وأن الثقافة ثقافة مهما اختلفت مسافاتها الحضارية.

وإن الذين يسلكون هذا السلوك الإيجابيّ قد استطاعوا أن يحرروا أنفسهم من المخزون النفسي الشائع في الغرب بأن البعض أفضل من غيرهم، كما استطاعوا أن يتجاوزوا عقدة التفوق والتقدم، وآمنوا بأن يتركوا المجتمعات غير الغربية لتخلو إلى نفسها مع ثقافات تأنس بها، وترتاح إليها وترى ذاتها منسكبة في قوانينها ونُظُمها.

الهوامش:

1- محمود أمين العالم، الوعي والوعي الزائف في الفكر الغربي المعاصر، دار الثقافة الجديدة، القاهرة 1986م، ص119.

2- د. علي عبدالله عباس، الثقافة والبناء الوطني: دراسة في مفهوم الثقافة ودورها في البناء الوطني، الخرطوم 1988م، ص1.

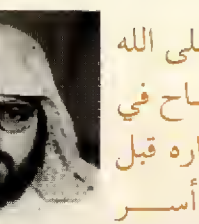
3- Ramond Williams, Culture, Fontana Poperbacks, 1981, P. 1-11.

4- سيد حامد حريز، الثقافة السودانية ودراسة التراث الشعبي، مجلة الدراسات السودانية(1)، الخرطوم، 1968م، ص63.

5- د. علي عبدالله عباس، الثقافة والبناء الوطني، مرجع سابق، ص3.

مواقف من السيرة النبوية

د. عبدالعزيز عبدالله الحميدي



لقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، عظيم النجاح في جالسه بهيئته وسمته ووقاره قبل أن يتكلم، ثم إذا تحدَّث أسر سامعيه بمنطقه البليغ المتمثل من العقل السليم والعاطفة الجياشة بالحب والصفاء والنية الخالصة في هداية الأمة بوحي الله تعالى.

وإن من أبرز الأمثلة على قوته في التأثير بالكلمة المعبّرة والأخلاق الكريمة، ما كان من موقفه مع ضماد الأزدي الذي وفد على مكة وتأثر بدعاوى المشركين عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، حتى وقر في نفسه أنه مصاب بالجنون، كما يتهمه بذلك قومه.

وقد أخرج الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ خبره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن ضماد الأزدي قدم مكة، وكان من أزد شنوءه، وكان يرقي من هذه الريح ـ يعني يعالج من الجنون ـ فسمع سفهاء مكة يقولون إن محمدًا مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي. قال، فلقيه، فقال: يا محمد إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء فهل لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الحمد للّه نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد»، قال فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهنّ عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاث مرات. قال، فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر ـ يعني قَعْرَهُ ولجَّته ـ قال، فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام. قال: فبايعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وعلى قومك»، قال: وعلى قومي، قال: فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سرية ـ يعني بعد الهجرة ـ فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئًا؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردوها فإن هؤلاء قوم ضماد.

في هذا الخبر بيان أن المشركين كانوا يتهمون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجنون، فهل كان وصفه بذلك مجرد تهمة ألصقها به أعداؤه من غير أن يعللوها بأسباب يتوقعون أنها مقنعة؟

قد تكون هذه التهمة غير مسوَّغة، وإنما هي مجرد رأي خطر لبعض زعمائهم لِيُنَفِّروا الناس من سماع دعوة رسول اللّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فتبعهم على ذلك عامتهم.

وقد تكون مسوَّغة بمخالفة ما عليه جمهور الناس، والقيام بتحدي من يملكون القوة والهيمنة، والتضحية من أجل المبدأ بالمال والنفس. فيرى بعض الناس أن العقل يقتضي مسايرة الناس وطلب السلامة في النفس والمال، وأن إهدار ذلك وتعريض النفس للهلاك، والمال للضياع من أجل المحافظة على مبدأ يخالف ما عليه الناس نوع من الجنون.

ومن هذا الباب اتهام المشركين أبا بكر بالجنون حينما عرض للأذى وهو يدافع عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ولذلك ترتفع نغمات المتعاقلين من المنافقين في كل زمان، فيتهمون دعاة الإسلام الذين يقاومون الباطل، ويتعرضون من أجل رفع دعوة الحق لضياع الأموال والتشرد والقتل أحيانًا.. يتهمونهم بالجنون، لا على أنهم قد فقدوا عقولهم بالكلية، ولكن على أنهم قد فقدوا نوعًا من العقول يراها هؤلاء المنافقون وأشباههم من ضعفاء الإيمان هي العقول السليمة الجديرة بحمل هذا الاسم. هذه العقول هي التي ترعى مصالحها الدنيوية، وتساير جميع الأوضاع التي تعيش فيها سواء كانت الهيمنة لأهل الحق أو كانت لأهل الباطل.

فالتخلي عن المال من أجل الحفاظ على المبدأ السامي يُعدّ عند هؤلاء ضربًا من الجنون.

والنظر إلى الدنيا والتفكير الدائم في تدبير الأموال وسياسة تشغيلها وصرفها هو عين العقل عند هؤلاء. ويستوي عندهم من يبعثر أمواله في الطيش والتهور، ومن ينفق أمواله في سبيل الله تعالى، فكلاهما عند هؤلاء سفيه قاصر العقل، بينما يكون الحكم في الإسلام على الأول بأنه قاصر العقل سفيه يجب الحجر عليه، أما الثاني، فإنه

كامل العقل، حيث قدَّم ماله ليكسب في الآخرة أضعافًا مضاعفة من الأجر، ويستحق الثناء والشكر بما قدَّم من ماله لخدمة دينه وإخوانه المسلمين.

وفي هذا الخبر بيان اتصاف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصفتي الصبر والحلم، وهما من أهم الصفات اللازمة للنجاح في الدعوة، فهذا الرجل وهو ضماد الأزدي قد قدم مكة وهو يعتقد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجنون، وذلك لكثرة ما يبثه قومه عنه من دعاوى كاذبة في القبائل، وحيث إن ضماداً يعالج من ابتُلي بالجنون، فإنه قد عرض على النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يعالجه من ذلك.

وهذا موقف يثير غضب من اتُّهم بذلك عادة، ويتبع ذلك توبيخ المتكلم به إن لم يحصل ما هو أشد من ذلك، ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي جبله الله تعالى على مكارم الأخلاق استقبل الأمر بحلم وهدوء، مما أثار إعجاب ذلك الرجل وجعله مهيأً لقبول ما سيدعوه إليه، ولذلك ما إن بدأ النبي - صلى الله عليه وسلم - كلامه بالمقدمة التي يستفتح بها بعض خطبه حتى أعلن ذلك الرجل أن الكلام الذي سمعه لا يشبهه ولا يدانيه كلام الشعراء ولا كلام الكهان، فأسلم في تلك الساعة.

وهذا شاهد على فصاحة النبي - صلى الله عليه وسلم - وقوة بيانه، وانبعاث كلامه من قلب ملئ إيمانًا ويقينًا وحكمة، حيث فاض ذلك على غرر بيانه فأصبح آسرًا لسامعيه، وجاذبًا قويًا لأصحاب القلوب المتجردة إلى اتباعه.

ولئن كان كثير من الناس اليوم لا يتأثر بهذا الكلام وأمثاله، فهذا ليس لعيب في الكلام، وإنما هو لتدني مستوى المتلقي في الذوق والوجدان وفهم اللغة العربية، أو لعدم صدور ذلك الكلام من قلب متأثر به، أو لهما جميعًا.

وفي سرعة إسلام هذا الرجل دلالة على أن الإسلام هو دين الفطرة، وأن النفوس إذا تجردت من الضغوط الداخلية التي يحمل عليها اتباع الهوى، والضغوط الخارجية التي من أبرزها هيمنة الطغاة من الأكابر الذين يرسخون في النفوس رهبتهم وتقديس مبادئهم الضالة في قلوب الناس من غير أن يكون لهم اختيار وتفكير.. إذا خلت النفوس من ذلك، فإنها غالبًا تتأثر وتستجيب، إما بسماع قول مؤثر، أو الإعجاب بسلوك قويم.

حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شاهد على فصاحته وقوة بيانه، وانبعاث كلامه من قلب مُلئ إيمانًا ويقينًا وحكمة؛ حيث فاض ذلك على غرر بيانه فأصبح آسراً لسامعيه

وفي طلب النبي - صلى الله عليه وسلم - البيعة من ضماد لقومه دلالة على مبلغ اهتمامه - صلى الله عليه وسلم - بدعوته، وذلك باغتنام كل فرصة ينتج عنها تقدم في هذه الدعوة، فقد لاحظ سرعة إقبال ذلك الرجل على الإسلام وقوّة قناعته به، فدفعه ذلك إلى أخذ البيعة منه لقومه؛ وذلك وعد مؤكد منه بحمل قومه على الإسلام، ولا شك أن من بايع النبي - صلى الله عليه وسلم - نيابة عن قومه سيبذل كل ما يملك من طاقة في جذب قومه إلى هذا الدين.

وفي هذا بيان واضح لأهمية الدعوة إلى الله تعالى، حيث جعلها النبي - صلى الله عليه وسلم - قرينة الالتزام الشخصي، فقد بايع ضماد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على التزام الدين، فلم يكتف رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، بذلك، بل أخذ منه البيعة على دعوة قومه إلى الإسلام، لأن دعوتهم متعيِّنة عليه.

فالدعوة فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي سقط الوجوب عن بقية الأمة، وإذا لم يتم ذلك أثم كل من كان أهلاً لهذا الأمر، وإذا تعينت على واحد بعينه، كانت فرض عين، كما هو الحال في هذا الخبر.

ومن المعلوم أن من دخل في الإسلام يكون في جو روحاني قوي، ويدفعه الندم على ما فات من أيامه - وهو في ضلال - إلى مضاعفة الجهد في خدمة هذا الدين الذي هداه اللّه إليه، فيكون لديه استعداد قوي لبذل الجهد في هذا المجال.

ويشبه هؤلاء المسلمين الجدد في هذه الحيوية والاندفاع نحو العمل المنحرفون من المسلمين الذين منَّ الله تعالى عليهم بالتوبة والهداية، فإنهم لا يشعرون بانتمائهم الحقيقي للإسلام إلا بعد استنارة قلوبهم بالهدى، لذلك فإنهم يندفعون بقوّة نحو العمل الصالح والدعوة إلى الإسلام.

ولهذا كان بعض السلف يوصون بمجالسة التائبين لاكتساب قوّة الإيمان والحيوية الدافعة إلى العمل الصالح.

وهنا تأتي براعة الموجهين في الدعوة، حيث يحاولون جهدهم اغتنام هذه الطاقات المتدفقة وتوجيهها نحو التزام الإسلام على الوجه الصحيح، وبذل الجهد في دعوة الناس إليه، وخاصة في مجتمع الأقران الذين كانوا قبل ذلك تجمعهم الزمالة والصداقة.

وهم في كل ذلك إنما يتأسون برسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي كان يوجه الطاقات ويغتنم كل الفرص المتاحة للدعوة.

فهل يفهم المسلمون هذا المعنى الجليل فيسارعوا إلى بذل جهدهم في الدعوة إلى هذا الدين والدفاع عنه؟

مراحل كتابة السـ
في الأدب السعودي

3

عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري

ما إن أهلَّ القرن الخامس عشر الهجري حتى رأينا - ليس وعيًا بمصطلح السيرة الذاتية فحسب - بل ثراء في الأعمال بشكل لم نشهد له مثيلاً في القرن الماضي؛ وبالأخص في العقود الثلاثة التي تلت ظهور أولى المحاولات الناضجة في السيرة الذاتية عام 1374هـ.

ولاريب أن الخمسة عشر عامًا الماضية هي أهم مراحل كتابة السيرة الذاتية على الإطلاق في الأدب السعودي كمًا وكيفًا، ففي تلك السنوات وجدنا نشاطًا ملحوظًا ومتلاحقًا في الإسهام في هذا الفن وخوض غماره، بل إن إسهام المرأة في الكتابة في هذا اللون ومعالجته - مع الأخذ في الحسبان محدودية العمل كمًا وكيفًا - يعد خطوة مهمة نحو رقي هذا اللون وتعدد كتّابه من الجنسين، كما هو الحال مع كل الأجناس الأدبية التي تسهم فيها المرأة إلى جانب شقيقها الرجل.

المرأة السعودية ومعالجة فن السيرة الذاتية

بإمكان الباحث أن يقول: إن الكتابة في فن السيرة الذاتية حتى ما قبل 1408هـ/1988م في أدبنا السعودي، كانت مقصورة على الرجل؛ ولذلك فإن كتابة المرأة عن نفسها عبر مذكرات أو ذكريات تُنشر في الصحف والمجلات يعد لونًا طريفًا في الكتابة في النثر السعودي كان غائبًا. وليس بالمستغرب أن يتأخر إسهام المرأة في هذا الفن عن الرجل، ذلك أن تعليم المرأة لدينا في المملكة لم تتبنه الدولة رسميًا إلا عام 1379هـ(1).

وكان شيئًا طبعيًا أن تكون الكتابة في الجنس الأدبي من قِبَلِ المرأة الكاتبة على يد واحدة من أقدم من عالج الشعر والنثر في هذه البلاد، هي «سلطانة عبدالعزيز السديري».

وقد ذكرت سلطانة أنها كانت تكتب مذكراتها منذ أن كانت في الرابعة عشرة من عمرها، وحتى الرابعة والعشرين بصفة شبه يومية، وأحيانًا بصفة أسبوعية في دفترها الخاص(2).

وقد نشرت هذه المذكرات على مدى ستة أعداد بالمجلة العربية (ربيع الآخر 1408هـ/ رمضان 1408هـ) بما يشكل الفصل الأول، غير أنها لم تتابع الكتابة بسبب بعض الظروف الطارئة.

وقد كان احتفاء المجلة العربية بنشرها كبيرًا، حيث قدَّمت لها بالقول: «تبدأ الكاتبة الشاعرة المعروفة سلطانة عبدالعزيز السديري ابتداء من هذا العدد كتابة مذكراتها التي تؤرخ لمرحلة مهمة تخص دخول المرأة السعودية ميدان العلم وعالم الكتابة مع بداية النهضة السعودية. والمعروف أن الكاتبة نشرت أول ديوان شعري لها عام 1385هـ/1965م، ثم توالت إصداراتها ومشاركاتها الكتابيّة»(3).

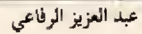
ويستطيع الباحث أن يقرر أن ما كتبته سلطانة السديري فيه الكثير من النضج والمستوى الفني الجيد، ولو أنها واصلت الكتابة بما يشكل سِفْرًا مستقلاً لأضافت إلى مكتبة السيرة الذاتية السعودية محاولة نسائية رائدة في هذا اللون من أدبنا السعودي.

بأسلوب وصفي جميل تستهل سلطانة مذكراتها بقولها: «لا يمكن أن أنسى تلك القرية الساحرة هناك في أقصى شمال المملكة العربية [السعودية]، حيث ترقد بسكينة وسلام بين أحضان الرمال وخصلات النخيل وأشعة شمس ذهبية تزيدها سحرًا...»(4).

وبمثل هذا الأسلوب الشاعري تتدفق ذكريات سلطانة السديري عن طفولتها ومدرستها وأسرتها ومن حولها من الناس.

وكان علينا أن ننتظر ست سنوات (1408- 1414هـ) حتى نظفر بمحاولة نسائية أخرى تتلو مذكرات سلطانة السديري، وأعني بذلك ما كتبته «فوزية أبو خالد» في جريدة اليوم عام 1414هـ/1994م في أربع حلقات تحت عنوان «سيرة ذاتية أدبية لتيار جماعي»(5).

ـسيرة الذاتية



عبد العزيز الرفاعي


حسن عبد الحي قزاز

علي العمير

ولم يكن اهتمام فوزية في هذه المقالات - كما يتضح من العنوان - بحياتها الخاصة بقدر اهتمامها بالحديث عن أثر بعض المدرسات في توجهها الثقافي، وعن طريقتها في تثقيف نفسها، وأبرز الصحف السعودية والعربية التي كان لها تأثير في مسيرتها الأدبية. كما أنها تخص بعض الكتب النقدية المؤثرة أو الأسماء بنصيب من الحديث، وتكشف اسمًا مستعارًا كانت تتوارى خلفه في مطلع حياتها الأدبية(6).

ولا تنسى أن تدين للمكتبة المنزلية ووالدتها بالعرفان حين تقول: «أدين لأمي بأكثر الكتب في مكتبة بيتنا بجدة، كما أدين لها باستمراري في الكتابة كلما أراد أن يكسرني يأس، أو تسرقني المشاغل اليومية.. كلما زرتها أجدها تخبئ لي كتابًا جديدًا، مقالة، تفسيرًا لآية -- كما تخبئ الأمهات عادة كعك العيد لأبنائهن الغائبين -»(7).

ولمن قد لا يصدق هذا الجو الثقافي ويظنه مبالغة من الكاتبة تقول له فوزية أبو خالد: «هذه ليست مبالغة رومانسية، أو إفراطًا عاطفيًا بأي شكل من الأشكال، بل جزءًا صغيرًا مبسطًا من الواقع الحقيقي المعيشي اليومي الذي تفتحت حواسي الست عليه بقسوته المبكرة على طفولتي، وبمتعه القاسية على عمري»(8).

وإذا كان يجمع مساهمتَيْ سلطانة وفوزية كونهما بواكير الكتابة الذاتية من قبل المرأة في أدبنا السعودي، فإن هناك فروقًا في المنهج، فالأولى أرادت أن تصف طفولتها المبكرة وأماكن لهوها ولعبها البريء، وتدرجت إلى الحديث عن المراحل الأخرى كالدراسة والكتابة. أما الأخرى فكان المنهج الذي اختطته منذ العنوان أن تكتب تجربتها الأدبية وتقف عند هذا الحد لا تكاد تتجاوزه.

فتجربة سلطانة السديري يمكن أن نقول: إنها امتداد لتجارب أحمد السباعي (أبو زامل، أيامي)، وحسن كتبي (هذه حياتي)، وعبدالعزيز الربيع (ذكريات طفل وديع)، وغيرهم. مع الأخذ في الحسبان الفروق الطبيعية بين هذه الأعمال.

أما فوزية أبو خالد، فإنها تلتقي - تقريبًا - مع حسن القرشي في (تجربتي الشعرية)، وغازي القصيبي في (سيرة شعرية)، وغيرهما.

وإذا ما أردنا تحديد أقدم التجارب النسائية العربية في فن السيرة الذاتية فلربما كان كتاب «مذكرات طبيبة» لنوال السعداوي الذي صدر عام 1385هـ/1965م أول كتاب تسهم به المرأة في هذا المجال. ومعنى ذلك أن بين مذكرات سلطانة السديري ومذكرات نوال السعداوي نحو ثلاث وعشرين سنة (1385-1408هـ).

وفي وسع الباحث أن يعلل إقبال الكتاب من الجنسين على تسجيل حيواتهم بشكل أكثر وضوحًا أواخر القرن الهجري الماضي ومستهل هذا القرن وحتى الآن منه عما سبق بتأسيس الأندية الأدبية (1395هـ)، وانضمام مجلتين أدبيتين هما: المجلة العربية (1396هـ)، والفيصل (1397هـ)، وبعوامل أخرى كإنشاء جائزة الدولة التقديرية في الأدب (1400هـ)، واتساع رقعة القُرّاء والقارئات بعد الأعداد الكبيرة التي التحقت وتلتحق بالجامعات والمدارس، وعودة كثير من المبتعثين يحملون أعلى الدرجات العلمية، والحركة الدائبة التي لا تهدأ في وسائل الإعلام: تدعو للقراءة، وتُرغّب فيها، وتقرِّبُ الأدباء إلى جمهورهم، وتحبِّبهم فيهم، وتمنحهم أضعاف ما يملكون من شهرة، كل ذلك وغيره يستطيع به الباحث أن يعلل كثرة الأعمال «السير ذاتية» بشكل مكثف في السنوات القليلة الماضية، التي لا تتجاوز خمسة عشر عامًا.

والذي يلحظه الدارس دون عناء أن الكتابات «السير ذاتية» في المرحلة المشار إليها اتجهت اتجاهًا تخصصيًا، بحيث يغلب عليها الطابع الجزئي وليس الكلي، فمعظمها يميل إلى

اتجهت كتابات السيرة الذاتية في الآونة الأخيرة اتجاها تخصصيا؛ بحيث غلب عليها الطابع الجزئي وليس الكلي، فمعظمها يميل إلى تسجيل مرحلة معينة من الحياة

مراحل كتابة السيرة الذاتية في الأدب السعودي

3

تسجيل مرحلة من الحياة أو مراحل، ويمثل ذلك صنيع غازي القصيبي في «سيرة شعرية»، وعبدالرحمن صبّاغ في «ذكريات مدرس»، وعبدالفتاح أبو مدين في «وتلك الأيام»، وعبدالعزيز الرفاعي في «رحلتي مع المكتبات والتأليف»، وعلي العمير في «بداباتي في الصحافة والأدب»، وغيرهم.

وإن كان لابد من تعليل لهذه الظاهرة، فإن الباحث يُرجع ذلك إلى الرغبة في الحديث عن النفس في مرحلة مبكرة من العمر، أو ليست متقدمة؛ وإلى أن ذلك يأتي متفقًا مع عصر التخصص الذي نعيشه. ولعل من الأسباب كثرة التجارب، والنقلة الكبيرة بين الماضي والحاضر، مما يجعل الحديث عن جزء من الحياة - ولو لم يكن بعيدًا - شائقًا وطريفًا في بابه من حيث إنه يصوّرُ مراحل أوشكت على الامّحاء. وفي هذا الصنيع استدعاء لذكريات عزيزة يراها صاحبها تبتعد تدريجيًا كلما تقدم به العمر. ومن الممكن تفسير هذا المنحى بأنه جس نبض - كما يقولون - للقُرّاء في محاولة لمعرفة قبولهم وارتياحهم لمثل هذا العمل، فلربّما كان القبول حافزًا للتفكير بشكل جاد في كتابة سيرة متكاملة(9).

ومن الأسباب التي أعطت هذا اللون رواجًا - فيما أحسب - ازدياد الوعي الثقافي بضرورة التعبير عن الذات، والإفصاح عن المؤثرات التي وجّهت مكامن الإبداع لديه: شعرًا، أو قصة، أو مقالة، لتعين الباحثين الذين يتعرضون على نحو أو آخر لهذه الأعمال الإبداعية لهذا الأديب أو ذاك بالبحث والدراسة والتحليل(10).

وإن في إلحاح الأصدقاء ورغبة الصحافة لحافزًا مهمًّا لطرق هذا اللون من الكتابة المجتزأة عن الذات، ولعلنا لا ننسى أن نشير إلى أن عددًا من فرسان صحافة الأفراد (1343 - 1383هـ) شعروا بعد مرور مدة من الزمن ليست بالطويلة أن القُرّاء الذين يتذكرون تلك الصحيفة المحتجبة، أو المجلة المتوقفة أصبحوا من الندرة بمكان، وأصبح عارفو دور هذه المطبوعة أو تلك - مع مرور الزمن - أقل من القليل.

أما الجيل الحاضر والشباب فلا يكادون يعرفون عن هذا الماضي الصحفي شيئًا؛ لذلك فقد نشط بعض رواد صحافة الأفراد لتسجيل تجاربهم الماضية؛ في محاولة للعودة إلى الساحة مجددًا، ورغبة في استرجاع ذكريات ممتعة ومضنية في الوقت نفسه: إثباتًا للذات، وتذكيرًا للأجيال الحالية بماضيهم الكتابي الرائد.

ويمثل ذلك حسن قزاز في كتابه «مشواري مع الكلمة» بجزأيه، الذي حكى فيه تجربته في إصدار جريدة «عرفات»(11)؛ وعبدالفتاح أبو مدين في كتابه «وتلك الأيام»، الذي تحدث فيه عن مجلتيه المحتجبتين: «الأضواء، والرائد»(12).

وكأنما هذا التنوع والازدهار في فن السيرة الذاتية في أدبنا جاء استجابة لقول أحد نقادنا الأكاديميين عام 1398هـ من أنه لم تتح لأدبائنا الفرصة أن ينتجوا في بعض القوالب الأدبية: السيرة الذاتية، والسيرة الموضوعية والرحلة «أعمالاً أدبية كبيرة على الرغم من توافر الحافز وتوافر مادة الكتابة»(13).

لقد استهوى هذا الفن كتابنا، ولقي ترحيبًا من المتلقين(14)، مما كان حافزًا إلى أن تشغل السيرة الذاتية جزءًا من اهتمامهم الأدبي. ويلحظ الدارس أن معظم إسهامات أدبائنا تأخذ لونًا آخر، حيث لا نجد من يخصص لاعترافاته مقالاً - إلا بشكل استثنائي -، ولا نجد كذلك مذكرات تؤرخ لمرحلة معينة طابعها تاريخي/ سياسي، كما هو المفهوم الدقيق جدًا لمصطلح «مذكرات».

وكان هذا الإسهام المكثف عبر سنوات محدودة، والرغبة في اللحاق بأدباء الوطن العربي المجوّدين الذين سبقونا في طرق هذا اللون مؤذنًا بولادة «السيرة الذاتية الفنية» في الأدب السعودي تتجاوز إسهامات الثلث الأخير من القرن الهجري الماضي (الرابع عشر). وعندي أن عزيز ضياء يقف في مقدمة من كتبوا السيرة الذاتية الفنية في أدبنا مستفيدًا من تجارب الكتّاب المجيدين في الغرب، حيث مهدُ هذا الجنس الأدبي بمفهومه المعاصر(15)، بيد أننا لا نستطيع أن نقلل من تجارب: أحمد السباعي، وعبدالعزيز الربيع، وغازي القصيبي، وغيرهم الذين سبقوا عزيز ضياء واتسم عطاؤهم بملامح كثيرة من النضج الفني.

الهوامش:

1- الأدب الحديث، تاريخ ودراسات 19/2.

2- سلطانة السديري، «مذكرات امرأة سعودية»، المجلة العربية، ربيع الآخر 1408، ص93، وكان الأولى أن تطلق على ما تكتب «يوميات» بدلاً من «مذكرات»، ما دامت تكتب الحوادث التي مرت في حياتها بشكل يومي.

3- سلطانة السديري، «مذكرات كاتبة(1)»، المجلة العربية، جمادى الأولى 1408هـ، ص97. وتحديد تاريخ صدور الديوان من المجلة ليس صحيحًا، ولعله أصابه خطأ طباعي، فديوان سلطانة الأول وهو «عبير الصحراء» بتوقيع «نداء» صدر عام 1376هـ/1956م. ومما يؤيد صدوره في هذا التاريخ استعراض عبدالفتاح أبو مدين له في كتابه أمواج وأثباج الذي صدرت طبعته الأولى عام 1378هـ/1959م. (ينظر: أمواج وأثباج. جدة: النادي الأدبي الثقافي، ط2، 1405هـ/ 1985م، ص550).

4- سلطانة السديري، «مذكرات كاتبة(1)»، المجلة العربية، جمادى الأولى 1408هـ، ص97. وما بين المعقوفين من إضافة الكاتب.

5- نشرت في المدة من 1414/8/28هـ - 1414/10/3هـ على صفحات الملحق الأدبي بجريدة اليوم.

6- فوزية أبو خالد، «سيرة ذاتية أدبية لتيار جماعي»، اليوم، 1414/8/28هـ، ص16، والاسم المستعار الذي كانت تكتب به هو «مي الصغيرة».

7- «سيرة ذاتية أدبية لتيار جماعي»، اليوم 1414/9/12هـ، ص16.

8- المرجع السابق ص16.

9- يقول علي العمير: إنه أراد بكتابه «بداياتي في الصحافة والأدب» جس نبض القُرّاء «تجاه نوع هذه الكتابة»، وإنه يفكر جديًا في الكتابة عن ذكرياته القديمة - بصفة خاصة - وإصدارها في كتاب مستقل. (علي العمير، «القُرّاء أداروا رأسي غرورًا، وسأرتكب حماقة أخرى!»، المسائية، ع3368، 1413/8/25هـ، ص10).

10- يقول غازي القصيبي في تقديمه لكتاب «سيرة شعرية»: إن هدف «الكتاب - ببساطة - هو أن يكون عونًا للباحثين الذين يتعرضون على نحو أو آخر لأشعاري». (سيرة شعرية. جدة: مطبوعات تهامة، ط2، 1408هـ، 1988م، ص9).

11- صدرت «عرفات» عام 1377هـ، ثم اندمجت عام 1378هـ مع جريدة البلاد السعودية وصدرتا باسم «البلاد». (معجم الكتاب 125).

12- أصدر أبو مدين الأضواء عام 1376هـ بالاشتراك مع محمد سعيد باعشن ومحمد أمين يحيى، وقد توقفت عام 1378هـ. أما الرائد فقد أصدرها عبدالفتاح أبو مدين عام 1379هـ ولكن ما لبثت أن توقفت عند صدور نظام المؤسسات الصحفية عام 1383هـ (معجم الكتاب 135).

13- د. منصور الحازمي، في البحث عن الواقع 64. وقد جاء هذا الرأي إجابة عن استفتاء طرحته مجلة المنهل عام 1398هـ عن الأدب السعودي، وهل يمكن وصفه بالصعود أو الركود؟

14- يقول الدكتور حسن الهويمل: «.. أما أنا، فإني شديد الشوق إلى هذا اللون من الكتابات، يشدني إليها تبسط المحدث واعترافه. وذكريات العلامة حمد الجاسر، وتباريح أبي عبدالرحمن ابن عقيل في المجلة العربية، واعترافات علي العمير، كل هذه الأحاديث أميل إليها» (في الفكر والأدب: دراسات وذكريات 187).

15- يقول كاتب في مجلة الفيصل: «.. هذا النوع من الفن لا يحتل مكانته وخاصة لدينا وفي العالم العربي قاطبة، بينما نرى أدب السيرة الذاتية يتميز ويزدهر في الغرب وتحفل به دور النشر والصحافة والإعلام في البلدان الغربية». (عبدالله بن حمد الحقيل، «حول أدب السيرة الذاتية»، مجلة الفيصل ع177، ربيع الأول 1412هـ، ص130).



الكتابة بين المواهب الأصيلة.. والمحاولات الفاشلة

عبدالعزيز بن عبدالله السالم

يتفاعل الكاتب مع ماحوله ومن حوله، فينفعل بتقلبات الأحداث وأصداء الوقائع فيتأثر بها وتؤثر فيه، وقد يكون مسارها في الاتجاه المؤيد لتوجهه فتلتقي مع أهدافه وتطلعاته، أو يكون سيرها في الخط المعاكس لمقاصده بعيدًا من غاياته ومخالفًا لرغباته، لكنه يجد نفسه في كلا المسارين مشدودًا إلى حالة نفسية للتعبير عما تكنّه نفسه وما تنطوي عليه جوانحه مما له علاقة بذلك التأثر أو التأثير سلبًا أو إيجابًا، وفي ضوء هذا التصور يستطيع تحديد الإيقاع النفسي لصدى الأحداث والوقائع، ورسم صورتها، وتصوير أثرها، ورصد تأثيرها، ثم تقديمها إلى المجتمع من منظوره الخاص، ومن خلال رؤيته الذاتية وتجربته التي قد تكون مشحونة بالمعاناة أو مشمولة بالهناءة..

وضوح المعاني بين الرضا والسخط

وما يكتبه الكاتب ينعكس على الحالة التي استمد منها أفكاره واستوحى منها خواطره، فإن كانت حالة رضا وابتهاج انسابت الأفكار مجنحة ترسم أضواءً متوهجة من البِشر والحبور، وتتوالد معها المعاني متألقة في شفافية كأنما تسبح في أجواء من النور؛ وإن كانت حالة سخط وكدر جاءت متعثرة متعسرة كأنما هي منحوتة من جبل صلد، أو تصعّد من قاع بئر مهجورة، وقد يبدو فيها خروج عن المألوف، أو تكون غير واضحة المعالم أو غير مفهومة التوجه بالنسبة للمتلقي؛ بينما يرى صاحب العطاء من خلال مفهومه الخاص أنه عبّر عن فكره بما كتبه وإن كانت كتاباته محاطة بلون من الغموض، أو محجوبة برؤية ضبابية لا تفصح عما قصد إليه.

لك رأيك.. كما أن للآخرين آراءهم

ويحدث الإشكال عندما تكون الكتابة بلا نهج يتقيد به الكاتب ولا هدف يقصد إليه، وإنما تنطلق عَبْر متاهات من الأفكار المتضادة والتوجهات غير المستقرة. على أن لكل فكرة مسارها وفحواها وتأثيرها بحسب واقعيتها وانسجامها مع الوضع الصحيح والمنطلَق السليم، وقد يتوقف مدى تأثيرها على أهمية المصدر الذي انبثقت منه أو مكانة الكاتب الذي صدرت عنه؛ مما يجعل لها مجالاً في تحديد الاقتناع برؤية معينة، أو تلوين مشاعر خاصة، أو كسب توجّه مخالف، أو تحييد رأي مضاد.. على أن مهمّة الكاتب أو الأديب أنْ يعمل على تقديم الفكرة التي يتناولها موضّحةً من وجهة نظره، مؤيَّدةً بحيثيات مقنعة، فلا يصرّ على توجّه يراه أو رأي يتبناه، وإنما يدرك أن له رأيه الذي يعتز به ويعبر عنه بحرية، كما أن للآخرين آراءهم التي يعتزون بها ويعبرون عنها. وقد يجر الإصرار على نمط معين من الفكر تحوُّلاً في النظرة أو اعتسافًا للمنهج أو اضطرابًا في الفهم؛ فتختلط الرؤية وتتناقض التوجهات وتتصادم الرغبات، والمفترض في الأعمال التي تصدر عن الإنسان المدرك ـ سواء كانت

فكرية أو ميدانية - أن ترتبط فيها النتائج بالمقدمات، وأن تتناسب عملية الطرح مع أهمية الموضوع، فلا تكون مبتوتة الصلة بما يربطها بسياقها أو يصلها بما قبلها، حتى لا تكون أفكارًا متناثرة بلا روابط، وعبارات مبعثرةً بلا غاية..

الأدب حق مباح لكل البشر

والأدب - بكل أشكاله وعلى تنوُّع أجناسه وتعدد مناحيه الشعرية والنثرية - لا ينتسب إلى أرض بعينها، ولا يصدر عن بلاد بذاتها، ولا يختص بفئة محدودة من البشر، ولا تتصف به أمة معلومة بين الأمم، وإنما هو فيض موهبة تصقلها تجربة، وتدعمها ملكة مدربة، ويساندها إحساس صادق، ويعززها إصرار على بلوغ الهدف وتحقيق العطاء.

وقد كتب أستاذنا الدكتور شكري محمد عياد في مجلة الهلال لشهر شباط/فبراير 1990م يقول: «إن هناك في جهازنا العصبي مسالك بين الحواس الخمس والمراكز العليا للمخ، تحوّل المحسوسات إلى مُدركات، لتدخل هذه المدركات في عمليات عقلية مركّبة يمكن أن يدخل فيها ما نسميه الوجدان، أو ما نسميه الإرادة، ولكنّ النظام العقلي يظل مسيطرًا من خلال اللغة التي اكتسبها الجنس البشري - وهو يرتب جهازه العصبي على هذه العمليات المعقدة - عبر آلاف السنين. ولكن كيف يمكن التعبير - والحالة هذه - عما بقي مطمورًا في أعماق النفس البشرية من إحساسات وقفت في منتصف الطريق بين الحس والإدراك، وتقادم بها العهد حتى ابتعدت من أصلها في الخارج المادي واختلطت بما لا يُحصى ولا يُعرف كنهه من الأشواق والمخاوف والرغبات.. وإذن فليس أمام الفن الذي يحاول التعبير عن هذا الوجود الداخلي إلاّ أن يخترع لغة جديدة»..

الثقافة سبيل الإنسان المتحضر لبناء مقوماته

وهذا الذي انتهى إليه أستاذنا الدكتور عياد يقودنا إلى تأمل عملية الإبداع في لغة المبدع، وأسلوب الكتابة في وجدان الكاتب، وفيض المشاعر في إحساس الشاعر، ومن خلال هذه الألوان الأدبية تتضح الأبعاد الفكرية من منظور الإطار الثقافي الذي تتشكل داخله الصورة الإبداعية؛ ولربما كانت الصورة مرتسمة في الذهن نتيجة تراكمات واستقراءات لثقافات متعددة وألوان مختلفة من المعرفة.. والإبداع في ذاته يمثل عملية متداخلة متشابكة يدخل فيها الجانب الفكري والجانب الذهني لصنع العطاء في القالب المناسب، وصياغته بالأسلوب الذي يهيّئ له القبول من جانب المتلقي، وهذا منوط بحقيقة الثقافة التي يتمتع بها الكاتب ومدى قدرته على توظيفها في المستوى الفكري اللائق، فالثقافة أساس في صناعة الكاتب، وسبيل الإنسان المتحضر لبناء مقوماته الإنسانية في هذه الحياة، وهي ركيزة أساسية في التقدم حاضرًا ومستقبلاً؛ والثقافة تعتمد المعرفة أساسًا لها ومنطلقًا لآفاقها، ولها روافد مهمة تتمثل في القراءة المستوعبة والاطلاع الدائم إلى جانب الاستعداد الذاتي؛ والمعرفة تتأصل بالممارسة وتتأكد بالمواصلة المستمرة والاتصال المكثف بعالم الفكر ومجالات الإنتاج الثقافي عامة، وكما أنها تنمو بالتواصل الفكري فإنها كذلك تتلاشى بالإهمال، فالاطلاع الواسع والاستيعاب في القراءة من أهم الشروط للتأهيل الثقافي والإبداع الفكري. والثقافة الفكرية - ككل نشاط إنساني - تسمو بحسن القصد وسلامة الهدف، وتنحدر بانحراف الغاية وسوء الممارسة. والمفردات اللغوية هي الخامات التي تُبنى عليها ركائز الثقافة، لكن المهم هو انسجام تلك المفردات وصياغتها وكيفية تركيبها وتنسيقها والمزاوجة بينها؛ فلكل كلمة وقع ومعنى، ولكل صيغة رسم ولون، والمفردات اللغوية لها صياغات متعددة وألوان مختلفة تحدد مضمونها وتؤكد دلالتها، فلكل كلمة وقع معيّن، ولكل مفردة حيّز مخصوص، وتوظيف الكلمة بمؤداها المعنوي ومدلولها الثقافي، وتحديد موضعها في السياق يضع المفردة في مكانها الصحيح وفي موقعها المناسب، وهذا يعود إلى موهبة الكاتب أو الشاعر الذي اختار الكلمة ووظف الحرف بما يناسب جمال التركيب وانسياب الفكر وتألق الأسلوب.

التألق والإبداع.. بين الأدب والعلم

والأدب ليس كالعلم الذي يقوم على فرضيات تخضع من خلال التجربة المعملية للنجاح والفشل، وإنما يقوم الأدب على فكرة جمالية لها علاقة بالحس والتذوق، وتُبنى على بدايات، أو مقدمات تتلوها نتائج، إلى جانب أسلوب متميز يقدم المادة في إطار مُميّز.

وفي هذه البلاد - وهي جزء من الوطن العربي الكبير - قامت على أرضنا نهضة علمية شاملة ذات أبعاد واسعة نتج عنها نهضة أدبية تألقت أضواؤها في سمائنا الصافية، وامتدت في أنحاء البلاد وشملت مدنها وقراها، وكان لها سمات واضحة ومعالم شامخة؛ فنحن في هذه المرحلة الزمنية التي نعيشها في هذا العصر نحتفي بأدباء لهم إسهامات مرموقة وأسماء لامعة في عالم الفكر المعاصر، فلدينا أدب وأدباء، ونمثل واقعًا أدبيًا يماثل كثيرًا من أمثالنا من أشقائنا العرب، فليست النهضة العلمية وقفًا على أحد، ولا التطور الفكري رهنًا ببلد،

الثقافة تعتمد المعرفة أساسًا لها ومنطلقًا لآفاقها، وهي أساس في صناعة الكاتب، وسبيل الإنسان المتحضر لبناء مقوماته الإنسانية، وركيزة أساسية في التقدم حاضرًا ومستقبلاً

بين المواهب الأصيلة .. والمحاولات الفاشلة


د. شكري محمد عياد

وإنما نعيش جميعًا في جو مفتوح، ويكون التألق بقدر المواهب المتفتحة التي تغطي مساحة كبيرة، فلا ينبغي أن نبخسها حقها أو أن نضعها في غير حجمها. لكن هذه النظرة المتفائلة لا تعفينا من الوقفة العادلة إزاء بعض ما يصدر عندنا وفي بعض البلاد العربية من مؤلفات هزيلة لا تساوي الورق الذي طُبعت عليه، ولا المداد الذي كُتبت به، وكان المفترض ألاّ تسمح إدارات المطبوعات في الأجهزة المسؤولة عن إصدار هذه الكتب بطبع مثل هذا الغثاء التافه الذي يسيء إلى واجهتنا الفكرية، ويعطي انطباعًا مخالفًا للصورة الحقيقية التي عليها الحركة الأدبية المعاصرة، مما يعكس صورة مغايرة للواقع الأدبي، ويقدم بديلاً عنها صورة ممسوخة لأنماط مهزوزة من الإنتاج الرخيص الذي لا يحقق فائدة، ولا يضيف جديدًا في عالم الفكر والأدب.

حتى في الأدب: العملة الرديئة قد تطرد العملة الجيدة!

وأسوأ ما في ذلك الإنتاج المتخلف أنه يحمل اسم هذه البلاد، فإذا قرأه المفكرون والأدباء في الخارج ظنوا أن كل المستويات الأدبية في بلادنا على هذا المنوال من الضعف والتفاهة، وقد يستدلون على تدنّي المستوى الفكري لدينا بهبوط هذا العطاء الذي تحمله مؤلفات لأفراد قد تتوافر لدى بعضهم مواهب جمة عدا الموهبة الفكرية، وهذه الصورة تنسحب على بعض مطبوعاتنا وإصداراتنا، فلا يزال بعضها في مؤخرة القافلة الفكرية، وخير لها لو توقفت بدلاً من أن تصدر بهذا المستوى المحدود. وهذه الصورة التي تصدر بها بعض الكتب أو الإصدارات الأخرى تضعنا في أعين الآخرين بمظهر العجز عن مجاراة العصر الذي نعيش تطوره الفكري، وفي هذا التصور الخاطئ عنّا إجحاف بواقعنا الفكري ووضعنا الثقافي. وتلك المؤلفات المجردة من الروح الأدبية التي تفتقر إلى الموهبة تشبه من بعض الوجوه العملة الزائفة، والعجيب أن أكثر الذين يدعون في الكتابة لا يبادرون إلى إصدار إنتاجهم في كتب، والذين لا يحسنون الكتابة يتعجلون تلك الإصدارات لأنهم يحاولون أن يركبوا موجة الشهرة، ولو أنها في حقيقة الأمر تؤدي إلى عكس ما يراد منها، فتتحول الشهرة إلى تشهير، ولربما تسبب هذا الانحدار بالإصدارات في إحجام كثير من المنتجين المبدعين عن إصدار إنتاجهم في كتب لما يمتلئ به السوق الثقافي من كثرة الإنتاج الرديء.. وهذا الموقف يحفزنا إلى إبراز إنتاج مشرّف في مواجهة الإنتاج المتواضع، لكي نصحح الفكرة المغلوطة عنا ونبعد ذلك التصور المجحف بحقنا لتحل محله رؤية منصفة تنفي الفكرة السابقة المبنية على ذلك الإنتاج الهزيل، وبذلك نستعيد الثقة التامة بعطائنا على قاعدة: «العملة الصحيحة تطرد العملة المزيفة»! لأن ذلك الزيف يترك آثاره السيئة في النظرة العامة لأدبنا وأدبائنا، ولهذا فلا بد من صيانة الأدب الأصيل من جناية الأدب الهجين، وحماية الأدباء الموهوبين من المتطفلين على مائدة الأدب المتسلقين أسوار الشهرة، حتى يبدو وجهنا الثقافي وعطاؤنا مشرّفًا، وهذا يقتضينا التفريق بين الإبداع المتميز الصادر عن موهبة أصيلة، والتعلّق بالأوهام في محاولة خاسرة للسير في موكب الإبداع، وهو مركب صعب المرتقى تزل فيه أقدام وتتخاذل فيه أفكار، ولو كانت أبواب الكتابة مفتوحة لكل الأفراد لكثر الكتّاب والمبدعون، ولكنها مواهب ذاتية واستعدادات فطرية، فمن يمتلك الموهبة يتأهل للكتابة فيبدع، ومن حُرمها في هذا المجال فعليه أن يلتمسها في مجال آخر لعله يبرز فيه ولا يكلف نفسه شطط المحاولات الفاشلة، فكلٌ مُيسَّر لما خُلق له.

> **تكمن خطورة الإنتاج الفكري الهزيل في أنها تظهرنا في أعين الآخرين بمظهر العاجز عن مجاراة العصر الذي نعيش تطوره الفكري، وفي ذلك إجحاف بواقعنا الفكري ووضعنا الثقافي**

وفي النهاية: لن يصح إلا الصحيح

وعلى الرغم من الظلال القاتمة التي تطفو على ساحة النشر العام في الميادين الأدبية والتي تمثل وصمة في المسيرة الثقافية، فإن الإصدارات الفكرية المتميزة ـ على قلتها ـ تلقى رواجًا ملموسًا على مستوى العالم العربي على مدى امتداده الجغرافي الواسع، مما نتج عنه تكوين علاقات ثقافية بين الأدباءالعرب، وقيام صلات فكرية بينهم، وهذا التواصل يجدد الآمال في نمو الحياة الفكرية بين أبناء العروبة. ولعل في القليل المتميز من الإصدارات ما يرضي ذوق المثقف العربي ويلتقي مع تطلعاته، وهو يعيش عصر التقدم الحضاري بما يحفل به من عطاء واسع وإنتاج ضخم على جميع المستويات، وفي كل الميادين والساحات.



د. محمود جبر الربداوي

قال زكي قنصل هذه القصيدة عن اللغة العربية ويكنّي عنها ببنت عدنان:

بدَمْعـة اليـأس غَـصَّت بِنْتُ عـدْنانِ ... رُوحي فِـدَى قطرةٍ مِنْ دَمْعـها القـاني
يا آلَ وُدّيَ - والآمـالُ تَجْـمـعُنا - ... هَلاّ اسـتجـبْتُم لشكواها وأشجـاني؟
لأنتُمُ خَـيْـرُ مَنْ يُرجَى لنَجْـدَتِهـا ... لا خـابَ ظَنـيَ في الجُلَّى بإخـواني
تَغَـرّبَتْ مـعكُم في كلِّ دَسْكَرةٍ ... ورافـقتْ سَعْـيَكُم في كلِّ مَيْـدانِ
كـانت وسـيلتكم للمجـد تَرْفُـدُكُم ... بعُـدَّةِ النَّصْـرِ من جـدٍّ وإيمانِ
كـانت لكم وطنًا في دار غُـرْبتكُمْ ... تَحْـدُو خُطاكُم وتَرْعـاكُم بتَـحْنانِ
كـانت تَبُثُّ إلى الأوطان شَـوْقَكُمُ ... وتَحْـمِلُ الشَّـوقَ مِنْ أهْلٍ وأوْطانِ
فـلا تَخـونُوا لها عـهـدًا فَلَيْسَ لها ... إلاّكُمُ سَنَدًا في رَبْعِـهـا الثـاني
تَكاد تحْـرِقُ أضـلاعي بِزَفْـرتِهـا ... وتَزْرَعُ اللّهْـفَـةَ الظَمْـأى بأجـفـاني
قـالت - وقد عصَفَتْ ريحُ السَّمومِ بها ... وعَـضَّـهـا مِنْ صُـروفِ الدَّهْرِ نابان -
لَمْ تُنْكـروني لَمّا كُنْتُ كـابِيـةً ... لا تُنكـرونيَ في عِـزّي وسُلْطاني
جَدَّدتُ ما شـاخَ مِن عَزْمي وعافـيتي ... وانسـابَ نُوّارُ في جِذْعي فأحْـياني
لَمْ يسـتطع مِدْفَعُ الغـازي ونِقْـمَتُـه ... أن يهـدما - رَغْم طولِ العَـهْدِ - بُنْيـاني
ولا اسـتطاع الألى في نَفْسِـهم مَرضٌ ... أن يَزْرَعوا الشّكَّ في حُسْني وإحساني
وَسِـعْتُ فَلْسـفَـةَ اليـونانِ وازدهرت ... حـضارةُ الفُرْس في حَقْلي وبُستـاني
أخـذْتُ منهم ولكـنّي رَدَدْتُ لهم ... فـضـلاً بِفَـضْلٍ وعِرفـانًا بعِـرْفـانِ
وقُلْتُ قَلْبي وديواني لِمَنْ ظَمِـئـوا ... فَلْيَـشْـرَبِ الناسُ مِنْ قلبي وديواني
وحينَ أظْلَمت الآفـاقُ واضْطَرَبَتْ ... فَـجَّـرْتُ أنوارَ إنْجـيلي وقُـرآني
فَكَيْفَ تُسْلِمُني للمـوتِ جـاليـةٌ ... تَرْقَى لعـدنانَ أو تُعـزَى لغَسّـانَ؟
إن تُهـملوني فلَنْ تُجْـدي مـتاجِـرُكم ... لولايَ كنتم كـتـابًا دونَ عُنْوانِ
يا بنتَ عـدنان إنَّ الليل يَعْـقُـبُـه ... - مهـما ادلهمَّ ومهمـا طال - فَجْرانِ
فـلا تنامي على يأسٍ ولا وَجَلٍ ... اليـأسُ والخـوفُ للأخـرى طريقـانِ
إني لأسـمعُ عَـبْـرَ الأُفْقِ زَغْـرَدَةً ... فـاسـتبشـري بِغَدٍ يا بِنْتَ عَـدْنانِ!

منذ أمد بعيد، وبعيد جدًا، كانت هموم اللغة العربية تشغلني، واستبدت بي هواجس هذه اللغة حينًا من الدهر، لدرجة أنني أفردتُ للحديث عنها وعن قضاياها كتابًا مستقلاً، فلما أحسست أنه لم يستوعب همومها المتمثّلة بانتشارها في العالم - وهمومها مستجدة دومًا ومتزايدة أبدًا - أفردت لهذه «العالمية» كتابًا آخر، سميته «عالمية اللغة العربية»، جعلتُ الفصول الأولى منه لانتشار اللغة العربية قديمًا وحديثًا في الجمهوريات الإسلامية التي انفصلت عن الاتحاد السوفييتي، ورحتُ أرصد الجذور العربية - وهي كثيرة - مبثوثة في لغات هذه الجمهوريات التي جاء عليها يوم كانت تكتب لغاتها التركية والفارسية بالأبجدية العربية.

وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي، واستقلال بعض جمهوريات آسيا الوسطى كأوزبكستان، وتركمانستان، وأذربيجان، وقرغيزيا، وقازاخستان وتتارستان، وطاجكستان، انحسرت اللغة الروسية والأبجدية الروسية عن هذه الجمهوريات المسلمة. ونادى بعض المثقفين هناك بعودة الحرف العربي الذي كتبت به هذه الجمهوريات قرونًا طويلة، ولكنّ هذا النداء أُخرس وتلك المحاولة أُحبطت بفعل ضغوط من الحكومة التركية التي ضمّتْ عاصمتها أنقرة في آذار/ مارس 1993م مجموعة من كبار المثقفين واللغويين من هذه الجمهوريات، وأقنعتهم تركيا بوجوب اختيار الحرف اللاتيني الذي اختارته تركيا بعد ما سُمّي بالإصلاح «الأتاتوركي»؛ نظرًا لأن لغات أكثر هذه الجمهوريات اللغة التركية، وهذا ما كان.

أقول: بينما كنت أنقّب عن هذه الجذور وقع بين يديّ ديوان فيه قصائد عدة عن هموم اللغة العربية، ولكن بانفراج مئة وثمانين درجة عن دول آسيا الوسطى، ديوان للشاعر المهجري الأمريكي زكي قنصل، وهو واحد من جملة الهدية القيمة التي أهداها الأخ الكريم المحب للأدب والأدباء عبدالمقصود خوجة لقسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود، مع جملة من المنشورات التي نُشرت على نفقته، وفي هذا الديوان وقعت عيني على القصيدة النونية التي جعل الشاعر عنوانها «بنت عدنان» وهي التي أثبتّها لك في مطلع هذه الحلقة. فلما قرأتُها وجدتها تتحدث عن هموم اللغة العربية في المهجر، فتركتُ البحث عن اللغة العربية في مشرق الأرض، هذا البحث الذي سأتناوله في

مناسبة قادمة، ويممتُ شطر مغرب الأرض في الأمريكتين: شمالها وجنوبها؛ لأبحث عن اللغة العربية، يغريني بالبحث أن جموعًا كبيرة من أبناء الأمة العربية هاجرت إلى هاتين الأمريكتين، تحمل معها لغتها. وقد كان هؤلاء المهجريون الأوائل يعتزون كل الاعتزاز بلغتهم، وهذا الاعتزاز استولد أدبًا رائعًا يُطلق عليه في تاريخ الأدب اسم «الأدب المهجري»، وأنتج صحافة نشرت الحرف العربي في طول القارة الجديدة وفي عرضها، وأنشأ جمعيات ضخمة؛ كالرابطة القلمية والعُصبة الأندلسية، كان شعاراهما المحافظة على اللغة العربية وتشجيع امتدادها وازدهارها، وشُيدت وقتذاك مئات المدارس التي تعلم أبناء المهجريين اللغة العربية. ولم يكن ديوان زكي قنصل الديوان اليتيم الذي أنجبته اللغة العربية في المهجر، بل كان واحداً من عشرات، إن لم أقل من مئات الدواوين التي كانت ثمرة الفكر العربي والفن العربي في هذه الأرض الجديدة، وسأترك الحديث عن انتشار اللغة العربية، آنذاك، في أمريكا وأرجع إلى «بنت عدنان» التي كنّى بها الشاعر عن اللغة العربية - كما مَحْنا - فنرى مسحة الأسى التي تلف الأبيات، وهي مسحة أسى نابعة من عواطف الشاعر الحزينة ومن إشفاقه على اللغة العربية التي تشكو محنة الاغتراب ومرارة التنافس في أمريكا. وهذه الروح الطافحة بمزيج من الاعتزاز والإشفاق على اللغة العربية عند زكي قنصل في أمريكا واكبت روح الاعتزاز والإشفاق عند حافظ إبراهيم في مصر، في قصيدته التائية المسماة «أم اللغات»، ولو تركنا تائية حافظ لشهرتها وشيوعها في أوساط المثقفين في المشرق، وعدنا إلى أمريكا وشعرائها العرب لألفينا شاعرًا مهجريًا آخر يشفق على اللغة العربية في بلاده من المنافسة الجائرة، وهو الشاعر إلياس طعمة (1886- 1941م) الذي كان مارونيًا ثم أسلم وتسمّى بأبي الفضل الوليد. يقول:

فما لغة العرب مسموعةٌ
من القوم، والأكثرون نيامْ
ضرائرها كِدْنَ يقتلنَها
وكدنا نقول: عليها السلام
وما عربية هذا الزمان
كتلك التي رُبِّيتْ في الخيام
وأفضل من هؤلاء البنين
عظام الجدود الغزاة العظام

وبعودتنا إلى زكي قنصل نقف على شدة تشبثه «ببنت عدنان» ففي قصيدته «أحفاد سَجَاح» - وأنت تعلم من هي سجاح - ويكني بأولاد سجاح عن الشعراء المرتدين عن اللغة العربية المتمردين عليها، يقول في مطلع هذه القصيدة:

خاطبونا بلهجةٍ عربيّهْ
نحن قومٌ لا نفهم الأرمنيه
يادُعاة الجديد حنّوا علينا
قد تفشّى وباؤكم في البريّهْ
إن يكُ الناسُ قد أساؤوا إليكم
أي ذنب للضاد، أي خطيّهْ؟
لا تقولوا حُرّية الفكر.. إنّا
أصدق المؤمنين بالحريهْ

ثم يختم قصيدته بمخاطبة «بنت عدنان» فيقول:

بنتَ عدنان لا تراعي، فإنا
للمعالي وللمعاني الزكيّهْ
قد فتحنا لكِ الصدور حصونًا
وأحطناكِ بالزنود القويهْ
حَرَم الشعر لن يُباح لرهط
بشّروا بالسفاسف الأعجميهْ
لم نَخَفْ منهُم أذاة، ولكنْ
قد غضبنا لأمنا العربيهْ

وله قصيدة أخرى من هذا الباب بعنوان «كُرمى لعين الضاد».

وكل هذه القصائد التي قالها أنصار العربية يوجد لها ما يضادها من قصائد قالها خصوم العربية، ولكنْ يظل الصراع في المهاجر الأمريكية بين الغربي والعربي، وهذه سمة معركة العربية في المهجر، أما في المشرق فصراع العربية قوامه بين المسلم وغير المسلم، بين محب للعربية يشتاق عودتها، ولو بالحرف الذي تُكتب فيه، ومُبغض للعربية يعمل على طمسها وإبعادها من تاريخ الحضارة.

هذا وقد أوردت هذه الأقوال الشعرية في اللغة العربية لشعراء مهجريين من رجال الجيل الثاني، وهذا الجيل يمثل - برأي النقاد - مرحلة ازدهار اللغة العربية والأدب العربي، على تفاوت في وجهات النظر، ولكنه برأي شعراء المهجر أنفسهم يمثل بداية انحطاط اللغة العربية وتدهورها.

أما الناقد المحايد فإنه يرى أن تلك المرحلة، على ما بها من سمات الهبوط والتدهور، تُعَدّ بالنسبة للمراحل اللاحقة، مرحلة قمة الازدهار؛ لأن اللغة العربية، بدأت بعد الحرب العالمية الثانية يتلاشى عنفوانها ويذوي عودها، فجف معين الشعر في المهجر، والتهى الناس عن تكوين الجمعيات والروابط الأدبية بشؤون العيش وأسباب الغنى، وأخذت مدارس الجاليات العربية تضمر، واستقطبت السياسات اهتمامات الناس وأنشطتهم، ووزعتهم السياسة حسب انتماءاتهم الوطنية، وأنكى من ذلك كله وأعداه على اللغة العربية زواج العربي بالأجنبية - وما أكثره أيام ذاك - فقد غدا ثمرةُ هذا التزاوج جيلاً هجينًا يدين بالولاء والإعجاب للغة أمه ومجتمعه لا للغة أبيه وقومه. فكان هذا الجيل الذي نعايشه الآن جيلاً لا يعرف من العربية شيئًا - إلا من رحم ربك -، جيلاً أدار ظهره للعربية والعرب وبلاد العرب ولقضايا العرب، جيلاً تشبّع - بقصد أو بغير قصد - بالأفكار المضادة للعربية التي أوهموه بأنها لغة مهترئة بالية، كانت ذات رونق في يوم من الأيام، ولكنها أدت رسالتها في الحقب الخالية، ولم تعد تصلح لهذا العصر وتقنياته ومفهوماته، واقتنع هذا الجيل المسكين، الفاقد للهوية، المسلوب القدرة على التفكير السليم.

والغريب أن الجيل الأول من المهجريين كان جيلاً أكثره من صغار التجّار والعمال والصنّاع وأنصاف المثقفين والباحثين عن الثراء والأمن في القارة البكر، ومع ذلك فقد ازدهرت اللغة العربية على أيدي ذاك الجيل في أمريكا، والآن تغير نمط المهاجرين، فأصبح المهاجرون من النخبة المثقفة، ومن الذين يتمتعون بمستوى عال من الزاد الفكري والفني والتقني والمهني، من الذين يُطلق عليهم اسم «هجرة الأدمغة» الذين استقطبتهم أمريكا، إنْ بمغرياتها المادية، أو بعزوف هذه الأدمغة عن العودة إلى أوطانها غير المستقرة اقتصاداً وسياسة وأمنًا، ولكنّ اللغة العربية - هناك - لم تشهد الحركة النشطة التي شهدتها على أيدي قدامى المهجريين، ممّن وصفناهم بصغار التجار والعمال وأنصاف المثقفين والكادحين في سبيل العيش الرفيه. فهل فكّر المصلحون والمفكرون وأصحاب القرار في وسيلة تعيد الصحوة، إلى هذا الجيل، وأبناء هذا الجيل، ليتلمسوا أصالتهم، ويتعرفوا جذورهم اللغوية والفكرية والدينية؟ وليس ذلك على الله بعسير.





تنمية الشخصية

شروط ومبادئ

د. عبدالكريم بكار

يختلف علماء النفس وعلماء الاجتماع اختلافًا واسعًا في تعريف الشخصية، حتى ذكر بعضهم لها نحواً من أربعين تعريفًا! وكلمة «شخصية» كلمة محدثة لم تكن مستخدمة لدى القدماء. ويحدد بعضهم الشخصية بأنها «تنظيم عقلي ثابت، وبناء نسق ينطوي إما على مجموعة من العوامل الدافعية الداخلية، وإما على نمط من الاستجابات الخارجية»(1). ولعل من أوضح تعريفاتها ما ذكره أحد الباحثين من أنها: «مجموعة الصفات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التي تظهر في العلاقات الاجتماعية لفرد بعينه، وتميزه من غيره»(2).

لماذا نهتم بتنمية الشخصية؟

يحتل الإنسان في الرؤية الإسلامية مركز الكون، حيث إن كل ما حوله مسخَّر له. وإن الطبيعة البشرية تحمل في تكوينها الأعمق أشواقًا خاصة - على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي - إلى أشياء عديدة غير مادية، ولا يمكن للمادة أن تلبيها. وإن حكماء العالم وعلماءه لا يختلفون في أنه ينبغي أن نعيش في عالم يكون الإنسان فيه مقياسًا لكل شيء، على العكس من الواقع العالمي المنكوس الذي بات الإنسان فيه غريبًا معزولاً عن أعماق ذاته، ويحيا مقهوراً من أجل الوسط المادي الذي يعيش فيه!!

إن النمو الجسدي (الفسيولوجي) للإنسان - إلى جانب مواد عديدة أخرى - يظل غير قابل للاستمرار. أما النمو الروحي والعقلي فإنه غير مسوَّر بتحديدات في المجال أو الإيقاع(3)؛ مما يعني أن خلاص الإنسانية

الأكبر سيكون في السموّ بالإنسان وتحسين ذاته، وإدارتها على نحو أفضل، وليس في تنمية الموارد المحدودة، المهددة بالنفاد الكامل.

إن تنمية الشخصية لا تحتاج إلى مال ولا إمكانات ولا فكر معقّد، وإنما إلى الإرادة الصلبة والعزيمة القوية، ومن ثم فإن بإمكان الفقراء والمحدودين وأهل الظروف الصعبة أن يصبحوا - من خلال الجهد والاهتمام الملائم - أفضل ممن أوتوا بسطة في المال والجاه، لكن أبرز سماتهم الإهمال لحياتهم الروحية والعقلية والاجتماعية.

إن أمة الإسلام تواجه اليوم ضغوطات خارجية هائلة على المستويين المعنوي والمادي، وهي إلى جانب ذلك تعيش ظروفًا معيشية صعبة؛ وإن مبادئنا الأدبية تعلمنا أن أفضل طريقة لمواجهة الخارج هي تدعيم الداخل وإصلاح الذات، واكتساب عادات جديدة، والسعي إلى مزيد من التضحية والتعاون والانفتاح والالتزام ونكران الذات والاقتصاد، والمحافظة على رأس المال الوطني، إلى أن تمر العاصفة، وينتهي الظرف الاستثنائي.

وفي هذا يقول - جل وعلا -: *وإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا*. **آل عمران**: 120.

إن الأمم المنتصرة والمتمكنة في الأرض، هي أمم حققت نصرًا داخليًا أولاً، وحقق كل واحد من أبنائها نصرًا على صعيده الشخصي في جوانب عديدة من حياته.

شروط تنمية الشخصية

إن التنمية الجادة للشخصية تتمثل في مقاومة الإنسان لرغباته وعاداته وأهوائه، وفي صقله لجوانب ذاته المختلفة. وهذا كله يتطلب وجود دوافع وحوافز عديدة؛ حتى يتمكن المرء من القيام بذلك كله. ولا تسمح لنا المساحة المتاحة بأن نفيض في توضيح تلك الشروط، فلنذكر بعضها على سبيل الإجمال، ومنها:

أولا: وجود هدف أعلى يسمو فوق المصالح والغايات الدنيوية والمادية. ولا أظن أن المسلم يواجه مشكلة في تحديد الهدف الأكبر لوجوده، إلا أن الغرق في تفاصيل الحياة الكثيرة، يجعل إحساسنا بهدفنا الأكبر رتيبًا أو ضعيفًا؛ مما يجعل إثارة الهدف للحماسة، وتوليده للطاقة التغييرية لا تصل إلى المستوى المجدي لتنمية الذات.

ثانيا: وجود قناعة بضرورة التغيير، حيث إن كثيرًا من الناس يظنُّ أنَّ ما هو فيه جيد ومقبول، أو أنه على كل حال ليس الأسوأ. وبعضهم يعتقد أن ظروفه سيئة، وإمكاناته محدودة، ولذلك فإن ما هو فيه لا يمكن تغييره! والحقيقة أن المرء حين يتطلع إلى أن يتفوق على ذاته، فإنه سوف يجد أن إمكانات التحسين أمامه مفتوحة مهما كانت ظروفه صعبة وغير مشجعة.

ثالثا: الشعور بالمسؤولية شرط مهم لتحسين الذات، وحين يشعر المرء بجسامة الأمانة المنوطة به، تنفتح أمامه آفاق لا حدود لها للمبادرة للقيام بشيء ما، إنه يضع نصب عينيه اللحظة التي سيقف فيها بين يدي الله - جل وعلا - ويسأله عما كان منه.

إن علينا أن نوقن بأن بزوغ الشخصية الفذة لا يتم إلا من خلال شعور قوي بالمسؤولية؛ وإن التقزم الذي نشاهده اليوم في كثير من الناس ما هو إلا وليد تبلد الإحساس بالمسؤولية عن أي شيء!!

رابعا: الإرادة الصلبة شرط كل تغيير، وشرط كل ثبات واستقامة، وفي هذا السياق فإن (الرياضي) يعطينا نموذجًا طيبًا في إرادة الاستمرار، فالتدريب يُكسب المرء لياقة وقوة في العضلات، وحتى لا يفقد الرياضي لياقته، أو تترهل عضلاته، فإن عليه مواصلة التدريب. وهكذا فإن تنمية الشخصية ليست سوى الاستمرار في اكتساب عادات جديدة حميدة، والتخلص من عادات سيئة. وليس من اليسير الوفاء بالالتزامات كافة في المنشط والمكره، حتى الالتزام الجزئي فإنه يحتاج إلى إرادة لا تلين!

مبادئ في تنمية الشخصية

من الممكن القول: إن ما يجب تنميته في شخصية المرء ينقسم قسمين: قسم خاص بتنمية الخصائص الفردية، وقسم يتناول تنمية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، وجعلها تسير في المسار الصحيح. وسنذكر بعض المبادئ في كل منهما على سبيل التنبيه، لا على سبيل الحصر، وباختصار شديد.

أ - تنمية الشخصية على الصعيد الفردي:

1- التمحور حول مبدأ:

إذا أراد المرء أن يعيش وفق مبادئه، وأراد إلى جانب ذلك أن يحقق مصالحه إلى الحد الأقصى، فإنه بذلك يحاول الجمع بين نقيضين! إنه في كثير من الأحيان مضطر للتضحية بأحدهما، حتى يستقيم له أمر الآخر. وقد أثبتت المبادئ أنها قادرة على أن تكرر الانتصار المرة تلو المرة، وإن الذي يخسر مبادئه يخسر ذاته، ومن يخسر ذاته، لا يصح أن يقال: إنه كسب بعد ذلك أي شيء!

بعض الناس يتمحور حول سمعته، وبعضهم حول عمله أو زوجه أو أسرته.. ومن ثم فإنه يمكن لنا أن نفسِّر كل أنشطته في ضوء تمحوره ذاك.

إن المبدأ أشبه شيء بالنظارة، إذا وضعناها على أعيننا، فإن كل شيء يتلوَّن بها. إذا رأى صاحب المبدأ الناس يتنازعون على اقتناص الفرص دون المبالاة بحرام أو حلال، فإنه ينظر إليهم نظرة استغراب؛ لأن مبدأه يعلِّمه أن المكاسب غير المشروعة ما هي إلا مصائب تأجَّلَ الإحساسُ بلأوائها!

إن التمسك بالمبادئ قد يؤدي إلى بعض الخسائر في المدى القريب، لكنه سفينة نوح

الإنسان لايستكمل ذاته وإنسانيته إلا من خلال العيش في مجتمع. وعلى كل منا أن يتحمل قسطا من المسؤولية في انسجام التوازن الاجتماعي وتدعيم روح التفاهم بين الناس

على المدى البعيد(4)!

2ـ المحافظة على الصورة الكلية:

المنهج الإسلامي في بناء الشخصية يقوم على الشمول والتكامل، حيث يطلب تدعيم كل أبعاد الشخصية. والملاحظ أن لدى الإنسان قابلية عجيبة للانجذاب نحو محور من المحاور، وترك باقيها غفلاً دون أدنى اهتمام. ليس من النادر أن نرى من يصرف كل اهتمامه إلى الرياضة دون أن يقرأ كتابًا واحدًا في الشهر أو السنة، ومن يشتغل بالقضايا الفكرية دون أن يصرف أي جهد للعناية ببعده الروحي أو البدني وهكذا...

وحتى لا نفقد الصورة الكلية للوضعية التي ينبغي أن نكون عليها يجب أن نقوم بأمرين:

أولا: أن ننظر دائمًا إلى خارج ذواتنا من أجل المقارنة، ومن أجل أن نستشرف ما نحن عليه عن كثب، إذ إن الرؤية تتشوه عندما نعزل ذواتنا وأوضاعنا عن السياق الاجتماعي العام.

ثانيا: أن ننظر دائمًا إلى أهدافنا الكلية، ومدى خدمة بنائنا لأنفسنا في تحقيق تلك الأهداف.

3ـ لنقطع على أنفسنا عهودًا صغيرة، ولنحاول التزامها:

إن الأعمال الطيبة حين تتراكم تجعل من الإنسان رجلاً عظيمًا، وإن قطرات الماء تشكل في النهاية بحرًا، كما تشكل ذرات الرمل جبلاً!

وقد وجدنا من خلال التجربة أن أفضل السبل لصقل الشخصية هو أن يلتزم المرء عادات وسلوكات محددة صغيرة، كأن يقطع المرء على نفسه أن يقرأ في اليوم جزءًا من القرآن، أو يمشي نصف ساعة مهما كانت الظروف والأجواء، وكأن يستيقظ مرة في الأسبوع قبل الفجر، وهكذا.

ليكن الالتزام ضمن الطاقة، وفي نطاق الظروف المتاحة، لكن إذا التزم المرء شيئًا فليكن التزامه صارمًا. وفي الحديث: «وكان أحبُّ الدين إليه ما داوم عليه صاحبه»(5).

4ـ لنعمل ما هو ممكن الآن، ولا ننتظر تحسن الظروف:

علينا أن نفترض أننا لم نصل إلى القاع بعد، وأن الأسوأ ربما يكون في الطريق! كما أن علينا أن نعتقد أن التحسن الذي قد يطرأ على أحوالنا، لا ندري متى سيكون حتى نعمل في أجوائه.

إن التفكير الإيجابي يجعل صاحبه يرى في كل تحدٍّ فرصة، كما يجعل صاحبه يرى كل باب يُفتح، ولا ينشغل بالأبواب التي أغلقت! ليكن شعارنا دائمًا: «باشر ما هو ممكن الآن».

وإذا فعلنا ما هو ممكن اليوم صار ما هو مستحيل اليوم ممكنًا غدًا. ولنراقب ردود أفعالنا على المشكلات، فإنها دائمًا خلاصة تربيتنا وعلمنا واستيعابنا.

5ـ كتابة بيان المهمات الشخصية:

هناك نوع من الوصايا الصغرى التي ينبغي أن تكون ذات حضور دائم في حركتنا اليومية، وهي كثيرة جدًا، سنختار هنا من أهمها على قدر ما تسمح به هذه المساحة:

- اسع لمرضاة الله ـ تعالى ـ دائمًا.
- لا تساوم على مبادئك.
- حاول أن تستحضر النية الصالحة في كل مباح.
- لا تجادل في خصوصياتك.
- النجاح في المنزل أولاً.
- حافظ على لياقتك البدنية، ولا تترك عادة الرياضة مهما كان الظرف.
- لا تساوم على شرفك وكرامتك.
- استمع للطرفين قبل إصدار الحكم.
- تعوَّد استشارة أهل الخبرة.
- دافع عن إخوانك الغائبين.
- سهِّل نجاح مرؤوسيك.
- ليكن لك دائمًا أهداف مرحلية قصيرة.
- لا تقترض من أجل شراء أشياء استهلاكية.
- وفِّر شيئًا من دخلك للطوارئ والاستثمار.
- أخضعْ دوافعك لمبادئك.
- طوِّر مهارة جديدة كل عام(6).

ب ـ تنمية الشخصية على صعيد العلاقات مع الآخرين:

يظل الإنسان كائنًا قابلاً للتعلم، بل إن البشرية كلها تتعلم باستمرار. والجزء الأكبر من التعلم يحدث من خلال علاقات الناس بعضهم مع بعض. كل واحد منا يريد أن يحتفظ بشخصيته واستقلاله، إلى جانب حاجته إلى الاندماج في مجتمعه، من أجل تمثل قيمه والاستفادة من خبراته. هاتان الحاجتان هما مصدر التأثير والتأثر اللذين يسودان كل مجتمع، وهما منبع التوازن الاجتماعي أيضًا. ومع أن الإنسان لا ينضج، ولا يستكمل ذاته وإنسانيته إلا من خلال العيش في مجتمع، إلا أن اجتماع الناس بعضهم مع بعض يولد مشكلات وتوترات كثيرة، ومن ثم فإن على كل واحد منا أن يتحمل قسطًا من المسؤولية في انسجام التوازن الاجتماعي، وتدعيم روح التفاوض والتفاهم بين الناس.

وهذه بعض النقاط التي نعتقد أنها تساعد على ذلك:

1ـ تحسين الذات أولاً:

في داخل كل منا قوة، تدفعه نحو الخارج باستمرار؛ فنحن نطلب من الآخرين أن يفهمونا بشكل جيد، وأن يعذرونا، ويقدروا ظروفنا، وقليل أولئك الذين يطلبون هذا من أنفسهم!

إن الأساس العميق للعلاقات الجيدة، يتمثل في الجاذبية والإعجاب، وكل علاقة تقوم على غير هذا تكون إما شكلية وإما مؤقتة. وأساس الجاذبية هو التميز، والشخص الذي يثير الإعجاب هو الذي اجتمعت فيه صفات لا

التشجيع يؤدي إلى تفجير أفضل ما لدى الأمة من طاقات كامنة، كما أن الإهمال يخنق كثيرا من الملكات المتفتحة التي من الممكن أن تصنع الأعاجيب لو وجدت من يشجعها

تجدها في أكثر الناس إلا متفرقة. إن الأب الذي يريد من ابنه أن يكون بارًا مطالب بأن يكون أبًا عطوفًا أولاً. وعلى الجار الذي يريد من جيرانه أن يقدموا له العون، أن يبذل لهم العون، وهكذا...

على كلٍّ منا أن يرفع شعار: «البداية من عندي» وسيحصل بعد ذلك خير كثير!

2- لنرسل إشارات غير لفظية لمن تربطنا بهم علاقة:

ليس وعي الناس ثابتًا، وليست أحكامهم نهائية؛ وأكثر الناس نمطية مستعد في النهاية لتغيير رأيه إذا تبدَّت له حقائق جديدة.

شكر الناس والدعاء لهم، وابتداؤهم بالتحية، كل ذلك مُعتبر لديهم، لكن الأهم من ذلك هو الإشارات غير اللفظية، مثل عيادة مريض، أو تقديم العون في أزمة، أو باقة ورد في مناسبة، أو الصفح عن زلة، أو لمسة وفاء ندية.

ولهذه الأعمال قيمة كبيرة عند الله - تعالى -؛ لأنها من أعمال البر والإحسان، ولأنها ذات أثر بالغ في إشاعة التوادِّ والتحابب في المجتمع المسلم.

بعض الناس لا يحسن شيئًا مما ذكرنا، ومن ثم فإنه بحاجة إلى قراءة كتاب في (قواعد الصداقة) إلى جانب تدريب النفس ومجاهدتها على ذلك.

3- لا بد من أخ نترك بيننا وبينه مسافة قصيرة:

لا يستطيع المرء - في العادة - الحصول على أصدقاء كثر من الدرجة الأولى؛ وإذا وجد أحدنا خمسة من إخوان الصدق والملمات، فإنه محظوظ جدًا، والأمر كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «الناس كإبل مئة، لا تكاد تجد فيها راحلة»(7).

إن حاجة المرء إلى أخ يُسقط معه مؤونة التكلف حاجة ماسَّة، ولا يعوِّضه عند فقده أيّ شيء آخر.

وتشير بعض الدراسات إلى أن الأشخاص الذين يفتقدون شخصًا، يثقون به، ويكون قريبًا منهم يظلون أكثر عرضة للاكتئاب(8). وإن بعض صور الاضطراب العقلي ينشأ من مواجهة المرء لمشاق وصعوبات كبرى دون أن يجد مساندة اجتماعية ودعمًا أخويًا ملائمًا.

إذا وجد أحدنا الصديق الحميم والأخ الوفي، فليحسنْ عشرته، وليؤد حقوقه، وليصفح عن زلاته، فكثيرًا ما يفترق الأصدقاء نتيجة المخالطة الزائدة واقتحام الخصوصيات وسوء التقدير، لذا لا بد من ترك مسافة قصيرة بين الإخوة، وهامش ملائم للتحرك والتصرف الخاص.

4- كل منا بحاجة إلى الاعتراف والتقدير(9):

من الأقوال الرمزية: كل شخص يولد وعلى جبهته علامة تقول: «من فضلك اجعلني أشعر أنني مهم». كلما وقع اتصال بين الناس، تناقلوا بينهم رسالة صامتة، تقول: «فضلاً زكّني»، «لا تمرّ بي غير آبه»، «أرجوك اعترف بكياني».

مهما كان المرء عبقريًا وفذًا وناجحًا، فإنه يظل متلهفًا لمعرفة انطباع الناس عنه، وكثيرًا ما يؤدي التشجيع إلى تفجير أفضل ما لدى الأمة من طاقات كامنة، وكثيرًا ما خنق الإهمالُ ملكات متفتحة، يصنع أصحابها العجائب لو وجدوا من يشدّ على أيديهم، وينفحهم نفحة اعتراف وتقدير!

وقد وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - عددًا كبيرًا من أصحابه بصفات تُمَيِّزهم من غيرهم؛ حتى يعترف الناس بفضلهم، مما هو معروف مشهور(10).

إن اكتشاف الميزات التي لدى الناس يحتاج إلى نوع من الفراسة والإبداع، وقبل ذلك الاهتمام.

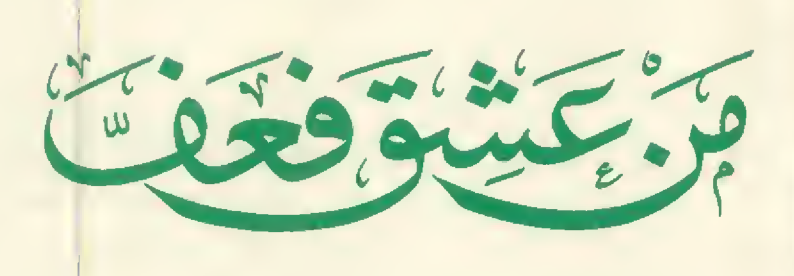
5- تأهيل النفس للعمل ضمن فريق:

نعيش اليوم في عالم يزداد الاعتماد فيه على المجموعات في إنجاز الأعمال، حيث إن تعقُّد المهمات يقتضي أن يقوم بالعمل الواحد فريق متناسق متفاهم. ولا يخفى أن كثيرين منا لديهم نوع من النمو الزائد في الفردية، فهم ينجحون في كثير من الأعمال التي تتطلب عملاً فرديًا، فإذا ما عملوا في لجنة أو مجموعة، فإنهم يسجلون نتائج سلبية وغير مشجعة؛ ومردود هذا على نهضة الأمة في منتهى السوء! وحتى يتأهل الإنسان للعمل ضمن فريق فإنه بحاجة إلى أن يتدرب على أمور عديدة، منها:

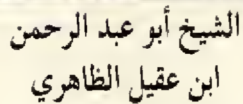
- حسن الاستماع والإصغاء لوجهة نظر الآخرين.
- فهم طبيعة العمل على نحو ممتاز، وفهم دوره في ذلك العمل.
- فهم الخلفية النفسية والثقافية للمجموعة التي يتعاون معها.
- استشارة أفراد المجموعة في كل جزئية في العمل المشترك، تحتاج إلى قرار أو تصرف غير مادي.
- الاعتراف بالخطأ، ومحاولة التعلم منه.
- عدم الإقدام على أي تصرف، يجعل زملاءه يُسيئون فهمه.
- عدم إفشاء أسرار العمل، والحرص على ألا يتحدث عن أشياء ليس من اختصاصه التحدث عنها.
- المبادرة إلى تصحيح أي خطأ يصدر من أي فرد من أفراد الفريق، أو أي انحراف يصيب العمل وفق آداب النصيحة وشروطها.
- تحمل ما يحدث من تجاوزات وإساءات من بعض أفراد الفريق واحتساب ذلك عند الله تعالى.
- إذا وجد أن الاستمرار غير ممكن فعليه أن يفارق المجموعة بإحسان، وأن يستر ما قد يكون رآه من خلل وهفوات، ويترك مجالاً للتعاون معها على مستوى معين، أو في مهمات أخرى.

الهوامش:

1- دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، د. علي جلبي، بيروت، دار النهضة العربية، ص281.
2- القيادة والتغيير، بشير الجابري، جدة، دار حافظ، ط. أولى 1414هـ، ص226.
3- حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي بقلم مجموعة من الخبراء، ترجمة د. عبدالسلام رضوان، الكويت، سلسلة عالم المعرفة 1410هـ، ص423.
4- انظر حول ميزات التمحور حول مبدأ: العادات السبع، تأليف ستيفن كوفي، ترجمة هشام عبدالله، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ط أولى 1995م، ص121.
5- أخرجه الشيخان.
6- انظر في بعض ما سبق: العادات السبع، ص99-101.
7- أخرجه أحمد وغيره.
9- سيكولوجية السعادة، تأليف مايكل أرجايل، ترجمة فيصل يونس، الكويت، سلسلة عالم المعرفة 1414هـ، ص269.
9- دليل التدريب القيادي، د. هشام الطالب، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1414هـ، ص185.
10- من ذلك وصفه لعمر بالفاروق، ولعثمان بالحياء، ولأبي عبيدة بأنه أمين هذه الأمة، ولمعاذ بمعرفة الحلال والحرام، وغير هذا كثير.






الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

توسعت في تخريج حديث «من عشق فعف» الذي خرّجته وحققته بكتابي «كيف يموت العشاق»، ثم نقحته وأضفت إليه ضعفه ونشرته في كتيب بعنوان «بطلان حديث من عشق فعف إذا كان مرفوعًا وتحسينه في الوقف».

ثم صدر أوائل هذا العام وآخر عام 1416هـ كتاب بعنوان «درء الضعف عن حديث من عشق فعف» لأبي الفيض أحمد بن الصديق الغماري بتحقيق إياد أحمد الغوج.

ورأيت لهذا المحقق الفاضل كتابًا مجملاً عن كتابي تحس فيه لغة الأستاذية، قال: «وقد وقفتُ على مصنَّف آخر في هذا الحديث كتبه الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري انفصل فيه عن بطلانه مرفوعًا، وتحسينه موقوفًا، وصحة معناه من حيث الأجر للعاشق على عفته بناءً على النصوص العامة في ذلك، مع التوقف في إثبات حكم الشهادة؛ لأنه لا يُطلق إلا بإخبار من الشرع، ولم يثبت ذلك.. إلا أن هذا الجزء ضعيفٌ ومشوشٌ غير مرتب؛ وكاتبه جمعه على عجلة لا يليق معها إخراجه»(1).

قال أبو عبدالرحمن: لم يوفق الشيخ إياد في أحكامه الجائرة. أما العجلة فهذا الكتيب من الكتب التي حظيت بعنايتي ومعاودتي، فقد كان من قراءاتي المهمة منذ أربعين عامًا، أيام ولعي بطوق الحمامة، وقد حررته ونشرته حلقات بالمسائية، وجعلته مادة من كتابي «كيف يموت العشاق؟».

وأما التشويش فلا ريب أن من طالعه يجده محكم البناء منهجيًا، فقد أفردت فصلاً عن الحكم في إسناده، وفصلاً في تخريجه وذكر أدبياته.. فالفصل الأول تلخيص للثاني، ومدخل تصوري لواقع الحديث إسنادًا.

وجعلت الفصل الثالث عن الحكم فيه سندًا ومتنًا.. والموضوع صغير محصور لا يتحمل فصولاً وأبوابًا منهجية أكثر من ذلك.

وأما الضعف فلا يكون إلا بقصور في تحصيل المادة، أو بقصور في فهمها، أو بغفلة في الاحتجاج، فكان عليه أن يترفع عن الدعوى العارية، ويتكلم بحجة وبرهان وتدليل وتعليل، فيضع النقاط على الحروف، وينص لنا تفصيلاً مغامز الضعف في الكتاب.

ثم إنني أعود فأبين له أن الضعف عنده، لأنه لم يورد في مصادره ـ فيما يتعلق بصلب الموضوع ـ مصدرًا لم أسبقه إلى سياق ما فيه عرضًا وتمحيصًا، بل من مصادري ما لم يطلع عليه.

كما أنه بغير منهجية حكم بضعف الحديث مسندًا وموقوفًا، ولا حجة له إلا أن كل إسناد فيه مقال تضعيف، وهذا منهج رديء جدًا؛ لأنني أقمت البراهين في كتابي على أن الضعف حالة توقف لا تزول إلا بدليل من خارج يجعل الحديث باطلاً أو حجة؛ لأنه حسن أو صحيح لغيره.. وما التحسين إلا تقوية ضعيف بضعيف إذا لم يوجد في الإسناد كذاب، ولم يقم برهان على أن المأخذ من طريق واحد لا تقوم به حجة كالإشاعة والتواطؤ.. بينت ذلك في مثل كتيباتي: البرهان على تحسين حديث سلمان، وتضعيف حديث دخول الجنة بجواز من الرحمن، وقَيْء المغتاب.

وكل تعليل للحديث حشّى به المحقق فقد سبقته إليه، بالإضافة إلى تعليلات ذكرتها في كتابي وقد ندت عنه، إلا أنه تجاهل ريادتي وإفادته من كتابي بنكران شديد، وحكم جائر، إذ قال عن كتابي (ليغفل الناس عن إفادته منه): ضعيف مشوش... إلخ.

قال أبو عبدالرحمن: وهذا ملخص حكمي في الحديث بأنه حسن موقوفًا غير صحيح مرفوعًا، إذ قلت: الصواب أن هذا الحديث موقوف، وهو من كلام ابن عباس رضي الله عنهما وفتواه، قاس قتيل العشق العفيف الصابر على أحد الشهداء، والقياس يصيب ويخطئ، ثم رُفع إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهمًا لا عن تعمُّد كذب.

والحكم في هذا الحديث عند العلماء رباعي: فمنهم من صحّحه، ومنهم من حسّنه، ومنهم من ضعّفه، ومنهم من جعله موضوعًا.

والذين لم يحسّنوه ولم يصحّحوه اختلفوا: فمنهم من صحح معناه كشيخ الإسلام ابن تيمية، ومنهم من حكم بفساد معناه كابن قيم الجوزية.

والصواب صحة بعض معناه، وهو أن العاشق العفيف الصابر يؤجر، ويتضاعف أجره بقدر نيته في تركه الإثم خوفًا من الله، يدل على ذلك الحديث الصحيح عن الثلاثة أصحاب الغار في خبر من كان قبلنا.

وممن صححه لفظًا ومعنى مغلطاي في كتابه عن المحبين، والزركشي في اللآلئ المنثورة، والسخاوي في المقاصد، والبقاعي في أسواق العشاق.

وحجة من صححه اتصال السند، وثقة الناقل خلال سلسلة الإسناد، وعدالته.

قال أبو عبدالرحمن: التصحيح دعوى خرقاء تنافي أصول المصطلح، لأن

أحد أسانيده غير مسلم اتصاله وهو إسناد الخرائطي، إذ ورد عنده بإسقاط أبي حازم، والرواية مباشرة عن يعقوب وهو لم يدركه.

والإسناد الثاني مداره على سويد، وعلى التسليم بصدقه في ذاته، فإن الرجحان على أن هذا من أوهامه، ولا يعني روايةُ الأكابر عنه نفي وهمه، لأنه أغرب في أحاديث رواها عنه الأكابر.

وأما من حسَّنه فلم أجد غير الزرقاني في مختصر المقاصد الحسنة.

قال أبو عبدالرحمن: وتُخَرَّج حجته بناء على واقع روايات الحديث وأصول المصطلح في التحسين بكون راويه غير متهم بالكذب، وإنما الأمر يتعلق بالوهم لسوء حفظ، أو آفة عمى تمنع من صيانة الكتاب عن الدس فيه، لأن سويدًا كان ضريرًا، وقد زال الوهم بشواهد أخرى.

كما أن هذا الحديث معمول به، لأن كثيرين من العلماء قبلوه في شعرهم.

قال أبو عبدالرحمن: أما رواية أبي نواس في شعره فلا يُعتدّ بها.

والتحسين ههنا منهج خاطئ، لأن شواهد هذا الحديث نوعان: صحيح غير مرفوع فيحمل ما لم يصح على ما صح، وغير صحيح لوهم أو اتهام بالكذب، فيبقى الشاهد معلولاً في ذاته، فلا يتقوى به إسناد آخرُ معلول من وجه آخر بعلة تتعلق بالوهم.

وأما أقوال العلماء فليست كلها نصًا في التحسين، بل تذكر الورود بمعنى أنه روي، وليس كل مروي يكون صحيحًا أو حسنًا.

كما أن الفتوى ههنا غرض شعري، ومجاراةٌ مبناها على التسامح، ولاسيما أن لمدلول الحديث معنًى صحَّحه ابن عباس قياسًا لا نصًا.

ولو صح أن أحد هؤلاء العلماء صححه أو حَسَّنه لكان ذلك رأيًا يُرَدُّ إلى الأصول.

قال أبو عبدالرحمن: وهناك من ضعَّفه ولم يبين درجة ضعفه حسب اصطلاح معين: أهو من الضعيف الراجح بطلانه، أم الضعيف الذي لم تقم شواهد صحته، فيكون محتمل الطرفين حكمه التوقف؟

قال أبو عبدالرحمن: قام البرهان على أنه حديثٌ باطلٌ رفْعُهُ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو صحيح الإسناد إلى ابن عباس رضي الله عنهما من قوله موقوفًا عليه.

ومنهم من حكم بوضعه.

وممن بالغ في الحكم بوضعه ابن قيم الجوزية في عدد من كتبه.

وفي هذا الحكم إجحاف، لأنه يعني تعمد الكذب، وقد قام البرهان على أنه محمول على الوهم لا تعمد الكذب، وما كان هذا شأنه يكون ضعيفًا لا موضوعًا؛ ويكون من الضعيف المردود الذي نُسب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهمًا لا وضعًا.

قال أبو عبدالرحمن: فعلى المحقق إذا ضعَّفه أن يأتي إلى الشواهد التي جعلتها محسِّنةً له موقوفًا فيبين امتناع حسنه بها، فيتكلم بعلم. أما الإصرار على دعوى الضعف بمجرد وجود الضعف في آحاد الإسناد مع تجاهل براهين التحسين فهذا غمط للحق لا تبرأ به الذمة، ولا يليق بأهل العلم.

وبينت صحة معناه شرعًا بقولي: وهو في صحته على قسمين: معنى صحيح ثابت شرعًا وهو وعد من عف وصبر عن كل مُحَرَّم بالجنة إذا تخلفت الموانع من دخولها، ومعنى صحيح التصوّر شرعًا؛ لأنه لم يرد ما يمنع منه، ولكن لا يجوز نسبته إلى الشرع إلا ببرهان، وهو الحكم بالشهادة، فهو صحيح التصور شرعًا، ومعنى صحته إمكانه وأنه غير محال شرعًا.

قال أبو عبدالرحمن: فأي ضعف، أو تشويش وعجلة بعد هذا؟!

وكتاب درء الضعف للغماري، وتحشيات إياد عليه تحتاج إلى تتبع لا أفرغ له الآن، ولكنني لاحظت أن المحقق يكثر من مثل قوله في تعقب المؤلف: هذا أمر يحتاج إلى بحث، هذه دعوى تحتاج إلى دليل، لا نسلم ذلك.

يقول المحقق مثل هذه العبارات في مقابلة حجة المؤلف.. وهذا منهج رديء جدًا في البحث.. إنما يقال مثل ذلك إذا لم يورد المتعقَّب - بصيغة اسم المفعول - احتجاجًا، أما إذا احتج (سواء كانت حجته صحيحة أم باطلة)، فلا يقال له: هذا أمر يحتاج إلى بحث، بل يناقش احتجاجه، فالبحث حينئذ على الناقد، ولا يقال: هذه دعوى تحتاج إلى دليل، بل يناقش حجته التي عدَّها دعوى ويحدد موقع الخلل فيها، ولا يقال: لا نسلم ذلك، فليس تسليم الناقد أو عدم تسليمه حجة على أحد، ولا تُدفع أقوال أهل العلم وحججهم بهذه السهولة، بل الإنصاف تتبع الناقد لكلام من تعقبه دعوى واحتجاجًا تتبعًا يراه الناس، ثم يرد ما قامت له الحجة على بطلانه.

خذ نموذج ذلك قول المؤلف الغماري عن نقد ابن معين الذي أغلظ في نقده سويد بن سعيد: «إنه صادرٌ عن عصبية وتحامل؛ فإن ابن معين كان من أنصار أبي حنيفة المتمذهبين برأيه، فلما روى سويد حديث: من قال في ديننا برأيه فاقتلوه، وحديث: تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فتنةً قومٌ يقيسون الأمور برأيهم، فيحرمون الحلال ويحلّلون الحرام: ظن أنه يروي هذه الأحاديث يُعرِّضُ فيها بأبي حنيفة ومذهبه، فثار غضبه لأجلها.. قال البرذعي: سمعت أبا زرعة يقول: قلنا لابن معين: إن سويدًا يحدث عن ابن أبي الرجال: عن ابن أبي رواد: عن نافع: عن ابن عمر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قال في ديننا برأيه فاقتلوه»، فقال يحيى: ينبغي أن يُبدأ بسويد فيُقتل»(2).

قال أبو عبدالرحمن: أتدرون بماذا انفصل المحقق عن هذا الاحتجاج؟ انفصل عنه بأسهل تملص، فقال: «ابن معين اشتد في حق سويد، لكن كون ذلك عن عصبية مذهبية فأمر يحتاج إلى بحث»!!

قال أبو عبدالرحمن: المؤلف جاء بالبحث، فعلى المحقق - إذا لم يقر بالبحث - أن يناقشه، فيثبت مثلا أن ابن معين ليس حنفيًا، وأنه غير متعصب للمذهب، وأن في سويد من العظائم ما يسوّغ لابن معين أن يقول: ينبغي أن يُبدأ بسويد فيُقتل.

وبمثل ذلك عليه أن يناقش قول المؤلف عن ابن معين والشافعي: «وحسبك أنه طعن في الإمام الشافعي رضي الله عنه لهذا المعنى المذهبي، ولما وثقه مرةً أخرى أتى فيه بعبارة هي أصغر من الشافعي بألف مرة، فقال فيه: لا بأس به.. وإن نُقلَ عنه أنه قال: من قلتُ فيه لا بأس به فهو ثقة.. إلا أنه لا يعدل عن ذكر الثقة إليها إلا لنكتة، كما يدل لذلك قرينةُ كلامه في الشافعي مرةً أخرى.. وقد رد عليه التاج السبكي في الطبقات، وعَيَّرَهُ بجوابه في مسألة خلق القرآن، وذكره الذهبي في الضعفاء لأجلها وغيرها.. وابن معين أجل قدرًا من أن يُذكر في الضعفاء، ولكنه كما قال أبو داود - وقد طعن فيه - فقيل له: أتطعن في ابن معين؟.. فقال: من جر ذيل الناس جروا ذيله»(3).

فهل يجد إياد لابن معين رحمه الله شيئًا غير التعصب المذهبي الذي جعله يُصغّرُ أمر الإمام الكبير محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله؟!

الهوامش:

1- درء الضعف: المقدمة.
2- المصدر السابق ص63.
3- المصدر السابق ص65.

رحلة زرياب إلى

1

خيرالله سعيد

تخطَّى اسم بغداد موقعها، جغرافيًا وسياسيًا، بعد أن أنشأها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة 145هـ/ 762م(1)، حيث أخذ الناس يتوافدون عليها من كل حدب وصوب، يشيدون فيها أبنيةً ودورًا ومحالَّ تجارية وصناعية، حتى شهد العصر العباسي ارتفاعًا في وتيرة التحول السكاني إلى العاصمة الجديدة، فقد كان بناؤها علامة مميزة في هذا العصر، إذ أقبل السكان على هذه المدينة الجديدة، وهم يحملون معهم عاداتهم ومعتقداتهم، ويحرصون عليها، وقد تجمّع في المدينة المشيدة حديثًا، حشد من الثقافات المختلفة، فقد وُزِّعت المحلات والدروب على الجنود والسكان، حيث نزلوها جماعات حسب أصولهم العرقية.

إلا أن هذا التوزيع لم يقف عائقًا أمام الحالة الاجتماعية لسكان بغداد، فاختلط الأقوام بعضهم ببعض، وتناقلوا خبراتهم، وأدى هذا التبادل إلى ظهور دوائر معاشية، تميّزت بعاداتها وتقاليدها وأفكارها. ويلاحظ على مجتمع بغداد في بدايات تشكله الأولى سيادة النفوذ الفارسي، والخراساني بشكل خاص، بحيث أخذ هذا التشكيل «الأعجمي» يمارس نوعًا من الوصاية السياسية والثقافية على القصر الملكي وحاشيته، وقد أورد الجاحظ آراء بعض البغداديّين الذين سئموا هذه الحالة، فقد روى عن طارق بن أثال الطائي قوله(2):

ما إن يزال ببغداد يزاحمنا
على البراذين أمثالُ البراذين
أعطاهم الله أموالاً ومنزلةً
من الملوك بلا عقل ولا دين

وهذه المسألة تشير إلى البدايات الأولى للفهم السياسي في المجتمع البغدادي، الأمر الذي يستوجب تحفيز طاقات رجال السلطة إلى المحافظة على سلطتهم سياسيًا، واجتماعيًا، فراح الكتّاب ينطقون بلسان النظام العباسي الإقطاعي الأساس، الفارسي المصدر والنشأة، الذي حمل معه كل أخلاقياته ونزوعاته الاقتصادية والاجتماعية، مما أوجد حالة أولية من التعارض لم تتفق مع قيم الجماعة العربية الإسلامية صاحبة السلطة والمجتمع، إلا أن حالة القبول لهذا النظام الفارسي وأخلاقياته وجدت آذانًا صاغية في البلاط العباسي(3).

إذن هناك ملامح سياسية واضحة أفرزها مجتمع بغداد في بدايات تكوينه، وما وجود هذه العناصر المتعددة القوميات، في البناء السياسي العباسي، إلاّ دليلٌ على ذلك. وبغية المحافظة على التوازن الاجتماعي والسياسي، راحت السلطة العباسية، تجد من خلال رجالاتها «بطانات إعلامية» تحقق مآربها سياسيًا، وكان الشعراء والندماء والمغنُّون والجواري، مادة أساسية في هذه البطانة، يضاف إلى ذلك، وجود «طبقة» من التجّار، تتواشج مصالحها مع البناء السياسي للسلطة، وتأخذ على عاتقها مهمة إعلامية من خلال تجوالها في أقطار الأرض المختلفة، وذلك يجري عند تبادل الأحاديث حول مصدر البضاعة المعروضة. ومن المعروف أن بغداد امتدَّ نفوذها التجاريّ مع الشرق، إذ ربطت لأول مرة مباشرة مع الشرق، بطرق المواصلات المائية بالبحر العربي(4) مما سهَّل لها الانفتاح على العالم، وقد عرفت السلطة العباسية ورجالها كيفية التعامل مع هؤلاء التجار النشيطين وقتذاك.

الرفاهية الاقتصادية وشيوع الغناء

إن ازدهار بغداد العباسية تخطى حاجزها السياسي، تبعًا لتطورها الاقتصادي، وهذا الأمر انعكس على حالة المجتمع البغدادي عامة، فظهرت حالة من التطور الاجتماعي، فمال الناس إلى الدعة والراحة، وطلب الملذات، فشاع الغناء وازدهر، بمختلف مناحيه ومشاربه، وقد شكلت الجواري المغنيات ظاهرة متميزة ومألوفة، وشجعت السلطة العباسية على سيادة هذه الظاهرة وعمومها، وذلك من خلال اقتنائها الجواري المغنيات وشرائهن بأسعار مرتفعة جدًا(5).

وثمة من يلاحظ أن العامل السياسي كان له دور في تشجيع الغناء(6)، فلقد لاحظ الخلفاء العباسيون أن المغنيات المشهورات يرددن أغاني في مدح الخلفاء الأمويين، وقد أوردت بعض المصادر التاريخية ذلك(7)، يضاف إلى ذلك أن حشد المغنين والشعراء والموسيقيين كان يضفي على القصر هالة من العظمة، ويسهم في الوقت نفسه في تثبيت الوضع الجديد، ويقارع تراث بني أمية

الأندلس

المدحور الماثل، وليس بعيدًا من هذا ـ كما يقول باحث معاصر(8) ـ احتضان القصر لمطيع بن إياس وأبي نواس(9)، وغيرهما من زعماء التجديد الشعري. وهذه الحالة الفنية والسياسية، رَقِيَت بتجارة الرقيق إلى التطور والازدهار، وبروز صنف مميز من المغنيات تدرّبن مددًا طويلة على مهنة الغناء، وقد استطاع مغني الخلافة العباسية الأول إبراهيم الموصلي إيجاد مدرسة خاصة لتعليم الجواري فن الغناء(10)، كان يتقاضى عليهن مبالغ طائلة. وليس ذلك فحسب، بل إن المغنين صار لهم شأنٌ وحظوة عند الخلفاء، المنادمين لهم، فقد طلب إسحاق الموصلي، وهو ابن إبراهيم الموصلي، من الخليفة المأمون أن يختصه بفضل منه، فيجعل دخوله عليه مع أهل العلم والأدب والرواة لا مع المغنين، فأجابه إلى ذلك، ثم طلب بعد مدة أن يكون دخوله عليه مع الفقهاء والقضاة فأذن له، ولكن سوء رأي الناس في الموسيقيين منع المأمون من تعيينه قاضيًا، على حسن ظنه بمعلومات إسحق الفقهيّة وعفته وعدالته(11)، وهذا يشير إلى سموّ ظاهرة الغناء على غيرها من الظواهر الاجتماعية في العصر العباسي، وقد ذكر أبو المطهر الأزدي(12) منهم نخبة ممتازة فرضت نفسها على العامة والخاصة، والعلماء والأدباء وغيرهم.

وبين هذا الكم الهائل من المغنين كان هناك تلميذ في الظل، يتعلم فن الغناء منزويًا بعيدًا من أعين الرقباء، كان اسمه زرياب. وقبل الخوض في رحلة زرياب إلى الأندلس، لا بدّ من الوقوف على علاقات بغداد المشرقية مع الأندلس المغربية وتأثير الأولى في الثانية في السياق التاريخي العام، وضمن الأبعاد الحضارية.

أثر بغداد في الأندلس

ما إن ازدهرت بغداد، حتى صارت محطّ أنظار العلماء والأدباء، فصاروا يقصدونها من شتى البقاع والأمصار، وأصبحت محطًا للأفكار ولتصادم الآراء وتمازج العقول وتقبل الغرباء والترحيب بالأصدقاء، فازدحمت فيها الجوامع والمعاهد وخزائن الكتب وأسواق الوراقين المتعددة، والمستشفيات والمتنزهات والفنادق والحمامات، وقد كان للخلفاء دور في تشجيع العلم والعلماء والشعراء ورعايتهم(13)، ولقد كان أهل المغرب تواقين للتشبُّه بأهل المشرق، فمثلما وصف شعراء بغداد مدينتهم، فعل كذلك أهل قرطبة، يقول عبدالجسور بن غالب بن عطية وهو يودع قرطبة(14):

أستودع الله أهل قرطبة
حيث عهدت الحياة والكرما
والجامع الأعظم الغيور ولا
زال مدى الدهر مأمنا حرما

ثم يستطرد هذا القاضي، بمشاعره، ليميز قرطبة من غيرها، فيقول في قصيدة أخرى:

بأربع فاقت الأمصارَ قرطبةٌ
وهنَّ قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة
والعلم أكبر شيء وهو رابعها

وطغى حب العواصم والمدن المشرقية على شعراء أهل المشرق، فما إن يغادرون ديارهم حتى تتهيج لواعج الشعر في أفئدتهم حبًا وحنينًا، وليس الشعراء وحدهم الذين جاروا أهل المشرق في ذلك، بل إن العلماء والأدباء نَحَوْا ذلك المنحى نفسه، وليس ذلك فحسب، بل أصبح القدوم إلى بغداد، واحدة من أمنيات العلماء الكبار، ويكفي أن نذكر منهم ابن الفرضي وابن بشكوال وابن الأبَّار والحميدي وابن خير الإشبيلي وابن سعيد المغربي والمقَّري صاحب «نفح الطيب» وغيرهم.

ولقد كان للعامل السياسي دور إيجابي في الحياة الفكرية والثقافية، وبغية أن يضاهي الخلفاء الأمويون في الأندلس الخلفاء العباسيين في بغداد، فإنهم عمدوا إلى تشجيع العلم والعلماء، وبذلوا الأموال في سبيل ذلك، ففي قرطبة كانت أسواق الكتب رائجة، ومنتديات العلم منتشرة، نتيجة لهذا التشجيع، ومن أعظم أولئك الأمراء والخلفاء: عبدالرحمن بن معاوية الداخل «صقر قريش» (ت:172هـ) والأمير عبدالرحمن الثاني (الأوسط) بن الحكم بن هشام (ت:238هـ) وعبدالرحمن بن محمد الناصر (ت:350هـ)، والحكم بن عبدالرحمن الناصر الملقب بالمستنصر (ت:366هـ). ولكن صاحب الفضل الكبير في فتح أبواب الأندلس أمام الثقافة البغدادية، كما يقول باحث معاصر(15)، إنما هو عبدالرحمن بن الحكم (الأوسط) الذي تولى السلطة عام (206هـ/ 822م) حيث اتسع مجال النشاط الفني والأدبي في عهده؛ لأنه كان مثقفًا، شاعرًا، محبًا للفلسفة والشريعة(16)، لذلك كانت عنايته بالوافدين عليه من بغداد والمشرق عناية فائقة.

وأصبحت المدارس البغدادية بنهجها العلمي والأدبي والتاريخي، دليلَ عملٍ لأهل الأندلس يسيرون على هداه تقليلاً وتبشيرًا، حتى إن ابن بسام، يعترف في «ذخيرته» بأن أهل هذا الأفق ـ يقصد الأندلس ـ أبَوْا إلا متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طَنَّ بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنمًا، حتى إنه يصل بالقول إلى الإطراء على أهل

كان للخلفاء في المشرق دور عظيم في تشجيع العلم والعلماء والشعراء ورعايتهم. وكان أهل المغرب تواقين للتشبه بأهل المشرق في ذلك

المشرق، فيقول: «وليت شعري من قصر العلم عن بعض الزمان وخَصَّ أهل المشرق بالإحسان»(17). وهذا الاعتراف دليل على تبعيّة أهل الأندلس للمشرق في ثقافتهم وأفكارهم، وابن بسام نفسه في «الذخيرة» كان يقلد الثعالبي في «يتيمة الدهر»(18)، حتى إن ظاهرة ألقاب الشعراء المشارقة قد غزت هي الأخرى أهل الأندلس من أمثال «أبي تمام المغرب»، و«متنبي المغرب»، و«بحتري المغرب» و«خنساء الأندلس» حمدة بنت زياد، كما عورضت قصائد أبي تمام والبحتري وأبي نُواس والمتنبي والمعري والشريف الرضي(19)، فيما كانت معاهد بغداد العلمية كدار الحكمة والنظامية والمستنصرية، والقائمون عليها من الأساتذة والمدرسين يعنون بالوافدين عليهم من أهل الأندلس ليتلقوا على أيديهم العلوم الإنسانية المختلفة، فقد تتلمذ في بغداد نخبة من العلماء والأدباء والمفكرين أمثال المهدي بن تومرت الذي درس على الغزالي(20) والقاضي أبي بكر بن العربي الذي لازم العالم العراقي أبا بكر الشاشي(21) والحميدي تتلمذ على مؤرخ بغداد الخطيب البغدادي، وقد أمضى حياته كلها في بغداد، ومات فيها بعد أن ألف كتابه «جذوة المقتبس»، وعالم الأندلس أبي الوليد الباجي، تتلمذ على أبي الطيب الطبري في بغداد، والرحالة الأندلسي بنيامين التطيلي، وابن جبير(22) فيما زار الأندلس من العراقيين ابن حوقل الموصلي مصورًا أحوال أهلها وواقعها الاجتماعي والسياسي(23).

وعلى صعيد النتاج الأدبي والتأليف نحا أهل الأندلس منحى المثقفين البغداديّين، فألف ابن زيدون رسالة هزلية في النقد والفكاهة على غرار الجاحظ في رسالة التربيع والتدوير، وألف ابن فرج الجيَّاني كتاب «الحدائق» مجاراةً لكتاب «الزهرة» لابن داود الظاهري، وابن بسام في «الذخيرة» يحاكي «يتيمةالدهر» للثعالبي، وابن طفيل يسير في «حي بن يقظان» على منوال ابن سينا، وابن عبد ربه يؤلف «العقد الفريد» ليتناغم مع ابن قتيبة في «عيون الأخبار»، وهكذا تسير هذه الأمور في تلك الموضوعات الفكرية والأدبية والعلمية وغيرها(24).

إن هذا التلاقح والتواصل الثقافي والمعرفي بين بغداد والأندلس شكّل عاملاً مهمًا وأساسيًا في أحداث البلدين على الصعيدين التاريخي والاجتماعي، فكانت الأهواء السياسية في بعض الأوقات عاملاً في جذب طائفة من الأدباء والعلماء إلى هذا البلد أو ذاك، وكان نصيب الأندلس من الوافدين البغداديين أكثر بكثير من نصيب الأندلسيين الراحلين إلى بغداد، وقد ذكر صاحب «الذخيرة» وصاحب «نفح الطيب» شخصيات علمية وأدبية كثيرة، هاجرت من بغداد واستوطنت الأندلس نتيجة اضطهاد فكري أو سياسي أو اقتصادي، وكان من أبرز الوافدين على الأندلس العالم العراقي أبو علي القالي البغدادي صاحب كتاب الأمالي، الذي ذهب اليها أيام الناصر لدين الله (300- 350هـ) وزرياب المغني البغدادي، الذي هاجر إليها أيام الأمير عبدالرحمن الثاني (176- 238هـ) وغيرهما من المشاهير(25). إن ظاهرة انتقال أدباء وعلماء كبار وفنانين إلى الأندلس تفصح عن مكنون سياسي كان قائمًا بالضرورة التاريخية، الأمر الذي أفاد في تقوية النهوض الحضاري في كلا البلدين، وهو في الوقت نفسه لا يخلو من تواصل اجتماعي وتاريخي حمل معه عادات قوميات وشعوب لهم تقاليدهم وأساطيرهم، إضافة إلى معتقداتهم الدينية وثقافتهم الروحية، مما كان له الأثر البيّن في البيئة الأندلسية، ورفع مكانتها الأدبية والعلمية، حتى غدت حضارتها يُشار إليها بوصفها صرحًا حضاريًا أرَّخ للعرب الفاتحين في ذلك الإقليم الأوربي، وما زالت أصداؤه تصدح في التاريخ وآذان الزمن، جالدة ذاكرة التاريخ بسياط العبرة، ومسجلة كل ما مر عليها بأحرف باقية بقاء الدهر.

أفادت ظاهرة انتقال الأدباء والعلماء إلى الأندلس في تقوية نهضتها الحضارية ؛ مما كان له الأثر البين في رفع مكانة الأندلس الأدبية والعلمية

من هو زرياب؟

زرياب هو لقبه، واسمه علي بن نافع، غلب عليه هذا اللقب في بلاده لسواد لونه كما يقول صاحب «المقتبس»(26)، وقد نقل ذلك المقّري في «نفح الطيب»(27)، أما معاجم اللغة العربية، فتشير إلى معنى آخر، حيث تورد(28) الزرياب بالكسر: بمعنى الذهب أو مائه، الأصفر من كل شيء، وهو معرب من زرآب، أبدلت الهمزة ياءً للتعريب. ويضيف صاحب التاج: زرياب لقب غلب عليه، يقصد علي بن نافع المغني، لسواد لونه مع فصاحة لسانه، شُبِّه بطائر أسود غرد.

لم تشر أغلب المصادر إلى تاريخ ولادته(29) واختلفت أيضًا في تحديد سنة وفاته، إلا أن ليفي بروفنسال في مقالة له ـ طُبعت في تطوان بعنوان «الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ـ بحث عن زرياب» ـ جزم فيها دون الاستناد في هذا الجزم إلى أيّ مصدر يُذكر، بأن زرياب ولد في الجزيرة سنة 172هـ/ 788م، ودخل الأندلس سنة 207هـ/ 822م، وتوفي سنة 243هـ/857م(30). ونحن لا نقرّ بهذه المعلومات لأنها غير دقيقة، ولأن مصادرنا العربية ـ الإسلامية، المشرقية والمغربية لم تذكر ذلك قط، وسوف نلتزم ما أوردته حوله من معلومات: زرياب بغدادي النشأة والصنعة في الغناء، كان مولى للمهدي العباسي، يكنى بأبي الحسن، نبغ في الموسيقى، وكان شاعرًا مطبوعًا، وعالمًا ببعض الفنون الأخرى، وعارفًا بأحوال الملوك وسير الخلفاء، ونوادر العلماء، اجتمعت فيه صفات الندماء(31)، قدم إلى الأندلس مهاجرًا، قاصدًا عبدالرحمن بن الحكم(176- 238هـ)، فخرج عبدالرحمن نفسه لملاقاته والترحيب به، نظرًا لما عرف عنه من حسن الصوت وإجادة الصنعة، حيث طارت شهرة زرياب إلى الأندلس، قبل مقدمه، وقد كانت سنة دخوله إلى الأندلس عام 206هـ(32)، قادمًا من بغداد ومارًا بالشام في تلك الرحلة المضنية(33)، ونزل زرياب في قصر عبدالرحمن، الذي بالغ في إكرامه، وأقامه عنده بخير حال(34).

أسباب مغادرته بغداد

تحفل كتب التاريخ بالشواهد المتعددة على رقيّ بغداد أيام هارون الرشيد على وجه

رحلة زرياب إلى الأندلس 1

الخصوص، فلقد عمّت لياليها البهجة، وصدحت فيها أصوات الغرّيدات من الجواري المغنيات، وما عرف حي من أحياء بغداد، إلا ويسمع به صوت صادح؛ حتى إن أبا حيان التوحيدي يشير إلى تفشي هذه الظاهرة في بغداد فيقول: «ولقد أحصينا ونحن جماعة في الكرخ، أربعمئة وستين جارية، في الجانبين ـ يقصد بالجانبين الكرخ والرصافة ـ ومئة وعشرين حرة، وخمسة وتسعين من الصبيان البدور، يجمعون بين الحذق والحسن والظرف والعشرة»، ويضيف التوحيدي: «هذا سوى من كنا لا نظفر به ولا نصل إليه لعزته وحرسه ورقبائه، وسوى ماكنا نسمعه ممن لا يتظاهر بالغناء، إلا إذا نشط في وقت، أو ثمل في حال، وخلع العذار في هوى قد حالفه وأضناه، وترنم وأوقع، وهز رأسه، وصعَّد أنفاسه وأطرب جلاّسه، واستكتم حاله، وكشف عندهم حجابه، وادعى الثقة بهم والاستنامة إلى حفاظهم»(35).

تلك هي الصورة الأوضح لمجتمع بغداد العباسي، والصورة هنا تشير بوضوح إلى تعاطي البغداديين مهنة الغناء(36)، حيث الخلفاء العباسيون كانوا يُدنون منهم الشعراء والمغنين، ويقربونهم من مجالسهم(37) لذلك تشكلت «طبقة» من المغنين في القصر العباسي، وعلى أساس هذا التصنيف، كانت تخرج صلات المغنين ومكافآتهم(38)، وبخاصة في عهد الرشيد.

إن هذه الحظوة لطبقة المغنين من لدن الخلفاء جعلتهم يحافظون على مكانتهم لدى أسيادهم، وبالضرورة ينشأ عندهم نفسيًا حب الذات، وتطغى عليهم الأثرة، ويتفشى في أوساطهم الحسد، ألأم الطبائع، لذلك ما إن تعلو طبقة أحدهم على الآخر، حتى تبدأ المكايد للإيقاع به، وهو ما جرى لصاحبنا زرياب على الرغم من أنه كان بعيدًا، بعض الشيء، من هذا الوسط، حيث إن معلمه «إسحاق الموصلي»(39)، كان يخفيه حتى عن الخليفة هارون الرشيد، مع العلم أنه كان مولى للمهدي العباسي(40). وقد عُرف عن زرياب أخذه الغناء عن أستاذه بأشكاله كلها، وتلقف من أغانيه استراقًا، وأوتي من فهم الصناعة وإبداع العقل مع طيب الصوت ومواتاة الطبع، مافاق به إسحاق نفسه، وإسحاق لا يشعر بما فُتح على تلميذه. وقد وقعت حادثة نبهت إسحاق على خطورة تلميذه عليه، الأمر الذي أغاظه، وبيّت لتلميذه الشر من أجله. يقول المقري: إن الرشيد طلب من إسحاق أن يأتيه بمغنٍّ غريب، مجيد للصنعة، لم يشتهر في مكان إليه، فذكر له تلميذه هذا وقال: إنه مولى لكم وسُمعت له نزعات حسنة، ونغمات رائعة ملتاطة بالنفس، إذا أنا وقّفته على ماأستغرب منها، وهو من اختراعي واستنباط فكري أحدس أن يكون له شأن، فقال الرشيد: هذا طلبتي، فأحضرنيه لعل حاجتي عنده، فأحضره، فلما كلمه الرشيد، أعرب عن نفسه بأحسن منطوق وأوجز خطاب، وسأله عن معرفته بالغناء فقال: نعم أحسن منه مايحسنه الناس، وأكثر ماأحسنه لا يحسنونه، مما لا يحسن إلا عندك، ولا يُدَّخر إلا لك، فإن أذنت غنيتك مالم تسمعه أذن قبلك(41). هنا أراد زرياب توكيد تفرّده في بعض الألحان، وإبراز مقدرته على جودة غنائه بصوته المستقل، وربما أضمر شيئًا في نفسه ليكون في مكان قريب من مجلس الخليفة، وهو ماكشفته الأحداث اللاحقة، حيث كانت ردود الفعل من لدن إسحاق الموصلي سلبية جدًا، وبدأ عامل الغيظ ونار الحسد تضطرم في أحشائه، وكان يود لو ينتهي هذا اللقاء بسرعة، لكن الرشيد لم يسمح بذلك، وأمر بإحضار عود إسحاق، ليضرب عليه زرياب، فلما أدني إليه، وقف زرياب عن تناوله وقال: لي عودٌ نحتّه بيدي، وأرهفته بإحكامي، ولا أرتضي غيره، وهو بالباب، فليأذن لي أمير المؤمنين باستدعائه، فأمر بإدخاله إليه، فلما تأمله الرشيد، وكان شبيهًا بالعود الذي دفعه، قال له: مامنعك أن تستعمل عود أستاذك؟ فقال: إن كان مولاي يرغب في غناء أستاذي غنيته بعوده، وإن كان يرغب في غنائي فلابدّ لي من عودي، فقال الرشيد: ماأراهما إلا واحدًا، فقال: صدقت يا مولاي، ولا يؤدي النظر غير ذلك.. ولكن عودي وإن كان قدّ جسم عوده ومن جنس خشبه، فهو يقع من وزنه في الثلث أو نحوه، وأوتاري من حرير لم يُغزل بماء يكسبها أنائة ورخاوة، وبمُّها ومثلثها اتخذتهما من مصران شبل أسد، فلها في الترنم والصفاء والجهارة أضعاف مالغيرها من مصران سائر الحيوان، ولها من قوة الصبر على تأثير وقع المضارب المتعاورة بها ماليس لغيرها، فاستبرع الرشيد وصفه، وأمره بالغناء، فجسّ، ثم اندفع، فغنّى:

يا أيها الملك الميمون طائرهُ
هارون راح إليك الناس وابتكروا

وأتم النوبة، وطار الرشيد طربًا، وقال لإسحاق: والله لولا أني أعلم من صدقك لي على كتمانه إياك لما عنده، وتصديقه لك من أنك لم تسمعه قبل لأنزلت بك العقوبة لتركك إعلامي بشأنه، فخذه إليك واعتن بشأنه، حتى أفرغ له، فإنّ لي فيه نظرًا(42).

هذا الاستعراض العلمي والفني والأدبي لهذه المواهب يؤكد حقيقة كون زرياب أستاذًا بصنعته أو عارفًا تمام المعرفة بخفايا مهنة الغناء، إضافة إلى معرفته الحاذقة بصناعة الآلات الموسيقية والعود، وهذه المواهب، قلما وُجدت مجتمعة في موهوب، وتلك المعارف المتعددة في هذه الشخصية الموهوبة، سيكون لها شأن مستقبلي في حياة هذه الشخصية، فليس اعتباطًا أن ينال ثناء الرشيد، والتقويم الذي أبداه الخليفة كان إطراءً واضحًا على زرياب، وهو ما ارتاب له أستاذه إسحاق الموصلي، فلقد عرف بدقة متناهية مواهب تلميذه الصادقة والعارفة في مداخل ومخارج بحرها الفني، وأدرك إسحاق منذ هذه اللحظة أن هذا التلميذ مُنازِعُهُ المكان والحظوة عند الرشيد، وهو مالا يرضاه لنفسه لأكثر من سبب، فقد قال إسحاق علانية، عقب هذه الزيارة مباشرة لتلميذه: «يا علي، إن الحسد أقدم الأدواء وأدواها، والدنيا فتانة، والشركة في الصناعة عداوة، لا حيلة في حسمها، وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من إجادتك وعلو طبقتك وقصدت منفعتك، فإذا أنا قد أتيت نفسي من مأمنها بإدنائك، وعن قليل تسقط منزلتي، وترتقي أنت فوقي، وهذا مالا أصاحبك عليه، ولو أنك ولدي، ولولا رعيي لذمة تربيتك لما قدمت شيئًا على أن أذهب نفسك، يكون في ذلك ماكان، فتخيّر في شيئين لابد لك منهما: إما أن تذهب عني في الأرض العريضة، لا أسمع لك خبرًا بعد أن تعطيني على ذلك الأيمان الموثقة، وأنهضك لذلك بما أردت من مال وغيره، فلست والله أبقي عليك، ولا أدع اغتيالك، باذلاً في ذلك بدني ومالي، فاقض قضاءك(43).

هنا تبدو الملامح الفنية لزرياب طاغية على أستاذه إسحاق، وهو ماتكشفه القراءة التحتية للنص، وبهذا الخوف من لدن إسحاق على صنعته

رحلة زرياب إلى الأندلس 1

ومقامه عند الرشيد، يكون زرياب قد تجاوزت معارفه الفنية شيخه، وقَلَقُ إسحاق نابع من هذه النقطة، فقد صرَّح: «قد مكرت بي فيما انطويت عليه من إجادتك وعلو طبقتك»، وهذه العبارة صادرة عن عميد الغناء العباسي بعد أبيه، وهي شهادة عليا لزرياب أدركها من الوهلة الأولى لتهديد إسحاق له، وأدرك - في الوقت نفسه - مآرب أستاذه، وهو الفاعل لما يقول، واستدرك من جهة أخرى أهمية برّه لأستاذه، وقد أدرك أهميته الغنائية، وبغية أن يكون قد وافق في موازناته ومواقفه، قرر مغادرة بغداد، فأعانه إسحاق على ذلك وراش جناحه، فرحل عنه ومضى يبغي مغرب الشمس، واستراح قلب إسحاق له(44).

إن إجبار مبدع على مغادرة وطنه، أمر قد يقتل في نفسه بواعث ذلك الإبداع، وقد ينهي كل شيء لديه، لكن المبدع الأصيل قد يرتقي بإبداعه لمقارعة عامل الغربة والدوافع التي قومتها، واكتشاف المجهول في تلك الغربة، قد تغني إبداع المبدع، لذلك كان زرياب أصيلاً، فقبل المواجهة والتحدي للمجهول، معتمدًا على إبداعه ليس غير، ولم يلتفت إلى الوراء، وحتى لم يُشيّع أستاذه بنظرة أو مصافحة، ولوى عنانه عن بغداد هي الأخرى ووجه وجهه نحو آت، وراح يغذّ السير مغادرًا الأرض التي كان يجب أن يفجر فيها طاقته، ولكن الظرف لم يواته.

بغداد تودع زرياب والأندلس تلقاه بالترحاب

بدأ زرياب رحلته نحو «المجهول» في بادىء أمره، فهو لم يحدد وجهته أمام أيّ إنسان، وما إن تجاوزت خطاه بغداد، حتى عدل بوجهته، ويمّم رحله صوب المغرب، فنُسي خبره بالمشرق، إلا أن فطنته ومعرفته بأحوال الصقع المتجه إليه، جعلته يبادر إلى مكاتبة أمراء الأندلس الأمويين، وتلك التفاتةٌ سياسية واعية من زرياب استطاع أن يجعلها في صالح وجهته، فخاطب أمير الأندلس «الحكم» وذكر له نزاعه إليه واختياره إيّاه، وأعلمه بمكانه من الصناعة التي ينتحلها، ويسأله الإذن في الوصول إليه، فسرّ «الحكم» بكتابه، وأظهر له من الرغبة والتطلع إليه وإجمال الموعد ماتمناه، فسار زرياب نحوه بعياله وولده، وركب بحر الزقاق(45)، إلى الجزيرة الخضراء، فلم يزل بها حتى توالت عليه الأخبار بوفاة الحكم؛ فهمّ بالرجوع إلى العدوة، إلا أن منصور اليهودي المغني - رسول الحكم - ثناه عن ذلك، ورغّبه في قصد القائم مقام الحكم، وهو ابنه عبد الرحمن(46).

وهكذا خلت بغداد من مُغنٍّ، سيكون له الصيت الذائع في عالم الموسيقى والغناء، نتيجة كره وحسد من أصحاب المهنة وأساطينها، ولكن البلاط العباسي الذي عُرف عنه محبته للغناء، افتقده ذات يوم، ولكن مَنْ دفعوا به للرحيل هُم أنفسهم الذين «دبّجوا» الأكاذيب والأقوال ضده، فلقد تذكر الرشيد بعد فراغه من شغل كان منغمسًا فيه، فأمر إسحاق بإحضار زرياب، فقال إسحاق: ومن لي به يا أمير المؤمنين؟ ذاك غلام مجنون يزعم أن الجن تكلمه وتطارحه ما يزهي به من غنائه، فما يرى في الدنيا من يعدله، وماهو إلا أن أبطأت عليه جائزة أمير المؤمنين وترك استعادته، فقدر التقصير به والتهوين بصناعته، فرحل مغاضبًا ذاهبًا على وجهه، مستخفيًا عني، وقد صنع الله تعالى في ذلك لأمير المؤمنين، فإنه كان به لمٌ يغشاه ويفرط خبطه، فيفزع من رآه، فسكن الرشيد إلى قول إسحاق وانطلت عليه الحيلة وقال قولة عارف بالناس: «على ماكان به، فقد فاتنا منه سرور كثير»(47).

هنا يكون خبر زرياب، قد طوته بغداد بلياليها، ولم يفتقده سامرها، الأمر الذي يشير إلى الكثرة من المغنين في القصور العباسية، وفي الوقت نفسه، يبين هيمنة إسحاق الموصلي على الساحة الغنائية دون منازع(48).

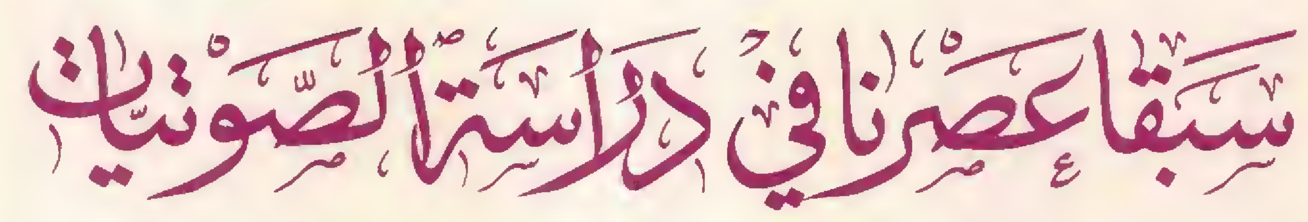
الهوامش:

1- ابن الفقيه: بغداد مدينة السلام، ص56-58.
2- رسائل الجاحظ 2/251- 252، بعناية عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1384هـ/ 1965م.
3- فهمي عبد الرزاق سعد، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ص51.
4- فيصل السامر، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، ص3، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد 1977م.
5- لنا دراسة في هذا المجال بعنوان: مغنيات بغداد في عصر الرشيد وأولاده تتحدث فيها عن تطور هذه الظاهرة وأبرز أعلامها، صدرت في دمشق 1991م.
6- فهمي عبد الرزاق سعد، العامة في بغداد، ص288.
7- غرس النعمة، محمد بن هلال الصابيء(ت:480هـ)، الهفوات النادرة ص22 ومابعدها، تحقيق د. صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1387هـ/ 1967م.
8- فهمي عبد الرزاق، ص288.
9- راجع ترجمة الأول في الأغاني 13/274-336 والثاني في 28/48- 73، طبعة دار الكتب المصرية.
10- راجع ترجمته في الأغاني 18/48- 52.
11- ياقوت الحموي، معجم الأدباء 6/5- 7، طبعة البابي الحلبي، بعناية أحمد فريد الرفاعي، مصر، دون تاريخ.
12- حكاية أبي القاسم البغدادي، ص84- 85، بعناية آدم متز، طبعة 1982.
13- د. محسن جمال الدين، أعلام من الأندلس في بغداد، مجلة المورد العراقية، العدد 4 المجلد 8، السنة 1979م، بغداد، ص392.
14- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري 1/615، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1388هـ/ 1968م.
15- د. محسن جمال الدين، مجلة المورد ص393.
16- راجع أخباره في البيان المغرب 2/88- 93 لابن عذاري المراكشي (ت: نحو 695هـ)، بعناية س. كولا ن وليفي بروفنسال، منشورات دار الثقافة بيروت، وابن خلدون، العبر، 4/137 طبعة بولاق 1284هـ.
17- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1/2، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1358هـ/ 1939م.
18- انظر مقدمة د. طه حسين لكتاب الذخيرة.
19- مجلة المورد ص 393.
20- نفح الطيب 1/689.
21- المصدر السابق 2/25.
22- مجلة المورد 394.
23- كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي 1/288، مصر 1963م.
24- محسن جمال الدين، الأندلسيون الأوائل حملة الثقافة العراقية، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد 11 ص146، 1968م.
25- د. محسن جمال الدين، مجلة المورد ص395.
26- ابن حيان القرطبي، المقتبس، بعناية د. محمود علي مكي، منشورات دار الكاتب العربي، بيروت 1393هـ/ 1973م. وقد ذكر القرطبي سنة وفاته ص87، ونظرًا لكون الكتاب ناقصًا بمخطوطاته فهو يبدأ بأحداث سنة 232هـ.
27- نفح الطيب 3/122.
28- تاج العروس مادة «زرب» 1/286، المطبعة الخيرية بمصر 1306هـ.
29- الزركلي، الأعلام 5/ 28، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، ونفح الطيب 3/122، والمقتبس ص87، والمطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية ص147، تحقيق إبراهيم الابياري وجماعته، منشورات دار العلم للملايين، دون تاريخ.
30- ذكر صاحب الأعلام أن ولادته كانت نحو سنة 160هـ، ودخوله للأندلس نحو سنة 210هـ ووفاته نحو 230هـ وكناه بأبي الحسن.
31- المرجع السابق.
32- نفح الطيب 344، والعبر 4/127.
33- الأعلام في ترجمة زرياب علي بن نافع.
34- العبر 4/127، ويخطىء صاحب تاج العروس في سنة مقدمه حيث يشير إلى قدومه في سنة 136هـ. راجع التاج 1/286.
35- الإمتاع والمؤانسة 2/183 بعناية أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1942م.
36- انظر دراستنا: مغنيات بغداد في عصر الرشيد وأولاده؛ حيث نوضح فيها أسباب نشوء هذه الظاهرة وتطورها.
37- راجع ماسبق من هذا البحث.
38- انظر: التاج في أخلاق الملوك المنسوب للجاحظ ص37- 38، تحقيق أحمد زكي باشا، ط1 القاهرة 1322هـ/ 1914م.
39- وهم ابن خلدون - العبر 4/127 - في جعل زرياب تلميذًا لأبراهيم الموصلي، وتبعه في ذلك صاحب تاج العروس. انظر مادة زرب. ووقع المقري في الوهم نفسه في الجزء الأول من نفح الطيب ص4؛ إلا أنه استدرك ذلك في الجزء الثالث ص122. والصحيح أنه تلميذ لإسحاق الموصلي.
40- نفح الطيب 3/122، وهذا يشير إلى أن زرياب غير عربي الأصل.
41- المصدر السابق3/122-123.
42- المصدر السابق.
43- المصدر السابق 3/124.
44- المصدر السابق.
45- لم يذكره ياقوت في معجم البلدان 1/345، مادة بحر، طبعة دار صادر ودار بيروت، بيروت 1374هـ/1955م، لكن سياق الحديث يشير إلى مضيق جبل طارق، حيث يؤدي إلى الجزيرة الخضراء أي الأندلس.
46- نفح الطيب 3/124-125.
47- المصدر السابق 3/124.
48- ثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام بصدد زرياب، هي أن صاحب «الأغاني» لم يأت على ذكره أو الترجمة له سوى إشارة عابرة ذكرت على لسان علوية مغني المأمون. انظر الأغاني 11/356 ومابعدها في ترجمة «علوية»، طبعة دار الكتب المصرية.



د. عبدالرحمن الحاج صالح

الخليلُ وسيبويه



سبقا عصرنا في دراسة الصوتيات

أجراه: بشير إبرير

يُعَدُّ الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح واحداً من اللسانيين الكبار في العالم العربي، وهو معروف بأعماله العلمية في كثير من البلدان: فرنسا وأمريكا وكندا وغيرها، وكذا في بلدان المشرق العربي وفي تونس والمغرب. وقد نشر بحوثه في مجلات علمية كثيرة باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية، وشارك في ملتقيات دولية عديدة عن اللسانيات العامة واللسانيات التطبيقية وقضايا التعريب وتعليم اللغة العربية، وله مشروع حضاري هو مشروع الذخيرة اللغوية العربية الذي بدأه منذ زمان طويل.

وفي هذا الحوار تطرقنا معه إلى عدد من القضايا اللغوية:

ـ كيف كانت البداية في توجهكم نحو دراسة اللسانيات؟

* في زمان الاحتلال كنت مفعماً بالحماسة، حماسة الشباب المخلص لبلاده، حماسة مملوءة بالأعمال الجدية، وخاصة المشاركة في الكفاح السياسي ضد الغزاة وضد الفرنسة؛ حتى اضطررت إلى اللجوء إلى مصر في سنة 1947م، وخاصة بعد أن شدّد المستعمرُ الخناق على المواطنين بعد حوادث أيار/مايو 1945م. فالتحقت بالجامع الأزهر، وكانت فرصة عجيبة، لأن مقامي في المشرق غيّر كل شيء في حياتي ولاسيما في الدراسة؛ إذ كنت قد اخترت وأنا في الجزائر الرياضيات تخصصاً، فإذا أنا أمام تراث علمي عظيم في ميدان اللغة خاصة، وشعرت آنذاك أنه غير مُستَثْمَر، وزادني ذلك يقيناً يوم اكتشفت، وأنا طالب في فرنسا بعد رجوعي من مصر، ميداناً عظيماً ازدهر في أوروبا أيما ازدهار هو ميدان اللسانيات وفقه اللغة المقارن، ولكن تخرّجي وميلي الشديد إلى الموضوعية جعلني أتحفظ تحفظاً كبيراً في تحليل النصوص القديمة، وذلك تجنباً للتطبيق الأعمى للمفاهيم الغربية على التراث العلمي العربي، فقد كنت متيقناً أن التصورات العلمية العربية كانت تمتاز من التصورات الغربية بشيء كبير من الخصوصية، فكان يجب ألا أُسْقط ـ على حسب تعبير علماء النفس ـ على أقوال الخليل وسيبويه أقوال سوسير وأتباعه لمجرد شبه ألاحظه بين هذه وتلك.

ثم رجعت إلى الجزائر بعد الاستقلال وعُيِّنت أستاذاً مساعداً في كلية الآداب بجامعة الجزائر.

ـ كانت لكم جهود نافعة في المعهد العالي للبحوث العلمية والتقنية. هل لكم بإلقاء الضوء على بعضها؟

* تفضل الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي حين كان وزيراً للتربية بإنشاء معهد عال للبحوث العلمية والتقنية والبحث في اللسانيات، وذلك خدمة للغة العربية خاصة. ومنح هذا المعهد الوسائل اللازمة لتحقيق رسالته، وبعد ذهابه من الوزارة واجهتنا بعض العراقيل، ومع ذلك واصل المعهد أعماله بنجاح وأشرف على أعمال مهمة، مثل مشروع الرصيد اللغوي العربي وطرائق تعليم العربية للكبار، وشارك في وضع المصطلحات وتوحيدها، وبدأ بتحقيق المشروع الكبير المسمى بالذخيرة اللغوية العربية؛ فهو أول مؤسسة استعانت بالحاسوب في حصر المفردات اللغوية وإحصائها مع سياقاتها، وقد أدخل في ذاكرة الحاسوب النص القرآني لأول مرة، وكل الدواوين الشعرية ابتداء من الجاهلية مروراً بصدر الإسلام، ثم أنشأ درجة الماجستير في علوم الإنسان وتكنولوجيا اللغة في سنة 1981م ونوقشت 23 رسالة إلى غاية 1990م أشرف عليها المعهد.

ـ توجد لكم مقالات كثيرة في اللسانيات واللغة وتعليمها وقضايا التعريب، وهي مبثوثة هنا وهناك، فَلِمَ لَمْ يجمعها الأستاذ الفاضل في كتب مستقلة حتى تفيد القارئ المتعطش إلى هذا النوع من المعرفة؟

* فيما يخص ما نشرته من الدراسات والمقالات فلي مشروع بالفعل أن أجمعها كلها مع بعض الزيادات

والتنقيحات وأنشرها في أجزاء، لأنها تتجاوز الأربعين مقالة، إلا أن دور النشر في الجزائر لاتشجع مثل هذه الدراسات المتخصصة بعد أن استقلت ماليًا عن الدولة. وما أزال أعاني مشكلة عويصة، هي نشر رسالتي في الدكتوراه، فقد قبلت الشركة الوطنية نشرها، وبالفعل تم إعدادها منذ 1982م، لكن بعض المصاعب الإدارية تحول دون ذلك.

- يقول الدكتور مازن الوعر: إن بإمكاننا وضع نظرية لسانية عربية حديثة انطلاقًا من كتابات عبدالقادر الفاسي الفهري وأحمد المتوكل من المغرب، وعبدالرحمن الحاج صالح من الجزائر، ومازن الوعر من سورية. فهل توافقونه فيما يقول؟

• الدكتور مازن من الشبان الذين تشرفت بإلقاء محاضرات عليهم في جامعة دمشق في السبعينيات أستاذًا زائرًا، وهو من أخلص الناس وأكثرهم وفاءً، إلا أنني لا أشاطره هذا الرأي، وذلك لأن النظريات أو على الأصح الأقوال والآراء التي يقول بها كل واحد من هؤلاء الذين ذكرهم يختلف بعضها عن بعض اختلافًا شديدًا، بل قد يتعارض وذلك بسبب اختلاف المنظور لكل واحد منهم، فللدكتور الفاسي الفهري نظرة خاصة، وقد اعتمد على بعض آراء شومسكي، وأما الدكتور المتوكل فهو في واد آخر بعيد من هذا الاتجاه، وفيما يخص الدكتور مازن فهو من أتباع النظرية التوليدية، وفيما يخصني فقد حاولت أن أتأوّل أقوال الخليل وسيبويه وما زدته من المحاولات ربما يستجيب للعديد من المتطلبات العلمية اللسانية ولاسيما في ميدان التطبيق التعليمي والتقني (تدريس اللغات وعلاج اللغات بالحاسوب).

- الذين قرؤوا رسالتكم في الدكتوراه عن علم اللسان العام، وعلم اللسان العربي أجمعوا على أهمية هذا الإنجاز العلمي وغناه وما يمكن أن يقدم من خدمة للسانيات العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ولكن على هذا كله، فهذا الإنجاز المهم لم يُترجَم حتى الآن إلى العربية لكي تصل فائدته إلى قطاع عريض من المهتمين، فما السبب في ذلك؟

• شرعت في تأليف سلسلة من الكتب قصدت فيها إلى تعميق ما حررته في رسالتي، وكنت حاولت أن أترجم إلى العربية هذه الرسالة، لكن ظهر أن أسلوب الترجمة سيسيء إليها، وبخاصة في فهم النظرية فهمًا تامًا صحيحًا، لذلك قررت أن أعيد كتابتها بالعربية لكن بتوسع أكثر، فقد خصصت لكل باب كتابًا بأكمله، إلا أنني أخشى ألا يتم لطول العمل ومشاقه.

- تتكلمون كثيرًا عن المدرسة الخليلية نسبة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) رحمه الله، فهل يمكن أن تحدثنا عن أصول هذه المدرسة ونشأتها وأهدافها المستقبلية وما يمكن أن تقدم من خدمة للغة العربية؟ ثم من هم مؤسسوها وروادها؟ هل يوجدون في الجزائر؟ أم في غيرها من البلدان؟

• ذكرت من قبل كيف تعلقت بأقوال الخليل وسيبويه تعلقًا شديدًا لا يفنى إلا بفناء العمر.

والحق أقول: إن الظروف المؤدية إلى ذلك تضافرت في حياتي، فكوني درست اللسانيات، ثم علوم اللغة في الأزهر، ثم اطلاعي على الرياضيات التطبيقية، وإشارة صديق حميم يسمى «مبروك العوادي» إليّ أن اكتسب كتاب سيبويه وأنا شاب، كل ذلك جعلني أنظر إلى أقوال الخليل وسيبويه نظرة خاصة، فوضعت نصب عيني أن أسلط على هذه الأقوال الأضواء اللائقة بها، وبعبارة أخرى حاولت أن أضع منهجية دلالية استخرج بها التصورات الخاصة بهما، وفي الوقت نفسه أبرهن على صحتها وذلك بالموازنة الدائمة بينها وبين المفاهيم والتصورات والنظريات اللسانية الغربية الحديثة دون أي ظلم لهذه أو تلك: كل واحدة أعطيها حقها مع بيان حقيقتها وخصوصيتها، وإن اقتضى الحال مواطن نقصها وضعفها، وعلى هذا التشدد في الموضوعية فقد فاجأني هذان العالمان بقوة احتجاجهما وعمق نظرهما، وكلما حاولت أن أستدل على خطأ ما ذهبا إليه تبين لي غلطي على اختباراتي الكثيرة فيما يخص الأصوات مثلاً في أكثر مخابر أوربا وأمريكا.

لا أستطيع بالطبع أن أعرض على القُرّاء في بضعة أسطر ماهية هذه النظرية الخليلية وكنهها - كتاب من ألف صفحة لم يكف لذلك، إذ ما أزال أكتشف جوانب مهمة منها - فأهم شيء يمكن أن تتصف به اللسانيات الخليلية هو الجانب المنطقي، أي الأسس المنطقية التي يعتمد عليها كل تحليل وكل تركيب فكري وكل علم. فللخليل منطق رياضي مثل ما نجده في أيامنا هذه في الرياضيات الحديثة، فهو لا يكتفي بالقياس الأرسطي - وربما لم يطلع عليه - الذي بُني على اندراج شيء في شيء، ويسميه ابن تيمية «القياس الشمولي»، بل يتجاوزه باستعماله للقياس التمثيلي وهو حمل شيء على شيء في الحكم لجامع بينهما، وهو القياس العربي الذي لا يوجد له نظير في المنطق القديم، إلا أن الخليل يذهب إلى أبعد من هذا باكتشافه لمفهوم المجموعة الخالية، ومفهوم الزمرة، وهذا ظاهر جدًا في استعماله لدوائر العروض، وخاصة دائرة التقاليب المحتملة للمفردات، مادة وصفية، إلا أن هذه الصفات قد تتضح لأكثر من واحد ممن هو مختص بالرياضيات؛ لكن الأهم من هذا كله هو استعماله لمفهوم الزمرة في النحو، وخاصة في مستوى التراكيب، وتحليله البنية التركيبية إلى عناصر خاصة هي العامل والمعمول الأول والمعمول الثاني والمخصصات، فهذا شيء لم ينتبه إليه أحد إلى يومنا هذا، بل يحاول بعض الناس أن ينفوا قيمة هذا التحليل اعتمادًا في ذلك على كتاب ابن مضاء القرطبي الأندلسي «الرد على النحاة»، ولم يلاحظ هؤلاء أنه النحوي الوحيد من بين ألفي نحوي عربي يقول بإبطال القياس في النحو، وهناك تصورات رائعة سابقة لأوانها، فالعامل مثلاً قد ترجمه بعض الأوروبيين في القرون الوسطى بترجمة بعض المتون العربية القديمة ككافية ابن الحاجب، ثم تُرك. أما تشومسكي فقد اكتشف أهميته من زمن قريب.

- تسمون المدرسة الخليلية بالمعاصرة، فمن جهة تعود في جذورها إلى الخليل بن أحمد، ومن جهة أخرى تصفونها بالمعاصرة، أين تكمن هذه المعاصرة؟

• مهما كان من أمر فإننا الآن نحاول - نحن معشر اللسانيين في الجزائر - أن نستغل هذه النظرية الخليلية الحديثة في علاج النصوص اللغوية بالحاسوب، حتى نصل في يوم من الأيام إلى تطبيقات مفيدة جدًا، وقد تفطن المهندسون عندنا إلى أن هذه النظرية تستجيب أيما استجابة لما يتطلبه هذا الميدان من الدقة المتناهية.

- يذهب بعض الدارسين إلى أن اللسانيات في أوربا لها إسقاطات إنسانية؛ لأنها تهتم بالأسلوبيات والشعريات والأدبيات.

أما اللسانيات في أمريكا فلها إسقاطات علمية (تكنولوجية)، لأن هدفها هو البحوث البيولوجية والفيزيائية والرياضية. ما رأيكم في هذا؟ ثم ما موقع اللسانيات العربية بين اللسانيات الأوربية والأمريكية؟

• أعتقد أن السؤال غير مطروح بالشكل الذي كان يجب أن يصاغ به، فاللسانيات غير التاريخية في أوربا هي في الحقيقة امتداد لأفكار دي سوسير وحلقة براغ في بدايتها إلى غاية السبعينيات، وهي أفكار متأثرة جدًا بالمفاهيم الفلسفية، ولاسيما منطق أرسطو، وهذه النزعة هي التي تسمى بالبنوية والوظيفية، أما فيما يخص علم الأسلوب ودراسة الشعر والأدبيات فهي أقرب إلى الآداب منها إلى اللسانيات الحديثة الغربية ووقع تقارب بينهما في السنوات الأخيرة، وبعد ذلك ظهرت نزعات جديدة تهتم أكثر بالمعاني وأحوال الخطاب كنظرية الحديث وأهم زعمائها «أنطوان كُلْيُولي» في باريس.

أما اللسانيات الأمريكية البنوية منها فهي متأثرة - في بدايتها - بالسلوكية في علم النفس، وبالغ أصحابها حتى جعلوا كل التحليل تابعًا لمبدأ: الإشارة والاستجابة، إذ الكلام عندهم هو نوع من السلوك.

ويختلف التحليل الأمريكي عن الأوربي بعدم الاعتماد على المعنى كمقياس لتحديد الوحدات اللغوية والاعتماد على القرائن فقط لبلوغ هذا الغرض.

أما كون النزعة الأمريكية أقرب إلى علوم الأحياء والتكنولوجيا فغير صحيح بالنسبة للبنوية السلوكية، وقد يصح هذا القول فيما يخص النزعة الجديدة المسماة بالمدرسة التوليدية التحويلية التي ينتزعها «تشومسكي»، إذ كان يجعل في أول الأمر اللسانيات فرعًا من علم النفس غير السلوكي - وكلاهما فرع من البيولوجيا - ولكن هذا



تشومسكي

مجرد قول؛ إذ يبقى للغة خصائصها، إنما يريد ألا تنعزل اللسانيات وتقطع الصلة بينها وبين هذه العلوم التي تتناول الإنسان ككل. وللغة جوانب شتى فيزيائية ونفسانية واجتماعية ورياضية ومنطقية، ولهذا لا ينبغي أن نكتفي بوصف اللغة وتحليلها إلى عناصرها الأولية ثم تشخيص هذه العناصر بالاعتماد على التقابل كما يفعل الأوربيون من النزعة الوظيفية.

أما التطبيقات؛ أي استغلال المعلومات والثوابت المكتشفة في الحياة اليومية فهذا شيء مشترك بين جميع الدول الغربية، فالتكنولوجيا اللغوية مزدهرة في فرنسا وبريطانيا وألمانيا وروسيا، وكذلك في أمريكا، إلا أن العمل العلمي ههنا يشترك فيه اللسانيون والمهندسون، وكم رأينا هؤلاء يتخاطبون خطاب الصم لعدم فهم الواحد منهم مصطلحات الآخر، إلا أن هذا قد بدأ يزول بإدخال مادة اللسانيات في المعاهد العلمية التقنية وإدخال الرياضيات والفيزياء الصوتية في المعاهد اللغوية، وهذا قد تم عندنا في معهد العلوم اللسانية والصوتية بجامعة الجزائر قبل أن يتم في كثير من البلدان وهو مفيد جد للعربية.

ـ تدرس مادة اللسانيات في جميع معاهد اللغة العربية وآدابها ومعاهد اللغات الأجنبية بالجامعات الجزائرية، فما رأيكم في طرائق تدريسها؟ وهل أنت راض عنها؟ ثم ما هي مستلزمات تدريسها؟

ـ اللسانيات التي تُدرس في المعاهد المخصصة للغة العربية ومعاهد اللغات الأجنبية تتصف حاليًا بشيء من السطحية حسب ما رأيته ولاحظته عند بعضهم؛ وهذا يرجع إلى أن قسطها ضئيل، ثم ينبغي ألاّ يُكتفى بتفسير النظريات وتوضيحها، بل يجب أن تجري أعمال تطبيقية منتظمة يعالج فيها الطلبة أنفسهم صعوبات التحليل اللغوي والبحوث الميدانية، أما في الصوتيات فلابد من إجراء التطبيقات في مخبر الصوتيات ولو بإيفاد الطلبة إلى وحدة البحث عندنا أو مدة معينة في الخارج وهذا لكل من يريد التخصص بالصوتيات.

ـ يزعم بعض الدارسين أن عبدالرحمن الحاج صالح متشدد ويشترط في دراسة الأصوات الأجهزة اللازمة لذلك. ويتساءلون: هل الخليل وسيبويه وابن جني استعملوا مثل هذه الأجهزة؟ فما رأيك فيما يقولون؟

• أولاً لابد من التمييز بين التشدد من أجل العلم، وهو ضد التساهل والتسامح، والعالِمُ العاري من ذلك أحكامه تبقى واهية لا محالة، لأنه يتسامح فيها من جهة، ومن جهة أخرى بين التشدد الذاتي الخاص بالشخص المُوسْوِس فهذا ليس من العلم في شيء.

أما القول بأن سيبويه قد أثبت حقائق في الأصوات ولم يكن له مخبر، فالذي يقول هذا مغرور. إنه يقرن نفسه بالخليل وسيبويه وهما عبقريان يحق لهما بذلك أن يتخيلا النظريات السابقة لأوانها، وعلى ذلك فلا أشك في أن الخليل قد استعان بما يستعمله الآن أطباء الأسنان لرؤية جهة في تجويف الفم وهي مرآة صغيرة، لأنه يستحيل أن يصف مخارج الحروف، ولا يحاول النظر في داخل الفم، بل حتى الحلق.

ثم كيف يمكن لشخص غير عبقري أن يكتفي بما قاله الآخرون ولا يستعين بالأجهزة الحديثة التي تمكنه من الرؤية المباشرة لحركات الأعضاء الصائتة والذبذبات التي تسجلها الآلات المختلفة؟ وكيف يمكنه أن يقوم بتمحيص ونقد ما يقوله الصوتيون المحدثون في أوربا وأمريكا من دون أن يلجأ إلى هذه الآلات التي يستعملونها هم أنفسهم، فهل يكفي أن يردد ما يقرؤه في الكتب؟ هذا عين التقليد وهو من أهم الأسباب التي قادتنا إلى الانحطاط الفكري.

ـ بدأ بعض الدارسين عندنا يتكلمون عن تخصص جديد هو: «ديداكتيك اللغات» أو علم تدريس اللغات، ولكن برؤى ضبابية ولا تتميز بالدقة إلا نادرًا، وأنتم واحد من المهتمين بهذا العلم ولكم فيه مقالات وبحوث. كف يمكن أن تحدثونا عنه في الوطن العربي بصفة عامة، وفي الجزائر بصفة خاصة، ثم ما هي الفائدة التي يمكن أن يقدمها هذا العلم للغة العربية؟

• إن علم تدريس اللغات (ديداكتيك اللغات بالفرنسية)، هو من أهم الميادين التي ينبغي أن يهتم بها الباحثون والمعلمون، لأنه ميدان خصب جداً، وقد أنتج فيه الغربيون إنتاجًا مفيدًا جدًا، لأنه نظري تطبيقي في الوقت نفسه. والعيب الذي يتصف به بعض أصحابه في الوقت الراهن ـ وهو راجع بلا شك إلى المعلمين ـ هو الانتقال السريع من نظرية إلى أخرى، ونبذ كل ما كان يقوله السابقون من دون استثناء، فتصير بذلك مثل (الموضة) يتحمس لها الناس، ثم يتركونها إلى (موضة) أخرى وليس ذلك من العلم في شيء. وهذا لا يعني أنهم لم يستقروا على بعض الثوابت، بلى؛ فقد اتضح الآن أن تعليم اللغات تعليمان اثنان متكاملان:

تعليم لاكتساب الملكة اللغوية (المفردات والقواعد)، وتعليم لاكتساب الملكة التبليغية وهو شيء آخر غير الملكة اللغوية. والاقتصار على أحدهما على حساب الآخر يؤدي إلى نقص في الملكتين.

وتوجد ثابتة أخرى هي: المشافهة والتحرير، وشيء آخر أهم هو ضرورة الانغماس اللغوي التام مدة معينة أو فترات منقطعة؛ فقد يدرس الطفل اللغة الإنجليزية مدة ست سنوات ولا يستطيع في آخر المطاف أن يحاور الناس بالإنجليزية في بلد ينطق سكانها بهذه اللغة، ولذلك كانت ضرورة الانغماس اللغوي.

ـ تقدم لجنة نوبل جوائز كل سنة في الأدب لكتاب الرواية والقصة والشعر، لكنها لم تقدم جائزة لعالم لساني مشهور مثل تشومسكي أو غيره، فبرأيك لماذا؟

• هذا راجع ـ في نظري ـ إلى نوبل نفسه منشئ هذه الجائزة، فإنه كان لا يعرف من العلوم الإنسانية إلا أنها أدبيات، فأنشأ لكل فرع من فروع العلم: الكيمياء، والفيزياء، والطب، جائزة خاصة، ثم أضاف إليها جائزة واحدة للآداب، ولم يغير ذلك من جاء بعده في بلده السويد.

عبدالرحمن الحاج صالح في سطور

ـ من مواليد وهران الجزائرية 1927م.

ـ شارك في الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي في بلاده، وكان مسؤولاً عن منظمة المناضلين بالرباط في جبهة التحرير الجزائري.

ـ درس بالأزهر الشريف وحصل على دبلوم اللغة العربية من معهد الدراسات العليا بالرباط 1953م، ونال شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها من جامعة بوردو الفرنسية 1959م، وكذا دبلوم الدراسات العليا في فقه اللغة الفرنسية واللسانيات من الجامعة نفسها 1960م، والتبريز في اللغة العربية وآدابها من جامعة باريس 1961م، ودبلوم العلوم السياسية من كلية الحقوق بالرباط 1961م، ودكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة السوربون 1979م.

ـ عمل أستاذاً مساعداً بكلية الآداب بالرباط 1960ـ 1962م، ورئيسًا لقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الجزائر 1963ـ 1965م، ومديراً لمعهد العلوم اللسانية الصوتية بالجزائر 1966ـ 1984م، ومديراً لوحدة البحث في علوم اللسان وتكنولوجيا اللغة 1986ـ1992م، ويعمل منذ عام 1992م مديراً لمركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية.

ـ رأس اللجنة العربية للرصيد اللغوي المغربي ثم العربي التي أشرفت عليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وهو عضو في عدد من المجالس الاستشارية العلمية بمركز تنسيق التعريب بالرباط، ومعهد المخطوطات العربية، ومعهد اللغة العربية الدولي بالخرطوم، وغيرها. وعضو في مجمع اللغة العربية بدمشق منذ عام 1976م، ومجمع بغداد منذ عام 1979م، ومجمع عمان 1982م، ومجمع القاهرة 1988م.

ـ عضو في لجان علمية تشرف على مجلات علمية، مثل المجلة الألمانية في علوم اللسان والصوتيات الصادرة في لايزيج، والمجلة العربية للدراسات اللغوية. ومؤسس مجلة «اللسانيات» الصادرة عن جامعة الجزائر المتوقفة حاليًا عن الصدور.



الكتاب المدرسي

من الإثارة إلى الاستثارة

د. عبدالحميد إبراهيم

يلاقي الكتاب المدرسي قدرًا كبيرًا من التحديات، لم يصادفها طُول تاريخه، وهي تحديات تأتيه من أجهزة الإعلام الحديثة، التي استطاعت أن تسرق الطفل من عالم الكتاب.

إن أفلام الرسوم المتحركة، وغرائب الطبيعة، وعالم البحار، والحيوانات، والطرائف، واللقطات المصورة، والموسيقى التصويرية، كل ذلك وغيره استطاع أن يصيب الطفل، بما نسميه بعملية «الانبهار»، وهي عملية تستولي على الطفل وتحيله إلى متلقٍ، يستجيب دون أن يشارك.

ولكن هناك خاصية يختصّ بها الكتابُ وحده، لا يشاركه فيها غيره من الوسائل الإعلامية الحديثة، وهي ما يمكن أن نسميه بظاهرة المشاركة.

إن الوسائل الإعلامية في عمومها، تعمل على بَهْر الطفل وإدماجه في عالم المتعة والتسلية، وتحويله إلى كائن يستهلك ولا يضيف. أما الكتاب فهو الوسيلة الوحيدة التي تدفع الطفل إلى عملية المشاركة، وهي عملية تقوم في أساسها على عنصر التخيل والإبداع؛ أي على عنصر الإضافة، الذي لا يكتفي صاحبه بأن يكون «شيئًا» يجلس أمام التلفاز مبهورًا، يتلقى المتعة، وهو يلهو بأكل اللب، ويمضغ اللبان ويمدد ساقيه فوق السجادة، ولكنه يتنبه، ويثير حواسه، ويجلس معتدلاً، بل ربما يقف ويتحرك، ويبحث عن شيء يقلقه، ويحاول أن يمسك به.

إن القصة الواحدة تختلف حين نراها في التلفاز عنها حين نقرؤها في كتاب، بسبب الاختلاف بين عملية التلقي والاستجابة من ناحية، وعملية المشاركة والإبداع من الناحية الأخرى.

الطفل يبدع من خياله

قد نشاهد مثلاً قصة «سندريللا» في غنائية (أوبرا) أو فيلم، فنجد المخرج يحدد ملابسها، ولون العربة، وصورة الجنية، وهيئة الأمير، ومنظر زوجة الأب، وجلد الحذاء وهو تحديد يحمل في مجمله رؤية المخرج، يحاول أن يفرضها على المشاهد، ويلجأ إلى الوسائل الفنية (التكنيكية) الحديثة، التي تمكنه من عملية إدماج للمشاهد، وتحويله إلى شيء يدور في فلك المخرج، لا يستطيع عنه فكاكا.

أما سندريللا التي يقرؤها الطفل بين صفحات كتاب، فهي سندريللا من إبداع الطفل، فهو يخترع ملابسها وشكلها وصورة عربتها. وهو يتخيل ملابسها وشكلها وصورة عربتها. كما يتخيل منظر الجنية، والأمير، ورقصات الحفل.

ولو أنك طلبت من مجموعة من الأطفال، أن يقرؤوا قصة سندريللا، ثم يقوموا بالتعبير عنها من خلال الرسم والفرشاة، لوجدت أن كل طفل يرسم عالم سندريللا برؤيته الخاصة، وكل طفل قد تحول إلى مخرج في حد ذاته، يسجل انطباعاته، ويتخيل، ويبدع.

ومن هنا كانت القراءة، كما يقول النقاد، نوعًا من الإبداع والتأليف، ومن هنا تحدث النقاد أيضًا عن مستويات القراءة، وهي مستويات تختلف باختلاف كل قارئ، من حيث وعيه وتجاربه، ومن حيث مواهبه أيضًا، التي قد تصل إلى مستوى، يفوق في التخيل والتفسير، المستوى الذي أراده صاحب النص في خطوته الأولى.

لذة راقية

والكتاب بطبيعة الحال هو الوسيلة الوحيدة التي يملك إزاءها الطفل حرية التوقف، والاختيار، والتساؤل، وأحيانًا الرفض. فالصور التلفازية تتوالى أمام عين الطفل بسرعة، ولا تترك له فرصة التوقف والإعادة والتساؤل، والأصوات الإذاعية تتوالى كذلك على مسمعه، دون أن يستطيع الطفل إسكاتها، لكي يعطي نفسه فرصة التأمل. أما الكتاب فإن الطفل يستطيع أن يوقفه وأن يأمره بالصمت، حتى يخلو إلى نفسه وإلى تخيلاته، ويستطيع أن يعود إليه بعد حين، وفي ظرف آخر مناسب، فيجد الكتاب جاهزًا لاستقباله.

إن لذة المشاركة هي الخاصية الوحيدة التي يملكها الكتاب، ويستطيع من خلالها أن يستعيد جمهوره الشارد.

وهي نوع من اللذة تستحق أن يُبذل من أجلها مهْر عالٍ لأنها من اللذات الراقية، التي لو ذاقها الطفل مرة لهانت أمامه بعد ذلك التسلية الرخيصة، والمتعة العارضة، لأنها لذة عقلية تقوم على عنصر الإبداع والخلق.

وهي من اللذات التي لا تُكتسب بسهولة، لأنها تحتاج إلى تنبيه واستنفار للقوى الخيالية، التي ينفرد بها الإنسان عن غيره من الكائنات الحية. وهي تحتاج إلى قدر كبير من التخطيط وإعادة بناء الطفل، وخاصة في هذا العصر، الذي استراح فيه الطفل إلى التلفاز، وتَرَبَّت عنده عادات الكسل، وتحول إلى شيء يستجيب، يأخذ ولا يشارك.

ومن أجل هذا يمكن أن نشير إلى بعض النقاط، نقترحها في كتاب الطفل، ونراها تسهم في تنمية الحس الإبداعي عند الطفل، وتدفعه إلى لذة المشاركة والخلق، ويمكن تلخيصها على النحو الآتي:

أ ـ الإكثار من مناطق الاستثارة، التي تستنفر القوى الإبداعية لدى الطفل.

ب ـ الحد من المباشرة، والتقليل من نبرة الوعظ.

جـ البعد من فكرة العصور الأدبية التي قد تفرض على الطفل من النصوص مالا يساعد على تنمية حسه الإبداعي.

د ـ التطور في استخدام الصور الموضحة.

هـ ـ التطور في استخدام اللغة.

وسنحاول أن نقف عند كل نقطة من هذه النقاط، بشيء يسير من الشرح

فرق كبير بين الإثارة والاستثارة

الإثارة تسرق من الطفل وعيه، وتدمجه في عملية الانبهار، وتقدم له من وسائل المتعة والتسلية، ما يحوله إلى شيء، يستهلك ولا يُنتج.

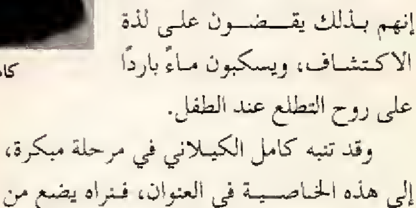
أما الاستثارة فهي توقظ وعي الطفل، وتقدم من الوسائل ما يستثير لديه عوامل التساؤل، وينمّي عنده لذة الاكتشاف.

إن النادرة الصغيرة، التي كنا نقرؤها في كتب اللغة الفرنسية، في أول خطوة نخطوها نحو تعلم هذه اللغة، تصلح مثلاً معبرًا عن النصوص، التي تستثير عوامل اليقظة.

فقد مرت مجموعة من الأطفال بعجوز، وقالوا لها ـ ساخرين ـ: صباح الخير يا أم الحمير، فأجابتهم ساخرة أيضا: صباح الخير يا أولادي.

ومثل هذه الحكاية القصيرة، كثير مما ورد في الكتب العربية القديمة، تحت عنوان «نوادر الأعراب» وهي ـ في مجملها ـ حكايات قصيرة موحية، تدفع الصغير إلى الاستنتاج والمشاركة، وتنمي لديه لذة الإبداع، وهو يكتشف عوامل السخرية، وروح الفكاهة.

والعنوان بطبيعة الحال يجب أن يخضع لعامل الاستثارة، فكثير من المؤلفين يخطئون وهم يضعون عنوانا يلخص مغزى الكتاب، إنهم بذلك يقضون على لذة الاكتشاف، ويسكبون ماءً باردًا على روح التطلع عند الطفل.


كامل الكيلاني

وقد تنبه كامل الكيلاني في مرحلة مبكرة، إلى هذه الخاصية في العنوان، فنراه يضع من العناوين ما يتناسب مع دنيا الطفولة، وعالم الدهشة، وما ينمي عند الطفل روح التساؤل وحاسة الفضول.

إن الحكاية المعروفة عن الكلب والقط والحمار والديك، التي أَلَّفَتْ جماعة قامت بمغامرات طريفة، أقلقت اللصوص، وجعلتهم يفرون، هذه الحكاية يضع لها الكيلاني عنوان «عفاريت اللصوص» وهو عنوان أكثر استثارة، وأقرب إلى عوالم الطفولة، من عنوان «الأصدقاء الأربعة»، أو من عنوان «عقاب اللصوص».

وإن الحكاية التي تدور حول المغني الشره، الذي ابتلع سمكة في زوره، فأغمي عليه، وظنه الناس ميتًا، يضع لها كامل الكيلاني عنوان «العرندس» وهو عنوان يستثير الطفل ويحركه، أكثر مما يستثيره عنوان «الطماع» مثلا.

إن مثل هذه العناوين عند الكيلاني، عناوين موحية لا تختصر التجربة في جملة، وتقدمها جاهزة للقارئ، بل تحاول أن تستثير عند الطفل عوامل البراءة، ولذة الاكتشاف، وتدفعه بذلك إلى الارتباط بعالم الكتاب.

أساليب لا تتناسب مع عالم الطفولة

يقع كثير من المؤلفين تحت خطأ تربوي جسيم وهم يرون أن الهدف من كتاب الطفل أن يقدم المعلومة في ثوب جميل، ومن أجل ذلك يكثرون من الاستشهاد بحكايات كليلة ودمنة، وبالحكايات التي دارت في الكتب القديمة حول الأمثال العربية، مثل «الصيفَ ضَيَّعت اللبن» أو حكاية «كيف أعاوِدك وهذا أثرُ فأسك».

وأشهد أنني حاولت في طفولتي أن أرتبط بكتاب «كليلة ودمنة» فلم أستطع، على الرغم من تأكيد صاحبه في المقدمة أنه يصلح للكبار والصغار معًا، فقد كانت حكاياته قصيرة، وأحداثه موجزة لا يستفيض فيها صاحبها، ولا يلجأ إلى التخييل، فنراه يفر إلى أسلوب جزل، لا يتناسب مع عالم الطفولة، ونراه يلخص الحكاية، على هيئة حكمة يلقيها بيدبا الفيلسوف أمام دبشليم الملك، تقدم خلاصة التجربة، ومغزى الحكاية.

وأشهد أنني كنت أفضل قراءة «ألف ليلة وليلة»، على كتاب «كليلة ودمنة» وعلى كل الكتب التي يدبجها الحكماء والوعاظ، فقد كانت تنقلني إلى عالم سحري، أتحرك فيه بحرية، وأعبر فيه عن نوازع الطفولة، وأحقق فيه ما لم أستطع أن أحققه في دنيا الكبار وعالم الحقيقة.

ومن هنا أدين تلك النهاية التي أنهى بها كامل الكيلاني قصة «معروف الإسكافي»؛ فقد كانت الحكاية في ألف ليلة وليلة حكاية سحرية، معجزة، ينقل فيها الجان معروف الإسكافي إلى دنيا جديدة، يصبح فيها سلطانًا، ويتزوج من أميرة جميلة، بدلاً من زوجه النكداء، وكنا نقرأ هذه الحكاية على أساس أنها

الكتـــاب المدرسي

من الإثارة إلى الاستثارة

حقائق، ونناقش أحداثها بدهشة وسعادة، ولكن الكيلاني يتلاعب بنهايتها، بطريقة تحاول أن «تعقلن» هذه الأحداث ويزعم أن معروف الإسكافي كان يحلم في منامه، وأنه لايزال في كهفه الفقير، دون أن يحمله جان إلى عالم جديد، وبذلك ألقى ماء باردا على الانفعالات، وفقدت الحكاية سحريتها وتلقائيتها، وأصبحت تخضع لعقلية صارمة، تفرق بين ما هو من عالم الأحلام، وما هو من عالم الحقيقة، وترى في العالم الأول نوعًا من الوهم، يذوب مع أول شعاع من ضوء الفجر.

القيمة الفنية تأتي أولا

وكل هذا يجعلنا نتخذ موقفًا تربويا من فرض فكرة العصور الأدبية على الكتـــاب المدرسي، وهي فكرة تقصد إلى إعطاء الطالب صـــورة عن كل عصـر أدبي، ابتداء من العصـر الجاهلي، حتى العصر الحديث، مرورا بالعصر الإسلامي، والعصر الأموي، والعصر العباسي، والعصر الأندلسي، وعصر الدويلات والإمارات، وفي كل عصر يفرض المؤلفون على الطالب نماذج تمثل هذا العصر، وتقدم صورة تاريخية عنه.

وليس المهم في تلك النماذج قيمتها الفنية، بقدر ما تهم قيمتها التاريخية، فعنصر الكم المعرفي هنا مقدم على عنصر الفن، إن النقائض مثلا يجب أن تُدرس في العصر الأموي، لأنها تمثل تيارا رئيسا في ذلك العصر، ويجب على الطالب أن يقف عند نماذج منها، على الرغم من أن هذه النماذج ترسخ قيمًا فردية، تقوم على الغلبة، ويستند الكثير منها إلى مواقف حاربها الإسلام، لأنها تقوم على فكرة القبلية، وعلى روح التعصب، وعلى الرغم أيضا من أن هذه النقائض تحتوي على مفردات لغوية صعبة، لا تمس قاموس الطفل، ولا تحرك مشاعره.

قد تكون فكرة العصور الأدبية مهمة للمتخصصين وفي الجامعات، ولكنها غير تربوية عند الطفل، الذي يهمه بالدرجة الأولى أن يعايش نصوصا جيدة، وأن يتذوقها بسبب قيمتها الجمالية، وأن يحس بأن هذه النصوص تحرك مشاعره، وتدفعه إلى أن يتخذ موقفًا، ينمّي به شخصيته.

ومادام الهدف قد تغير، فاختيار النصوص يجب أن يتغير تبعا لذلك، فليس حتما أن نختار النصوص لما فيها من قيمة تاريخية أو معرفية، ولكن من الحتم أن نختارها لما فيها من قيمة فنية. وليس حتمًا أن نركز على الشعر كما هو الحال في الكتب المدرسية، ولكن من الحتم أن نضيف إليه نماذج من التراث القصصي، ومن نوادر الأعراب، ومن أدب الرحلات، ومن أدب التاريخ، وغير ذلك من نماذج أهملها المؤلفون، وهي في الوقت نفسه يمكن أن تقدم «تنويعة» جذابة قد تعيد تصالح الطالب مع الكتاب المدرسي، وقد تغير من النظرة المعتادة نحو النصوص الأدبية، وكتب اللغة العربية.

ليس حتما أن نختار النصوص لما فيها من قيمة تاريخية أو معرفية، ولكن من الحتم أن نختارها لما فيها من قيمة فنية

شروط الصور التوضيحية

ليست الصور التوضيحية في الكتاب مقصودة لذاتها، وليس الهدف منها أن تحل محل الصور المرئية في التلفاز أو الخَيَالة (السينما) الصور في الكتاب يجب أن تخضع لوظيفته، فالكتاب في أساسه يقوم على فكرة التخيل، ويدفع القارئ إلى المشاركة، واستنفار قواه العقلية، ومن هنا ينبغي أن تأتي الصور بحساب، فلا تطغى على وظيفة الكتاب، ولا تصرف القارئ عن تخيلاته.

وإذا كنا نتسامح في ازدحام الصور في كتاب يُقدَّم للطفل الصغير في سنواته الأولى، فينبغي ألاّ نتسامح في ذلك في كتاب يُقدَّم لطفل اعتاد القراءة.

ومن هنا، فإن هناك شرطين للصور التوضيحية، أولهما: ألا تكون من الكثرة بحيث تشغل القارئ عن الحروف والمعاني، وثانيهما: ألا تحمل الصور غرض الكتاب، وتسابق القارئ في اكتشاف هدف الكاتب، لأنها حينئذ تتناقض مع عنصر المشاركة من طريق التخيل والاكتشاف، وتقوم بالدور الذي تؤديه أجهزة الإعلام، التي تقدم المعلومة مباشرة وموضحة، ولا ترهق المشاهد.

اللغة وسيلة وليست غاية

يخطئ كثير من التربويين، حين يجعلون الهدف من الكتاب، هو خدمة اللغة، وتنمية حصيلة المفردات عند الصغير.

نحن نشترط بداية أن تكون اللغة سليمة ومضبوطة، وصحيحة من حيث القواعد النحوية والصرفية والإملائية، وبعد ذلك نتخذ من اللغة وسيلة، لا غاية، لتنمية قدرات الإبداع والتخيل عند الطفل؛ فلا نتخم القصة أو النص الأدبي بمفردات جزلة، أو بصور بيانية، أو بزخرفة لفظية، ولكن نجعل من اللغة وسيلة للتخيل، ومتابعة الحركة النفسية، وتحليل الشخصيات، وتصوير المواقف.

ذلك هو المطلوب من اللغة في السنوات الأولى من عمر الطفل، ولكن يمكن بعد ذلك أن تتطور وظيفة اللغة، وأن تضيف إلى وظيفتها الأولى وظيفة أخرى، تقوم على التنقيح اللفظي والجمال البياني.

وبعد؛ فإن الشكوى المتكررة من سلوك الطفل والطالب العربي، تعني في صميمها إخفاق الكتاب المدرسي.

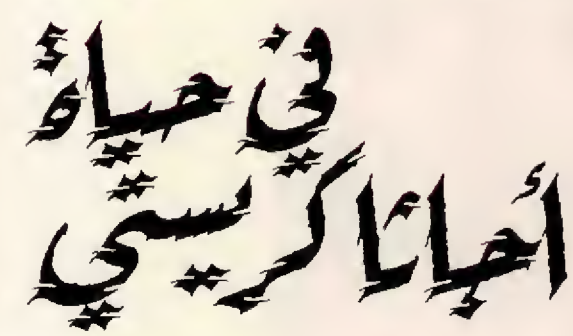
قد ينجح هذا الكتاب في خلق طالب يحفظ ويجتر، ولكنه لا ينجح في تشكيل طالب يبدع ويضيف.

وإذا كانت الحكمة الصينية تقول: قل لي ماذا تقرأ أقل لك من أنت.

فإنني أقول على غرارها: قل لي ما الكتاب المدرسي أقل لك من الطالب العربي.









صلاح الدين شعبان

تُعدُّ أجاثا كريستي من أشهر الأسماء الأدبية في القرن العشرين. ويعرف الجميع أنها ألّفت أكثر من مئة قصة معظمها بوليسي، تُرجمت إلى عشرين لغة، وبلغت مبيعاتها قرابة 350 مليون نسخة. إلا أن الشيء الذي لا يعرفه الكثيرون هو أنها كاتبة مسرحية، ومؤلفة للقصص العاطفية، ومنها «غائب في الربيع» التي استعملت فيها اسمًا مستعارًا هو ماري ويستماكوت. والأهم من هذا وذاك أنها أمضت قسطًا مهمًا من حياتها في الشرق.

مقتطفات من سيرتها الذاتية

ولدت أجاثا (ماري كلاريسا) كريستي في 15 أيلول/ سبتمبر 1890م في ديفون بإنجلترا من أب أمريكي وأم إنجليزية، وتوفيت في 12 كانون الثاني/ يناير 1976م في أكسفورد شاير. ابتدأت كتابة القصص الخيالية البوليسية بينما كانت تعمل ممرضة إبان الحرب العالمية الأولى. ظهرت قصتها الأولى «المسألة اللغز في ستايلز» عام 1920م، وفيها اقترحت اسم هيركول بوارو، رجل المباحث البلجيكي ذي الشخصية المركزية، الذي ظهر ثانية في نحو 25 رواية أخرى، وفي عدد أكبر من القصص القصيرة قبل أن يعود إلى ستايلز، حيث يموت في قصة «الستائر» عام 1975م. وهناك شخصية نسائية لامرأة هي الآنسة جين ماربل، الشخصية البوليسية المركزية الأخرى، وقد ظهرت أول مرة في «جريمة قتل في فيكاراج» عام 1930م. أما قصة أجاثا الأولى التي شدّت إليها الأنظار، فكانت «مقتل روجر أكرويد» 1926م، أصدرت بعدها 75 رواية أخرى عُدّت أكثر الروايات شعبية، حيث قامت المجلات الشعبية في إنجلترا والولايات المتحدة بنشرها حلقات متسلسلة. أما مسرحياتها فتشمل «مصيدة الفئران» 1952م، التي ضرب عرضها رقمًا قياسيًا، إذ عرضت 8862 مرة على مدى إحدى وعشرين سنة على مسرح إمباسادور في لندن، ثم انتقلت لتعرض في مسرح آخر. وهناك مسرحية أخرى شهيرة هي «شاهد الإثبات» 1953م، التي تم تحويلها، مثل كثير من أعمال أجاثا، إلى فيلم ناجح 1958م.

والأفلام المشهورة الأخرى، التي تم اقتباسها عن أعمال أجاثا كريستي، تشمل: «جريمة في قطار الشرق السريع» 1934، 1974م و«جريمة في وادي النيل» 1937، 1978م.

تزوجت أجاثا ماري كلاريسا مرتين: زوجها الأول هو الكولونيل أرشيبالد كريستي. ومع أن الزواج انتهى بالطلاق في عام 1928م إلا أنها آثرت الاحتفاظ ـ لأسباب فنية ـ بلقبها الأول: أجاثا كريستي حتى بعد الطلاق والزواج الثاني، أما زوجها الثاني فكان عالم الآثار السير ماكس مالوان، ومعه ابتدأت مرحلة جديدة من حياتها أمضتها في الشرق.

تقول أجاثا في سيرة حياتها «أجاثا كريستي»، التي نشرت عام 1976م بعد سنة من وفاتها: «في شتاء عام 1910- 1911م كنت مع والديّ في القاهرة. لقد حاولت أمي أن توسع آفاقي باصطحابي إلى المتحف المصري، وقد اقترحت بأن نذهب في رحلة بحرية على امتداد النيل لمشاهدة أمجاد الأقصر، إلا أنني عارضت يومها بحدّة والدموع تترقرق في عيني، كانت عجائب الأقدمين آخر شيء وددت رؤيته».

في الشرق

تتفق المراجع على أن أجاثا ألّفت أكثر من مئة عمل ضمنها 21 مسرحية

نتجت من ارتباطها الشديد والمحب للشرق، إذ أنجزت بعض أكثر رواياتها شعبية في أثناء اشتراكها بالتنقيب عن الآثار في العراق وسورية. يقول روبرت هاملتون، رئيس بعثة التنقيب في نمرود العراقية خلال الخمسينيات: إن أجاثا لم تتذمر من شروط العمل وظروف البيئة السائدة في العراق آنذاك، إذ احتملت أشد أنواع التعب.

في الخمسينيات، كانت نمرود آخر المطاف لرحلة قامت بها أجاثا إلى الشرق اعتبارًا من عام 1928م برفقة زوجها الثاني، ابتدأت على بعد مئات الكيلو مترات إلى الجنوب في موقع عاصمة السومريين القديمة التابعة لأور UR. وقد قضت مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات مقيمة أو زائرة في سورية وتركيا ولبنان والأردن ومصر وإيران. ومعظم هذه البلاد زودتها بـ «مسارح جريمة» للقصص البوليسية التي ألفتها.

في قصة «جريمة في بلاد ما بين النهرين»، يحل هيركول بوارو، المحقق السرّي الخبير، قضية تتعلق بمجموعة انتحارات في مكان للتنقيب عن الآثار في العراق. وفي قصة «جريمة في وادي النيل» يكتشف بوارو القاتل على سفينة تقل السيّاح على النيل.

وفي قصة «موعد مع الموت» يكشف بوارو مجرمًا ارتكب جريمته في البتراء في الأردن، علمًا أن هذه الكتب نشرت في أعوام 1937، 1938، 1939م على الترتيب.

وقد ألّفت أجاثا مجموعة من قصصها القصيرة عن الشرق، منها «باركر باين يتحرّى»، المنشورة عام 1934م، وفيها يحل محقق آخر ألغازًا غامضة في بغداد، وعلى النيل، وفي شيراز في إيران، وفي البتراء.

وقد تم تحويل قصة واحدة من قصص الشرق على الأقل إلى تمثيلية، وهي «جريمة في وادي النيل»، عرضت في نيويورك ولندن عام 1946م. كما تم تحويل القصة ذاتها إلى فيلم سينمائي تم تصويره في مصر عام 1978م، وقام بدور هيركول بوارو الممثل الكبير بيتر أستينوف، والطريف أن عرض الفيلم في نيويورك توافق مع افتتاح معرض «الملك توت عنخ آمون».

كان للقاهرة أثر كبير في نفس أجاثا. فإثر عودتها مع والديها إلى إنجلترا بوقت قصير، كتبت روايتها الأولى عن أحداث تجري في القاهرة، وأسمتها «ثلج فوق الصحراء»، حيث رسمت شخصياتها على أناس صادفتهم في غرفة الطعام في الفندق، وبالطبع فإنها لم تكن قادرة على وضع الشخصيات الأصلية.

في عام 1928م تغيرت ظروف أجاثا كريستي بشكل كبير، إذ عادت إلى الشرق، إلى العراق هذه المرة، يومها كانت مؤلفة شهيرة لقصص الجريمة، بعد أن ألّفت تسع قصص، ولكنها ـ على ذلك ـ كانت وحيدة.

في مجرى الأقدار

في عام 1926م تهشم عالم المؤلفة، حيث توفيت ـ أولاً ـ والدتها، ثم انهارت أسرتها بعد أن انفصلت عن زوجها الكولونيل أرشيبالد كريستي، الذي تم رسميًا بالطلاق في نيسان/ أبريل 1928م.

تقول روزاليندا (ابنة أجاثا): «في ذلك الوقت كانت أمي وحيدة، ولم تكن تعرف أين تذهب لقضاء عطلتها، وأعتقد أنها تأثرت بأقوال شخصين عادا لتوهما من العراق التقتهما مُصادفةً على العشاء، فقررت التوجه إلى الشرق... والأهم من كل شيء أنها سافرت وحدها وبمشيئتها هي».

سافرت أجاثا بالقطار من لندن إلى دمشق، ثم أمضت 48 ساعة في حافلة ذات ست عجلات متوجهة عبر الصحراء إلى بغداد. وقد ألهمتها الرحلة عدة قصص بوليسية منها: «جريمة في قطار الشرق السريع»، و«بوابة بغداد»، وهي قصة قصيرة بطلها باركر باين، يتم فيها التخلص من رجل على حافلة متجهة إلى دمشق.


بيتر أوستينوف

لقد أذهلت هذه الرحلة أجاثا، فكل شيء هنا يوحي بالسلام والهدوء، «لقد لوّن شروق الشمس السماء بألوان خلاّبة: الوردي الكاشف، والأصفر، والأزرق زادها بهاءً، البساط الرملي الذي يغطي الأرض حتى الأفق، إن هذه الرحلة هي ما كنت أتوق إليه، لأنها تقضي على كل الهموم، ما الذي يمكن أن يطلبه المرء من الحياة بعد ذلك؟».

لم تنتظر أجاثا كثيرًا للحصول على الجواب، لأنه كان ينتظرها في أور UR، حيث كان عالم الآثار الإنجليزي السير شارلز ليونارد وولي (1880- 1960م) يميط اللثام عن معالم الحضارة السومرية، التي كانت مدفونة منذ فجر التاريخ.

لقد أتاح مكان التنقيب الواقع في جنوبي العراق لأجاثا الفرصة لاختيار مجموعة فريدة من الشخصيات وظّفتها في قصة «جريمة في بلاد ما بين النهرين»، والأروع من ذلك أن المكان ـ في عام 1929م ـ شهد قصة حب شخصية ساحرة، لا تقل في روعتها عن أيٍّ من مؤلفاتها الخيالية.. هنا قابلت أجاثا ماكس مالوان وكيل البعثة الاستكشافية في أور. كان مالوان في ذلك الوقت متألقًا في السادسة والعشرين من العمر، هادئًا وبارعًا في التعامل مع رجال التنقيب العراقيين. وشاء القدر أن يرافق مالوان أجاثا في رحلة العودة من أور إلى بغداد وخلال الرحلة الشاقة لمس مالوان جَلَد أجاثا ومقدرتها على التحمل، وعندما عادا معًا إلى بريطانيا تزوجا على الفور. وقد أبقت المؤلفة على اسم كريستي لأغراض مهنية، وباتت تُعرف باسم « أجاثا كريستي مالوان».

في عام 1931م انضمت أجاثا إلى مالوان في أور. كان مالوان قد استقال من وظيفته وقرر الاثنان العودة إلى إنجلترا من طريق إيران. وفي رأي المؤلفة الشهيرة، فإن مدينة أصفهان الإيرانية هي «أجمل مدينة في العالم»، مع أنها اختارت مدينة إيرانية أخرى مسرحًا لقصتها القصيرة «المنزل في شيراز» من بطولة باركر باين.

في نينوى

سرعان ما وجد مالوان عملاً في مركز تنقيب بريطاني في نينوى شمالي العراق (نينوى مدينة قديمة، عاصمة الإمبراطورية الآشورية على نهر دجلة، تقابل مكان الموصل الحديثة بالعراق). حيث انضمت إليه أجاثا في عام 1931م، عندها

الشرق في حياة أجاثا كريستي

ابتدأت أجاثا وتيرة جديدة في الحياة، فقد اعتادت أن تسافر مع زوجها سنويًا إلى أماكن التنقيب بينما كانا يمضيان أشهر الصيف معًا في إنجلترا، وكانت أجاثا تعود إلى لندن للاحتفال بعيد الميلاد كل سنة.

تجدر الإشارة إلى أن مناطق التنقيب تلك، كانت في كثير من الأحيان تخلق المرح والتسلية، حتى عندما كانت كريستي تضطر لمواجهة غارات الفئران والبراغيث وغيرها.

في منتصف الثلاثينيات، انتقل مالوان وزوجته إلى أرض جديدة في شمال شرقي سورية. هناك، كانت ظروف العيش في المسكن البدائي للبعثة تتعب حتى أجاثا، كما اعترفت في: «تعال خبرني كيف تعيش»:

«ما إن تنطفئ الأنوار حتى تظهر الفئران بأعدادها الهائلة؛ إذ تنطلق بالمئات من حفر في الجدران والأرضية وتركض «بفرح» فوق السرير مصدرة زعيقًا مميزًا. وأكثر ما يزعج أنها كانت تعبر فوق الوجه، وتشد الشعر...».

بعد أن هددت أجاثا بالهرب إلى حلب على أول قطار، أخرج مالوان الأسرّة، وقام بإيجاد قطة مناسبة. فانتهت أزمة الفئران في غضون خمسة أيام، لكن البراغيث أثبتت عنادها. وكما تقول أجاثا: «إن أكثر مايزعج المرء في البراغيث هو طاقتها التي لا تنضب، وسباقات القفز التي لا تنتهي حول الجسم مما لا يترك مجالاً للاحتمال. لقد كان النوم مستحيلاً في هذه الظروف». ومع أن أجاثا اعتادت أن ترافق زوجها إلى مكان التنقيب مع بزوغ الفجر، إلا أنها كانت تتخلف في البيت أحيانًا، لإنجاز بعض الأعمال المنزلية، ومن أجل العمل على الآلة الكاتبة.

أعادت الحرب العالمية الثانية أجاثا إلى إنجلترا، فقد انضم مالوان إلى السلاح الجوي الملكي وانتقل مع فرقته إلى شمال إفريقية. أما أجاثا فبقيت في لندن، حيث عملت في مستوصف. وخلال هذه المدة كتبت «تعال خبرني كيف تعيش»، استعادت فيها ذكرياتها في سورية قبل الحرب. كما أنها ألّفت ألغازًا أخرى منها «الموت يأتي في النهاية»، وهي قصة مكيدة وجريمة ضمن عائلة موظف صغير في مصر، علمًا أن أحداث هذه القصة تجري قبل 4000 سنة تقريبًا. وفيها وصفت الحياة اليومية للناس في تلك المرحلة بشكل دقيق جدًا، حتى إن أحد محرري جريدة «نيويورك تايمز» كتب عن هذا اللغز بعد صدوره في عام 1945م: «مع أن أجاثا كريستي تقدم في «الموت يأتي في النهاية»، لغزًا إجراميًا شائقًا كعادتها، إلا أنها نجحت بشكل يدعو للإعجاب في تصوير الناس في مصر القديمة كأشخاص أحياء وليس كمومياوات منبوشة في التراب».

في نينوى، أصدرت أجاثا واحدًا من أعمالها البارعة في وقت مبكر، حيث كان العمال يحفرون حفرة بعمق ثلاثين مترًا ليصلوا إلى مستوى الاكتشاف العظيم لأقدم الساكنين على الأرض. وفي عام 1933م أنجزت قصتها «موت اللورد إدجواير»، وعندما أخرج العمال جمجمة من التراب أجمع الحاضرون على تسمية الجمجمة فورًا: «اللورد إدجواير».

من الواضح أن مالوان، حرّك قريحة أجاثا، إذ أنجزت خلال ثمانية أعوام (1930 - 1938م) 15 لغزًا لاقت استحسان الجمهور. وبحلول عام 1938م انتزع مالوان لنفسه شهرة واسعة كمدير لحفريات أثرية ناجحة في العراق وسورية.

وقد وصفت أجاثا مرحلة الثلاثينيات بأنها: «مرضية بشكل خاص». فالحفريات، ببعدها عما يتعلق بالحياة المعاصرة، زودتها بالهدوء الذي احتاجته للعمل، لقد قالت في «رفيق أجاثا كريستي»: أنا أستمتع بالكتابة في الصحراء. فليس هناك ما يشغلني كالهاتف والمسارح والأوبرا والبيوت والحدائق.

لم تعد أجاثا في تلك المرحلة غريبة عن مصر القديمة، فقد كتبت مسرحية في عام 1937م باسم «أخناتون» عن الملك الشاب، صاحب الثورة الدينية، الذي عاش في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وتمثل هذه المسرحية جهدًا طموحًا بأحد عشر مشهدًا واثنتين وعشرين شخصية. ولكن المسرحية لم تُرضِ أجاثا، لذا طوتها ونسيت أمرها، ولم تنشرها إلا في عام 1973م عندما اكتشفتها مصادفة بين أوراقها.

بعد الحرب العالمية الثانية

بعد الحرب العالمية الثانية عُيِّن مالوان - في عام 1947م - رئيسًا لقسم آثار آسيا الغربية في جامعة لندن، واستعد هو وزوجته للعودة إلى الشرق، إلى العراق مرة ثانية. عاد مالوان إلى بغداد مديرًا للمدرسة البريطانية في علم الآثار. وفي كانون الثاني/ يناير 1949م ابتدأت الحفريات من جديد، حيث كانت أجاثا كريستي مسؤولة عن التصوير، وكانت تنظف القطع الأثرية العاجية التي يتم العثور عليها، كما ساعدت أيضًا في شؤون المطبخ، وفي غضون سنة بني بيت للبعثة من الطين في موقع الاستكشاف، وبعد عدة سنوات ألحقت بالبيت غرفة خاصة بالمؤلفة الشهيرة، وفيها كانت تمارس هوايتها في الكتابة البوليسية. والغرفة ما تزال موجودة وتستعمل مستودعًا، على أنها تذكّر بحياة المؤلفة البريطانية على الأرض العراقية.

في أواخر الخمسينيات، أصبحت أجاثا ثقيلة الحركة تعاني من التهاب المفاصل، إلا أنها مع ذلك كانت تساير زملاءها الأصغر سنًا، وكانت تحب المزاح. لم تكن أنانية، بل كانت تنفق بسخاء كي تحس، ويحس كل من حولها بالسرور والحبور.

في عام 1960م غادر عالم الآثار ماكس مالوان وزوجته أجاثا كريستي مدينة نمرود العراقية للمرة الأخيرة، وقفلا عائدين إلى بلدهما. وفي عام 1968م حصل مالوان على لقب «فارس» لقاء أعماله، كما حصلت أجاثا على لقب «سيدة الإمبراطورية البريطانية» في عام 1971م وذلك لقاء مجهوداتها في خدمة الإمبراطورية، ومع أن مجرى حياتهما كان مختلفًا؛ إلا أن الزوجين وجدا أرضية مشتركة في الاستكشاف على أرض حضرا من أجل إعطائها ما تستحقه من التقويم والمكانة.

وكما ذكرت أجاثا نفسها وهي تتحدث عن رحلة في الريف السوري عام 1928م: «هذا السلام المطلق رائع. موجة عظيمة من السعادة تجتاحني، وأنا الآن أدرك كم أحب هذا البلد، وكم هذه الحياة كاملة ومرضية...».

أنجزت أجاثا كريستي بعض أكثر رواياتها شعبية في أثناء اشتراكها بالتنقيب عن الآثار في العراق وسورية، ويرجع ذلك إلى ارتباطها بالشرق وحبها له

المراجع:

1- Arthur Clark, Agatha Christie: Mysteries and The Middle east. Aramco world July/August 1990.

2- L. Larosh, Monuments of Civilizations: The Middle east. Grosset & Dunlap 1971.

3- نساء صنعن التاريخ في القرن العشرين، مجلة الجيل، تموز/ يوليو 1996م.

4- الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، الطبعة الأولى 1965م.

ملوك الطوائف في الأندلس

نتاج الواقع المضطرب، أم ضحية الصورة المشوهة؟!

د. عبدالله بن علي ثقفان

كان، ومايزال، ملوك الطوائف في بلاد الأندلس موضع مدح وقدح وذم من قبل الباحثين والدارسين، قُدامى ومحدَثين، فكانت الدراسات والبحوث والأقوال التي دارت حولهم وحول ممالكهم مضطربة اضطراب الحياة التي عاشوها وعايشوها. ولأن الاضطراب لا حدود له، فقد اتخذت تلك الأقاويل التي قالها من عايشهم ولم يربح منهم شيئًا مصدرًا من مصادر التاريخ الذي يركز على السيئ مع الإقلال من الصورة الحسنة إن لم يمحها.

إن التركيز على الواقع السيئ يمثل نهجًا معاديًا للواقع وللحياة، بل يمثل خروجًا عن المألوف، ذلك لأنه يمثل نظرة من زاوية واحدة، والحياة بهذه الزاوية تضيق، وعلى هذا، فإن الحكم الذي يصدر بوساطتها لا يُعتدّ به.

إن هذه النظرة من قبل بعض الدارسين والباحثين، قدامى ومحدثين، قد فتحت الباب واسعًا أمام دراسات فيها الكثير من التحامل على من صنع التاريخ، ولاسيما من قبل المستشرقين ومن يحاول النيل من الإسلام والمسلمين، ولهذا نجدهم يعدّون التناحر صفة من صفات المسلمين، ويعدون المجون والتهتك شعارًا لمن تسنّم منصبًا أو ملك مالاً.

إننا إن فتشنا في التاريخ وجدنا أن أولئك الملوك قد ظُلموا، ونحن بهذا لا نريد «إثارة الشفقة أو العطف عليهم»(1) بقدر مانحاول إثارة بعض الحقائق التي نعتقد وجودها والتي كان السبب فيها:

- وضع العامة من الناس في عهدهم.
- وضع بعض الفقهاء.
- وضع بعض المثقفين.

فأما «العامة» فقد كان لهم موقف معاد من بني عامر، واستمر هذا العداء في عهد ملوك الطوائف، ذلك لأنهم شعروا باستفحال ظاهرة الطبقية في المجتمع الأندلسي، فإما غنى فاحش، وإما فقر مدقع، لذا أصبحت هذه الفئة خطرًا يهدد السلطة القائمة، بل سعت للإساءة إلى سمعة الحكام على اختلاف مستوياتهم، مما جعل الآخرين يستغلونها، وبخاصة المرابطون والبربر منهم، إذ إن هؤلاء الناس من العامة الذين يكنون حقدًا لملوك الطوائف، خاصة آل عباد، قد اتجهوا لفتح أبواب المدن الأندلسية أمام المرابطين فاحتُلّت جميعها في شهور قليلة(2)، بل إن العامة أنفسهم قد هاجموا قصور ملوكهم قبل دخول المرابطين(3)، ولهذا الأمر وبمساعدة هؤلاء العامة فقد تحول «البربر» إلى مرتزقة لا يهمها سوى مصالحها الخاصة(4).

إن هذا الموقف المعادي من قبل العامة للملوك قد أوجد الحواجز بينهم وبين الحكام، فأصبح لكل وجهة نظر خاصة، لذا نجد أن الشك قد تمكن، مما جعل الملوك يستعينون بعناصر أخرى للدفاع عنهم(5)، وهي عناصر قد شعرت بدونيتها مما جعلها بعد تكاثرها مصدرَ خطر، بل فوضى واضطراب، وعونًا للعامة في تقبيح صورة هؤلاء الملوك، لتشكل صورة أخرى من صور «العبيد والمرتزقة» التي أشعلت الفوضى والاضطراب أيام العباسيين في المشرق، وأيام العامريين في الأندلس قبل عصر ملوك الطوائف(6).

وأما «الفقهاء»، فقد كانوا قبل عصر ملوك الطوائف يحتلون مكانة رفيعة في البلاد، ولاسيما لدى العامة، وقد حاول هؤلاء الملوك تقريبهم، لكن بعضهم عاش في عزلة مثل ابن حزم (ت:456هـ) الذي ذهب إلى جزيرة ميورقة فيما بعد ليحل ضيفًا على أبي العباس أحمد بن رشيق، بعد أن شعر أن بلدان الأندلس الأخرى قد ضاقت به(7)، بينما وقف فريق آخر من الفقهاء موقفًا عدائيًا، فكان موقفهم مساندًا للعامة(8) مما أدّى إلى خلخلة أخرى في المجتمع، فظهرت الفرقة واضحة، وازداد السياج المفرّق بين الملوك والمجتمع قوة إلى قوته.

وأما مايتعلق بالمثقفين، فقد كان نتاجهم ترجمانًا حقيقيًا للواقع من حولهم، ولأنه، في معظمه، كان قلقًا مضطربًا، فقد انعكس ذلك على ذواتهم. فبينما نجد فريقًا منهم يمدح ولا يقدح إذا فاز بمنصب أو جاه أو مال، نجد من لم يفز يذم ولا يمدح فكانت الرؤى - والحالة هذه - مضطربة، والآراء متباينة.

إن ابن حيان القرطبي (ت:469هـ) كان نموذجًا لأولئك المثقفين المضطربين داخليًا والقلقين نفسيًا، إذ نجده مرات يذم، وأخرى يمدح، فقد قال عن المعتضد بن عباد (ت:461هـ): «إنه شهاب الفتنة، صاحب الحوادث الشنيعة والوقائع المبيرة..»(9)، ثم قال غير مصدق لما أشيع عن المعتضد ذاته: «لقد حُمل عنه على مَرّ الأيام في باب فرط القسوة وتجاوز الحدود والإبلاغ في المثلة والأخذ بالظنة، والإخفار للذمة حكايات شنيعة لم يبد في أكثرها للعلم بصدقها دليل يقوم عليها»(10)، على أنه لم يكن الوحيد المضطرب، فمثله ابن بسّام الشنتريني (ت:542هـ) إذ قال ذامًا المعتضد: «إنه قطب رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة..»، ثم قال: إنه رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد، ولا سلم له قريب ولا بعيد..»(11)، ثم قال مادحًا إيّاه: «أسد فرس الطلى وهو رابض، مشهور تتحاماه الدهاة ولا تأمنه الكماة..»(12).

إننا إن تتبعنا النتاج الأندلسي وجدنا غير ابن حيان وابن بسام الكثير من المثقفين المضطربين في آرائهم، ولكن لشهرة الاثنين اكتفينا بهما، على أن هذا القلق الذي عانى منه المثقف

الأندلسي قد جعله يشعر في بعض الأحايين بروح انهزامية، ومن هنا نجد أن بعضهم قد حاول أن يتخلص من بلاده إبّان قلقها، وكذا من بني جلدته بشكل عام، وقد عبّر عن هؤلاء المضطربين شاعرهم الذي قال معبّراً عن انهزامية واضحة:

يا أهل أندلس حثوا مطيكم
فما المُقام بها إلاّ من الغلط.

وذلك على اختلاف في رواية هذا البيت(13).

من هذا المنطلق، أقول: إننا نتأكد أن السلبية قد تمكنت من بعض المثقفين، فصاحب البيت السابق فقيه وخطيب، وكان الأولى به أن يدعو للوحدة والثبات أمام هجمات النصارى، وعند هذا فلن نصدق ابن العسّال وأمثاله حتى إن تحدّثوا عن العصر الذي عاشوه. على أن هذا الأمر لم يتوقف عند الشعور بالهزيمة الداخلية، بل إن بعضهم قد يتجه اتجاهاً آخر يتمثل في الوقوف مع الآخرين أو ضدهم، وذلك بين المسلمين أنفسهم «إرضاء لطموحات سياسية لدرجة أن بعضهم قد يعترف بأنه كان مأجوراً لهذا السيد أو ذاك من الرؤساء»(14).

إن المثقف الأندلسي قد تأثر بما حوله، لكن القلق كان سمة من سماته فنجده يكيل التهم، وقد يكيل المديح حسب الموقف الذي عاشه أو يعايشه، وهذا في الواقع قد أثّر فيمن يقرأ له، بمعنى أن القلق قد تحول إلى اضطراب في المعلومة لدى الباحثين في هذه العصور يستوي في ذلك العربي وغير العربي؛ مما جعل الإسبان يستغلون كل هذا، فيركزون على السيئ وينسبونه للعربي، ويأتون بالمفيد وينسبونه لمن

د. محمود جبر الربداوي

يرون أنه ينتمي لبني جلدتهم، وما دروا أنه كان عالة على الثقافة العربية التي كانت السبب في النقلة الحضارية التي عاشتها أوروبا، بل هي السبب في نهضتها من رقدتها الطويلة(15).

إن من ينظر في أي بحث أو كتاب يتطرق لدول الطوائف خطّه باحث معاصر سيلمس ذلك القلق الذي نتج من اضطراب في المعلومة، ومن أولئك الدكتور الحجي في كتابه «التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة» إذ نجده يقول عن بعض ملوك الطوائف: «إنهم وقفوا جامدين لا يتحركون لنجدة طليطلة وكأنّ الأمر لا يخصهم، فاغرين أفواههم جبناً وغفلة وتفاهة..»(16) كما نجده قد قال عن بعضهم الآخر إنهم قد تكاتفوا لرفع البلاد مثل ابن الأفطس وابن عباد(17)، ثم قال عن الدراسات الأدبية التي تحدثت عن هذا العصر -عصر الطوائف- إنه قد قصر باعها وضاق مداها عن استيعاب الإنتاج الأدبي النظيف..، ثم قال: إنها قد نفخت في فنون جانبيّة سطحية، ضخمتها لإعطاء صورة مشوهة للحياة(18).

إن الأمر لم يتوقف ولن يتوقف عند الدكتور الحجي، فغيره من الباحثين الكثير الذين صبوا ويصبون لومهم على أولئك الملوك، ومن ضمن هؤلاء الدكتور محمود الربداوي الذي صب جام غضبه على المعتمد بن عبّاد، مركزاً على بعض سلوكياته السياسية والاجتماعية وعلى «يوم الطين» ومقتل ابن عمار(19)، وقد يكون له عذر ونحن نلوم، أقصد ابن عبّاد لا الربداوي. فابن عبّاد كان من أقوى ملوك الطوائف، لذا فإن الحاسدين له قد صوبوا السهام نحوه حتى قتلوه حيّاً، فضاع ملكه، وضاعت بلاده، ومن ثم ركزوا على السيئ في سيرته ولم يركزوا على دوره في معركة الزلاقة «فقد فُلقت هامته حتى وصلت إلى صدغه وجُرحت يمنى يديه، وطُعن في أحد جانبيه وعُقرت تحته ثلاثة أفراس كلما هلك واحد قُدّم له الآخر، وهو يقاسي حياض الموت، ويضرب يميناً وشمالاً، وتذكر في تلك الحالة ابناً له كان مُغرماً به تركه في إشبيلية عليلاً، وكنيته أبو هاشم، فقال:

أبا هاشم هشمتني الشّفار
فلله صبري لذاك الأوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج
فلم يثنني ذكره للفرار»(20).

ولبطولته تلك، قال عنه الشاعر ابن القزاز(21):

وقالوا كفُّهُ جُرحت، فقلنا
أعاديه تواقعها الجراح

ثم قال:

رأى منه أبو يعقوب فيها
عُقاباً لا يهاضُ لها جناح
فقال له: لك القدْحُ المعلّى
إذا ضُربت بمشهدك القِداح

كما لم يركزوا على دوره مع ألفونسو السادس ورفضه لدفع الأتاوات، ورفضه لطلبه عندما طلب منه أن تلد زوجه في مسجد قرطبة، كذلك لم يركزوا على دوره في الوقوف ضد من عارض الاستعانة بابن تاشفين لنجدة البلاد.

إن ملوك الطوائف في الواقع كانوا ضحية عصرهم، فبينما كانوا يسعون لـ«رد قرطبة الغربية إلى المشرق ثانية»(22) وذلك عكس أمراء بني أمية في تلك البلاد إذ عمل أولئك الأمراء «على تحويل الأندلس إلى قطر غربي...»(23).

أقول: بينما كانوا يسعون لذلك، كانت الظروف قد تغيرت في غير صالحهم، فقد استيقظت إسبانيا النصرانية ومدت يدها إلى أوروبا لمساعدتها، كما أن «أهل الصحراء» المغاربة قد نظموا أمورهم(24)، فكان ملوك الطوائف والحالة هذه قد وقعوا بين «ناري النصارى في الشمال والبربر في الجنوب..»(25)، فكانت تلك حياتهم، وذلك واقعهم، والله المستعان في كل حال.

تأثر المثقف الأندلسي في كتاباته بما حوله من واقع مضطرب، الأمر الذي أوجد اضطرابا في المعلومات التاريخية لدى الباحثين في عصر ملوك الطوائف

الهوامش:

1- من كتاب «إشبيلية في القرن الخامس الهجري»، د. صلاح خالص، ص60.
2-3- انظر: السابق، ص66-67.
4-6- انظر: «بنو عباد في إشبيلية، دراسة سياسية وحضارية»، د. يوسف حواله، ص51، 75، 72، 73.
7- انظر: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، د. إحسان عبّاس، ص73.
8- انظر: السابق، ص69، وانظر: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، د. سعد البشري، ص256.
9- من كتاب: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام الشنتريني، تحقيق د. إحسان عباس، ق2، م1، ص24.
10- من كتاب: بنو عباد في إشبيلية، ص113 نقلاً عن «الحلة السيراء»، 41/2.
11-12- من: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق2، م1، ص24.
13- البيت لابن العسال الفقيه، وقد اختُلف في روايته، انظره في الذخيرة، ق2، م1، ص250، وانظر: نفح الطيب للمقري، 352/4، وانظر: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، لهنري بيريس، ترجمة الدكتور الطاهر مكي، ص93 وقد اتفق مع النفح، وانظره في كتاب: الأندلس في التاريخ، للدكتور شاكر مصطفى، ص86.
14- من كتاب: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، لهنري بيريس، ص87.
15- انظر كتاب: شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبا. زيجريد هونكه، فقد تحدّثت في كتابها هذا عن أثر الحضارة الأندلسية في أوروبا.
16-18- من كتاب: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ، ص333، 352، 346.
19- انظر: مجلّة الفيصل، العدد 235، ص62-63.
20- من كتاب: نفح الطيب، 366/4.
21- انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق2، م1، ص244-245.
22-25- من كتاب: الشعر الأندلسي، بحث في تطوره وخصائصه، لأميليو غرسيه غومس، ترجمة د. حسين مؤنس، ص44.



الشعراء والسرقات!

د. نوره صالح الشملان

السرقة الشعرية داء قديم، وكثيرًا ما افتخر الشعراء بأنهم لا يسرقون من غيرهم؛ فهذا طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي الكبير يقول:

ولا أُغير على الشعراء أسرقها
عنها غَنِيتُ وشَرُّ الناس مَنْ سرقا

وحسان بن ثابت الذي قال:

لا أسرِق الشعراءَ ما نطقوا به
بل لا يوافِقُ شعرهم شعري

وذهب القاسم بن علي الحريري (ت:516هـ) في المقالة الثالثة والعشرين إلى أن سرقة الشعر أفظع من سرقة المال، يقول: «واستراق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء، وغيرتهم على بنات الأفكار كغيرتهم على البنات الأبكار»(1).

ومع ذلك فإن كثيرًا من الشعراء، على شهرتهم وقوة شعرهم وتفوقهم، قد اشتهروا بالسطو على نتاج غيرهم؛ وسنقف في هذه المقالة عند الفرزدق وموقفه من السرقات الشعرية. واختيارنا للفرزدق (ت:110هـ) جاء من منطلق كونه قد أكثر في شعره من نفي السرقة عن نفسه من جهة واتهام خصمه جرير (ت:110هـ) بذلك من جهة أخرى.

جاء في الموشح لمحمد بن عمران أبي عبيدالله المرزباني (ت:384هـ):

قال أحمد بن أبي طاهر (ت:280هـ): كان الفرزدق يصلت على الشعراء ينتحل أشعارهم، ثم يهجو من ذكر أن شيئًا انتحله أو ادعاه لغيره، وكان يقول: «ضوالّ الشعر أحب إليّ من ضوالّ الإبل وخير السرقة ما لم تُقطع فيه اليد»(2).

ويروى أنه مرَّ على ذي الرمّة وهو ينشد قومًا قصيدة فلما وصل إلى قوله:

أحينَ أعاذت بنو تميم نساءَها
وجُرِّدْتُ تجريدَ اليماني من الغمدِ
ومدَتْ بضبعيَّ الربابُ ودارمٌ
وجاشت ورامت من ولائي بنو سَعْد

استوقفه الفرزدق قائلاً: إياك أن يسمعهما منك أحد، فأنا أحق بهما منك؛ فجعل ذو الرمة يتوسل إليه ألا يسرقهما، فقال: اغرب. فأخذهما الفرزدق فما يُعرفان إلا له.

وكان الفرزدق يغتصب الشعر، فيروى أنه مر بالشمردل وهو ينشد قومه، وحين وصل إلى قوله:

وما بين من لم يعطِ سمعًا وطاعةً

وبين تميم غيرُ حَزّ الحلاقمِ

هدده بأخذ هذا البيت منه أو أن يهجوه ويستبيح عرضه، فوافق أن يعطيه البيت خوفًا من لسانه الحاد. وأحيانًا يسرق البيت ويُحدث فيه تغييرًا بسيطًا ويدخله في شعره كما فعل حين سمع قول ابن ميادة:

لوَ اَن جميع الناس كانوا بتلعة

وجئت بجدّي ظالمٍ وابنِ ظالمِ

لظلت رقاب الناس خاضعة لنا

سجودًا على أقدامنا بالجماجم

فغيّر الاسم حتى يتناسب مع نسبه إذ جعله: **فجئت بجدّي دارمٍ وابن دارم،** وأدخله في شعره.

ويذكرون أنه كان يسطو على شعر الراعي النميري ويُدخل أبياتًا منه في شعره.

وعلى الرغم من كثرة ما عُرف عن الفرزدق من إغارة على أشعار الآخرين؛ فقد كان يهجو جريرًا بسطوه على شعره وانتحاله على شاكلة قوله:

كم من أبٍ لي يا جريرُ كأنه

قمرُ المجرة أو سراجُ نهارِ

لن تدركوا كرمي بلؤم أبيكم

وأوابدي بتنحُّلِ الأشعارِ

ويعلل النقاد القدماء سلوك الفرزدق هذا بأنه يرى نفسه أحقَّ الناس بأي شعر جيد، فإذا سمع شعرًا جيدًا قريبًا من شعره اغتصبه كأنه حق له.

وكان الفرزدق يلجأ إلى غيره حين ينغلق أمامه باب الشعر؛ فقد ذهب إلى أحد الشعراء المغمورين وقال له: قلت بيتًا ولم أستطع أن أتبعه بآخر، فقال له الشاعر المغمور: وماذا قلت؟

قال الفرزدق: قلت:

إن الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا

بيتًا دعائِمُهُ أعزُّ وأطولُ

فأكمل الشاعر المغمور:

بيتًا بناه لنا المليكُ وما بنىَ

حكمُ السماءِ فإنهُ لا يُنقلُ

ولم تكن سرقات الفرزدق تخفى على متذوقي الشعر وحفظته، من ذلك ما حدث له وهو يلقي قصيدة بين الناس علم أحدهم أنها مسروقة من شعر المخبّل السعدي (ربيعة بن مالك، مجهول سنتي الولادة والوفاة، ولكنه من مخضرمي الجاهلية والإسلام)، وكان هذا الرجل في موقف متردد؛ فهو يخشى على نفسه العقوبة لو أفشى سر الفرزدق بين الناس، وهو من جهة أخرى لا يريد أن يمر هذا الأمر بسلام، ويريد أن يشعر الفرزدق أن في من يستمع إليه من لا ينخدع بكذبه، فقاده ذكاؤه إلى الإشارة دون الإفصاح، والرمز دون التصريح، إذ قال له: يا أبا فراس قصيدتك هذه نثول. ومعنى النثول البئر التي خوت ثم كبست ثم خوت ثانية، فهو يريد أن يقول: إن هذه القصيدة ماتت بموت صاحبها فأحييتها؛ ولم يفطن من في المجلس إلى ذلك، بل ربما ظنوا أنه يستحسن هذه القصيدة ويشيد بها، على أن الفرزدق أدرك ما يريد صاحبه فقال له بصوت خافت بعد انفضاض المجلس: اذهب عليك لعنة الله، وكأنه يقر بسرقته.

إن القصص التي تروي سطو الشعراء الكبار على الشعراء المغمورين تمتلئ بها كتب التراث مما يدل على أن هناك فحولاً كثيرين بقوا في الظل على تفوقهم. وكانت تدخل في شهرة الشاعر أمور كثيرة بعضها بعيد من الفن والتفوق فيه. وما دمنا نتحدث عن الفرزدق فلا بد أن نشير إلى الأخطل (غياث بن غوث التغلبي، ت:90هـ)، وهو الشاعر الذي ارتبط اسمه باسم الفرزدق وجرير، وكون هذا الثلاثي صفوة الشعراء الأمويين. يذكر النقّاد أن الأخطل لم يكن من الناحية الفنية يضارع الفرزدق وجريرًا وأن الذي جعله يوضع في منزلتهما الفنية يعود إلى سبب قَبَلي، إذ إن قبيلته تغلب فرضته على النقاد كما يذكر المرزباني.

إن السرقة سلوك عممه الأخطل على جميع الشعراء بما فيهم نفسه حين قال: نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة.

وقابل الأصمعي (عبد الملك بن قريب، ت: 216هـ) بين جرير والفرزدق في السرقات، فقال: «تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة، وكان يكابر، وأما جرير فما علمته سرق إلا نصف بيت..».

ومع هذه الشهادة التي تسحب من تحت قدمي الفرزدق بساط الشعر إلا أقله، نجد الأصمعي حين يمايز بين جرير والفرزدق يقدِّم جريرًا لا لأن شعره صحيح، ولكن لأن له من ضروب الشعر ما لم يكن للفرزدق، ولأن جريرًا تفوق على الفرزدق في الرثاء؛ فقصيدته في رثاء النوار زوج الفرزدق تتفوق على قصيدة الفرزدق في رثاء النوار.

الهوامش:

1. مقامات الحريري ص223. والصفراء والبيضاء: الذهب والفضة.
2. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ص168.



مريم هيكورن

الطريق إلى الإسلام يبدأ من الداخل

ولدت مريم هيكورن عام 1959م لأبوين بلجيكيين ينتميان إلى المذهب الكاثوليكي النصراني، وعلى ديدن والديها شبَّت الصغيرة تعتنق مذهب الكثلكة، مع عدم التزامه، لكونها ـ مثل أسرتها ـ غير متدينة.

وحتى سن العاشرة لم تكن مريم قد سمعت شيئًا عن دين اسمه الإسلام، فكل معرفتها وعلاقتها بالأديان لا تتعدى النصرانية، ولهذا عندما سمعت بعض أصدقائها يذكرون الإسلام بسخرية لم تجد غضاضة في مشاركتهم الضحك والتعليق الساخر، إذ لم يطف برأسها وهي في تلك السن الصغيرة أنها سوف تصير يومًا مسلمة.

تساؤلات تطالبها بالسعي إلى المعرفة

ولأنها شبت في أسرة غير متدينة، فقد كانت مريم تؤمن بالله على عقيدة النصارى لكن دون أن تدرك ما هية الله، بل كانت تجد في أخلاق الكاثوليك وتصرفاتهم ما يثير في نفسها الحيرة من تشدقهم برعاية الأخلاق؛ فيما يدوسون كل يوم ـ حتى في الكنيسة ـ على ما ينادي به كتابهم «المقدس» من مبادئ، لكنها حين كبرت قليلاً وصارت في الثالثة عشرة من عمرها بدأت روح المراهقة داخلها تطلق تساؤلات، وتطالبها بالسعي إلى الدين. ولكن.. إلى أي دين تسعى؟!

كان هذا السؤال يؤرق بالها، إذ إنها لم تسترح لموضوعات كثيرة سمعتها في الكنيسة عن العقيدة النصرانية، وفي الوقت ذاته سمعت واختلطت بأديان أخرى مثل اليهودية والبوذية، أما الإسلام فلم يرد ببالها، لأن كل معلوماتها عنه لا تتعدى ما سمعته من وسائل الإعلام، وهي بطبيعة الحال غير أمينة في نقل صورة حقيقية عن هذا الدين القيم.

حين بلغت مريم هيكورن عامها العشرين، وتحديدًا عام 1979م، كانت قد التقت بالرجل الذي اختارته العناية الإلهية ليكون زوجًا لها، كان شابًا مغربيًا مسلمًا يدعى فؤاد بن ميلودي البادي، وعلى الرغم من كونه مسلمًا إلا أنه لم يكن ملتزمًا، لكنه كان ـ بطريقة ما غير مقصودة ـ طريقًا من الطرق التي عرفت من خلالها أشياء كثيرة عن الإسلام، إذ زارت المغرب، والتقت بمسلمين كثر.

المرء على دين خليله

على أن الهداية جاءت لها على يد امرأة بلجيكية ذهبت إلى الهند عام 1982م وأسلمت، ولأنها صديقة لمريم، فقد كانت تزورها، وذات يوم قبل أن تغادر إلى بريطانيا تركت ذكرى طيبة في منزل مريم، هي نسخة من ترجمة فرنسية لمعاني القرآن الكريم، وحين قرأت مريم الترجمة، وجدت نفسها تبحث عن الإسلام، وقررت أن تدرس اللغة العربية فالتحقت بالمركز الإسلامي ببروكسل عام 1984م، وصارت مسلمة.

لقد شاءت عناية الله ألا تكتفي بإنقاذ روح مريم الحيرى وحدها، لكنها أيضًا أنقذت روح زوجها، إذ إن المهتدية الجديدة حين أسلمت بدأت تسأل زوجها المسلم غير الملتزم عن أشياء كثيرة، ويتناقشان، وكانت ثمرة هذا النقاش أن صار الزوج من ملتزمي الإسلام، بل إن تأثيرها امتد ليشمل أخوات زوجها اللواتي لم يكن ملتزمات الحجاب والصلاة، فأثرت مريم بإيمانها الشديد فيهن.

وهنا يطفو سؤال: وماذا كان موقف أسرتها هي من إسلامها؟!

إن الأمر كان صعبًا على أسرتها، فعلى الرغم من عدم التزام الأسرة الديانة النصرانية، إلا أنها لم تتخيل أن تترك ابنتها عقيدة آبائها يومًا، من هنا كان رفضها لإسلام مريم، وبخاصة الأم، إلا أنه بمرور الزمن بدؤوا يتقبلون الواقع، وبخاصة حين رأوا أن ابنتهم بعد إسلامها قد صارت أفضل مما كانت أيام النصرانية، وما لبث والدها أن بدأ يقرأ معاني القرآن الكريم مترجمة، والأمل كبير في أن ينقذ الله روحه الحيرى، ولاسيما بعد ما صار يعلن عن حبه للإسلام، لكن دون اتخاذ الخطوة المطلوبة نحو إشهار إسلامه.

الإسلام وتكريم المرأة

لقد أتاح كون مريم متزوجة من شخص مسلم فرصة لها في أن تقلل المعارضة لقرار إسلامها، ثم إنه أيضا أتاح لها أن تتعرف إلى مسلمين، وأن تقابل بين حال المرأة في أوربا، وحالها كما تراها شريعة الله التي هي الإسلام، فالمرأة في أوربا قد خدعوها باسم الحرية، وأحالوها إلى مجرد دمية يتسلون بها، ففقدت أنوثتها، وفقدت كرامتها، وصارت لا تزيد على كونها لعبة يلهو بها الرجال وقتما يشاؤون.. فباسم المساواة جردوها من كل معاني الأنوثة، وباسم الحرية أقنعوها بالاستجابة لنداء الحيوان، والعيش دون زواج، أما في الإسلام، فقد وجدت مريم وضعًا آخر للمرأة، التي لم تنل في

أية عقيدة تكريمًا أو موقعًا مماثلاً لذلك الذي لقيته من العقيدة الإسلامية، التي أكرمتها زوجة وأمًا وأختًا وابنة، وأتاحت لها حقوقًا لم تحصل عليها نظيراتها الغربيات، وأولها حقها بعد الزواج في الاحتفاظ باسم عائلتها وشخصيتها وأهليتها المدنية كاملة؛ بعكس المرأة الغربية التي لا تلبث بعد الزواج أن تتسمى باسم عائلة زوجها، وتصبح حقوقها المالية مشتركة معه، ولا تكون لها حقوقها المالية المنفصلة.

وقد حرصت مريم على أن تقوم بتعريف صديقاتها من النساء البلجيكيات كل هذه الأمورالبديهية عن الإسلام، وتصحيح معلوماتهن المغلوطة عنه.

وتطالب مريم بأن يكون الدعاة المسلمون الموفدون إلى أوربا متحلين بسعة الذهن والفكر، وقادرين على فهم نفسية الأوربي وتكوينه الاجتماعي، والعقلية التي يفكر بها، وقبل هذا وبعده يجب على الداعية أن يكون قدوة بسلوكه الطيب وأخلاقه الرفيعة، ليكون مؤهلاً لأن يقتدي به غيره.

الدعوة الإسلامية وأوربا

وترى مريم أن أوربا مؤهلة لتكون حقلاً خصبًا للدعوة الإسلامية، فوسط ذلك الطوفان من الضياع الناتج من اللهاث المادي وراء سراب الحياة، تولّد في نفوس شبابها ضياع لا حدود له، فالكثير منهم كاره للحياة، كاره للكنيسة التي تخلت عن دورها في توجيه المجتمع، وصار القساوسة يتسابقون للفوز بالمال أو أحد المناصب الكهنوتية. فالأوربي النصراني وإن تقدم علميًا وتقنيا على الشرقي المسلم؛ إلا أنه متأخر كثيرًا روحيًا، وما تزال أرواح كثيرة تبحث عمن يهديها إلى طريق الله، ولو وجد الدعاة المخلصون الفاهمون لنفسية الإنسان الغربي لاستطاعوا أن يضموا كل يوم عشرات من القلوب التي تهفو إلى فطرتها التي خلقها عليها الله عز وجل، لكنها لا تعرف طريق الخلاص، والمطلوب مزيدًا من الدعاة المخلصين حتى نؤدي حقوق هؤلاء في أن يجدوا من يرشدهم إلى الإسلام.

قصيدة

تقول الريح

شعر: نصر علي سعيّد

تقول الرِّيحُ للأشجار ياما ... حملت لكل مشتاق سلاما

سكبت دمي على جرح قديم ... تعلّق فوق ذاكرتي وساما

وأطلقت العنان لكل صب ... يذوب من الجوي عامًا فعاما

فياما بعثر الشعراء صوتي ... على الطرقات حقدًا وانتقاما

كأني ما نسجت من القوافي ... نشيدًا يملأ الكون ابتساما

كأني عندما أغتال صوتي ... أفيض وأملأ الدنيا غراما

أجب يا ليل هل ضيّعتَ اسمي ... كما ضيّعتَ بالأمس الندامى؟

متى يا ليل تصبح عبقريًا.. ... فتجلو عن رؤى عيني الظلاما ؟

متى يا ليل تمنحني حنينًا ... وتملأ خافقي المضنى هياما ؟

أقام الليل فوق الصمت جسرًا ... لتعبره أزاهير الخزامى

بكى التاريخ من ظمأ وجوع ... وعبّأ خافقيه أسًى وناما

وقطّب حاجبيه ضنًى وحزنًا ... وعلّق فوق جبهته الركاما

أقامت جبهة الأحزان عرسًا ... على دمها وعانقت الغماما

فلا ريح الصبا حملتْ جريحًا ... على يدها وأيقظت النياما

ولا هي أشعلت في القلب نارًا ... ولا نيرانها صارت حطاما

تقول الريح للأشجار صبرًا ... سأملأ هذه الدنيا سلاما

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح اللحيدان

صلاة المغرب

ما الحكمة من كون صلاة المغرب ثلاثًا؟

داود بن سليمان السالمي
الرياض.

الحكمة من ذلك - والله تعالى أعلم - أن المغرب وقت انتهاء النهار فصارت صلاة المغرب وِتْر النهار، كما أن وِتْر الليل ركعة واحدة، وهذا دال على وحدانية الله سبحانه وتعالى الوحدانية الحق، وقد دلت على هذا الفطَر السليمة ودلائل الوجود المحسوسة، ونهضت العقول الصاحية على هذا.

النيابة في الحج

ما حكم النيابة في الحج؟

سعود الدرهلي
القشاشية، مكة.

الحج من العبادات التي تدخلها النيابة فيجوز للمسلم البالغ العاقل المكلّف أن ينوب عن غيره في: الرمي، والنحر. لكن مطلق الحج بتمام أركانه وشروطه وواجباته وسننه فإنه يجوز الحج عن المتوفى إذا كان مريد الحج قد حج عن نفسه لحديث شبرمة وسواه، والله أعلم.

السؤال عن صحة أحاديث

بعض الإخوة يسألون عن جملة أحاديث.

محمد م. م.
عبدالله بن سعود بن هداب
سالم بن معيض رويلي
البراك، مكة المكرمة.
سعد بن محمد، عفيف، م أ، رنية.
خالد بن بندر بن فهاد العتيبي، الرياض.

- «نية المؤمن خير من عمله»:

لم يصح من جهة السند، وهذا الحديث يورده كثيرون مع أنه ضعيف، وبعضهم يقول معناه حسن، فالمقصود أنه لا يصح بلفظه هذا، ولم أجد له أصلاً. وقد ذكره العيني في شرحه على صحيح البخاري مستشهداً به وسكت عنه مع أن الأولى بيان حاله.

- «كانوا يتبادرون السواري»:

هذا جزء من كلام لابن عمر - رضي الله عنهما - يحكي حال الصحابة رضي الله عنهم: أنهم يصلون خلف سواري المسجد يجعلونها سترة في صلاة النافلة، وهذا نص صحيح سنداً ومتنًا، وهو دال على وجوب اتخاذ السترة، ودل على هذا نصوص أخرى عن ابن عباس وعائشة وسواهما.

- «ليس كل بيضاء شحمة»:

هذه كلمة جرت مجرى المثل لاستحسان الشيء عن سماع أو نظر من بُعد فإذا اختبره السامع وجده هباءً غير ذي نفع. وليست حديثًا.

وبعض الحكم والأمثال تنطلق من منطلق حق وتجربة صادقة يقبلها العقل ويستفيد منها.

- «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»:

هذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم للنعمان بن بشير رضي الله عنهما حينما أراد النعمان أن يعطي أحد أولاده دون غيره، وحينما ذهب إليه بمشورة ملزمة من زوجته رضي الله عنها قال له ما قال، وهو حديث صحيح.

- «اختاروا لنطفكم فإن العرق دساس»:

هذا من كلام لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو صحيح المعنى.

- «لا ضرر ولا إضرار»:

هذه قاعدة شرعية متينة يُسار عليها في سائر الأحكام والصلح بين الناس والبيع والشراء، وهو حديث صحيح من جوامع الكلم.

- «إنما يعرف لذوي الفضل حقوقهم ذوو الفضل»:

لم أقف على أنَّه صحيح حسب علمي. وسببه ما حصل بين أبي بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما حينما تزحزح أبو بكر لعلي ليجلس قرب النبي صلى الله عليه وسلم، وعندي أن سنده ضعيف.

- «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»:

لم يصح ولا بلفظ آخر عند أحد من أصحاب الكتب الستة، ومتنه متهالك فكيف يبغض الله تعالى شيئًا ويكون حلالاً.

- «لعله نزعه عرق»:

صحيح، وهو جزء من حديث يُعدّ قاعدة شرعية في ثبوت النسب عند اختلاف اللون بين الأولاد وأنه لا يُلتفت إلى هذا الاختلاف لحصوله.

الفصحى في الحوار القصصي

صالح بن إبراهيم الحسن

المحاورة في اللغة: المراجعة في الكلام، فحاوره أي جاوبه وجادله. وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى: *قال له صاحبه وهو يحاوره*. **الكهف: 34**، فهي تدل على حديث يجري بين شخصين أو أكثر. وقد اكتسبت الكلمة في العصر الحديث دلالة فنية، إذ أصبحت مصطلحًا يعني «الحديث الذي يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي، أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح»(1). وهو اصطلاح لا يبعد من الأصل اللغوي، وإن قصرت دلالته على الحديث المتخير الذي يهدف به الكاتب إلى تطوير الحدث، ورسم الشخصيات في قصته.

وقد اكتسب الحوار في الدراسات النقدية أهمية بارزة؛ نظرًا لما يشغله من مساحات واسعة في ميدان الأعمال القصصية، وما تولد منها من أنواع أدبية أخرى، فهو يشكل العصب الرئيس الذي يقوم عليه المسرح، وكذلك الأعمال التمثيلية في الإذاعة والسينما والتلفاز، فأفسحت ساحة هذه الأعمال للحوار، وانزوى صوت الراوي، مكتفيًا بالرواية والقصة القصيرة، لكنها لم تخل له أيضًا، إذ حفلت بكثير من جمل الحوار، الذي أفاد منه الكتاب في رسم شخصياتهم، والإبانة عن دخائل نفوسهم. ولعل هذا هو السبب الأهم الذي مكن للحوار من أخذ هذه المكانة المرموقة في الأعمال الأدبية.

الحوار بين الإقليمية والواقعية

عُنيت الدراسات النقدية في الغرب بلغة الحوار من حيث قدرتها على رسم الشخصيات، وإبانتها عن أمزجتها ونفسياتها وواقعها الاجتماعي، مما جعل مسؤولية الأديب كبيرة في قدرته على تقمص شخصياته والحديث بألسنتهم. ونظرًا لعلاقة الحوار بواقع الأشخاص وما يجري بينهم في الحياة العامة؛ فقد شَغلتَ الساحة الأدبية والنقدية في الوطن العربي بقضية الفصحى والعامية وعلاقتها بواقعية الحوار.

ومما يجدر ذكره القول بأنه لا خلاف بين النقاد والروائيين العرب على حد سواء على وجوب التزام الفصحى لغة للسرد القصصي في الرواية والقصة، كما أن هناك اتفاقًا بينهم على وجوب ذلك في السرد والحوار في الأدب الروائي والمسرحي المترجم. ولكن كان الخلاف ينصب على لغة الحوار في الأعمال الأدبية العربية، هل تكون بالفصحى أو بالعامية؟ ولم تقتصر المشاركة في طرح هذه القضية، وتأييد رأي على الآخر على أرباب الأدب ونقده، إذ لو كان الأمر كذلك، فإن الفصحى بما لها من تراث أدبي وفكري عريق، يكفل لها السيطرة على الموقف، وإنهاء القضية قبل أن يستشري أمرها، لكن الظروف السياسية، وما واكبها من نعرات إقليمية، كان لها اليد الطولى في نمو الفكرة والدفاع عنها، فقد كان حزب الأمة في مصر ينادي بالقومية المصرية، وكان من نتائج هذا أن أحمد لطفي السيد ـ داعية القومية المصرية الأول ـ قام بالدعوة إلى تمصير اللغة العربية... حيث كتب في ذلك سبع مقالات نشرت في صحيفته «الجريدة» سنة 1913م، وكان هذا هو التطور الطبيعي لدعوة حزب الأمة(2) بما تحققه له هذه الدعوة من خلق لغة خاصة لمصر تختلف عن الفصحى، قوامها اللهجة العامية في نحوها ومفرداتها. ونتيجة لهذه الدعوات السياسية المعتمدة على أساس فكري، فقد تأثر بها بعض الأدباء وأخذ بها، فاستخدم محمد حسين هيكل العامية في كتابة الحوار في رواية «زينب» التي يُعَدُّ فيها رائدًا للقصة بمفهومها الحديث، وكانت هذه القصة ثمرة إيمانه بفكرة المصرية، التي تنادي بصبغ الأدب بالصبغة المصرية. لكن يبدو أنه قد أخذ بهذه الدعوة عن غير اقتناع؛ إذ إن المتتبع لحواره في الرواية «يشعر بتحرج المؤلف من كتابته بالعامية، فكانت فقراته قصيرة ولم تكن تزيد على سطر أو بضعة أسطر قليلة»(3)، وهو ما يدل على أنه لم يقتنع فنيًا بقدرة العامية على إدارة الحوار بين أشخاص القصة، وقد أحرزت نجاحًا في وقتها «إبان رواج فكرة "المصرية" والدعوة إلى تعميمها في الأدب واللغة، لكن الكاتب رجع بعد ذلك إلى الأسلوب الفصيح في كل ما ألفه بعد "زينب"»(4).

ومن منطلق القومية المصرية المشوبة بالأهواء

الشخصية، التي تهدف إلى تهميش الفكر العربي في مصر، والتشكيك في علاقتها بالأمة العربية كتب «لويس عوض» روايته الأولى «مذكرات طالب بعثة»، ومن إمعانه في هذا الاتجاه كتب سردها وحوارها بالعامية المصرية، «وكان منطلقه فكريًا، ومن رؤية معينة للغة ولمصر ولحضارة مصر ولعلاقتها مع الآخرين»(5)، ولم يكن للفن الأدبي ومذاهبه علاقة بتوجهه هذا، ولأسباب خارجة عن الفن تبنى هذا الموقف.

وكتب محمود تيمور مجموعات قصصية أربعًا، أدار الحوار فيها بالعامية، وكان متأثرًا بأخيه محمد تيمور الذي كان من أشد المتحمسين لتمصير الأدب لغةً وموضوعًا، لهذا لم يكن منطلقه فيما صنع قناعة فنية بقدرات العامية، بل كان متأثرًا بتوجه أخيه محمد تيمور. ولم يكن للفن الأدبي دور فيما أخذ به.

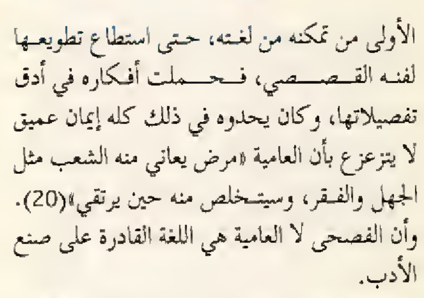
ويبدو أن هذه النعرة الإقليمية الضيقة، لم تجد صدى في نفوس أبناء مصر العربية فخفتت، لكنها ظهرت بصورة أخرى، معتمدة على دعاوى فنية تنادي بالواقعية في الأدب. واختلط الأمر على كثير من النقاد والمبدعين في معنى هذه الواقعية، حتى أقحموا في الأدب ما ليس منه، وحاولوا نقل لغة الشارع، وأحاديث الناس في مجالسهم بما تتسم به من فضول في القول إلى أروقة الفن الأدبي؛ إكرامًا للمفهوم الناقص للواقعية، متناسين أن الحوار في العمل الأدبي ليس نقلاً للمحادثة الجارية بين الناس في الحياة العادية، وإلا لم يقل «كروثرس»: «إن الحوار الرائع المبدع هو أندر المواهب وأغلاها. إنه الزهرة في شجرة المسرحية... واللمسة الأخيرة التي تتوج الصورة»(6)، وهذا مما لا تحققه أحاديث الناس في الحياة الواقعية. وقد حظيت هذه الدعوة بنقاد وأدباء يُنظِّرون لها، ويطبقونها في أعمالهم، معتمدين على التوجه القاصر في فهم الواقعية في الأدب، فندد رشاد رشدي بالكتاب الذين يكتبون حوارهم بالفصحى قائلاً: «قد آن لكتابنا ممن يفعلون ذلك أن يدركوا هذه الحقيقة، وهي أنهم ليسوا أحرارًا في أن يجعلوا شخوص قصصهم تتكلم أو تفكر بالعربية الفصحى كما يتراءى لهؤلاء الكتاب، فإنه من البديهي أن أية قصة تحاكي حدثًا، وأن أي حدث يحاكي الواقع، واقع الحياة التي يمثلها هذا الحدث، فإن كيان الكاتب القصصي إنما يقوم على هذه الواقعية، أي على محاكاته للواقع وقدرته على إقناع القارىء بأن قصته تمثل هذا الواقع.. ولذلك فإن الكاتب الذي يجعل شخوص قصته تتكلم وتفكر بلغة غير اللغة التي تفكر وتتكلم بها في الحياة، يهدم من أساسها الواقعية التي كانت السبب في كيانه»(7)، وهذا رأي مبني على أساس أن الواقعية الأدبية هي مطابقة القصة في حوارها لكلام الناس في الحياة العامة، ولهذا يرى عبدالعظيم أنيس أن كتابة الحوار باللغة الفصحى هي تزييف للحياة الواقعية، وخاصة إذا كان هذا الحوار يدور بين أناس بسطاء في بيئة شعبية(8).

والحق أن هذا خلط كبير بين الأدب والواقع، فالأدب يستمد حيويته من واقع الحياة، لكنه لا ينقلها كما هي، وإلا لم يكن هناك تفاوت بين الأدباء ما داموا ينقلون ما يرونه، كما هو، ولأصبحت أعمال الأدباء صورة واحدة لا تتغير ما دامت تنقل من واقع واحد في البيئة الواحدة. لكن الثابت لدى أدباء العالم ونقاده كافة، أن الأدب ليس هذا النقل الغفل للحياة، كما يراها الناس جميعًا من دون تفاوت بين أدباء وغير أدباء، بل إن نظرة الأديب للحياة تختلف عن نظرة غيره، ومن ثم فإن تصويره لواقع هذه الحياة يختلف عما هو موجود أمام الناس. وقد ترتب على ذلك أيضًا أن الحوار في الأعمال القصصية غير ما يجري بين الناس في واقعهم من أحاديث، يغلب عليها الثرثرة وتزجية الوقت. وقد أدرك النقاد ذلك؛ حيث فرقوا بين أحاديث الناس والحوار القصصي، فهذا تشارلس مورجان يقول في محاضرة له: «إنني سأستعمل كلمة «المحادثة» لكلام الرجال والنساء في الحياة العادية، وكلمة «الحوار» لكلام الشخصيات في الروايات والمسرحيات»(9). وهو إدراك واع لما بين الحوار القصصي وأحاديث الناس في مجالسهم من اختلافات جذرية تميز الأدب من الواقع، والحوار من الكلام؛ لهذا فإن الناقد يشدد على أن الكتاب حقًا «متخيرون إلى أقصى حد، كما أنهم أصحاب أسلوب إلى أبعد درجة»(10)، بل إنه يرى أن على الكاتب أن يسم الحوار بأسلوبه الخاص الذي يميزه من غيره من الكتاب، ولا يعمد إلى الحوار العام الذي يجري على جميع الألسنة لأن «غرضه ليس حكاية محادثة، بل توصيل جوهرها»(11)، وهو ما يحدث بالفعل في الحوار المدروس الذي يشكل لبنة مؤثرة في بنية العمل القصصي الناجح. وبهذا تتفاوت قدرات الأدباء، ويختلف في نتاجهم الأدب بتقنياته الفنية عن الواقع بأحداثه المفككة، وأحاديثه غير الهادفة؛ ولهذا شدد نقاد المسرح على هذه الناحية فقال روجر م. بسفيلد: «إن التمثيلية ليست هي الحياة الواقعية.. ويجب ألا تغيب عن بالنا هذه الحقيقة مطلقًا. إنها الحياة مصورة تصويرًا انتخابيًا منتخلاً وبقصد مخصوص»(12). ومما يجدر ذكره أن المتابع لآراء دعاة العامية في الحوار - عندما يعرضون للواقعية الأدبية - يجدهم يفرقون صراحة بين الواقع والواقعية، وأن هناك فارقًا بين النموذج الذي يقدمه الكاتب في الرواية، وبين الفرد الحقيقي في الحياة، وفي إقرارهم هذا «تشعر لوهلة أنك على وشك التفرقة بين لغة النموذج ولغة الفرد، فالأولى فنية، وإن لم تكن دارجة بالضرورة، والأخرى دارجة، وإن لم تكن فنية بالطبع»... ويتأكد هذا «حين نرى احتكامًا إلى العلاقة الرمزية بين العمل الروائي والواقع، وإلى مبدأ الاختيار الذي يلغي ضرورة المطابقة بين فن الحوار وواقع الحوار، بيد أنك لا تلبث أن تباغت حين تلحظ عمق المفارقة بين الإقرار بمبدأ الاختيار، بوصفه بدهية من بدهيات الواقعية الفنية، ورفض تجليات هذا المبدأ ذاته فيما يتعلق بالحوار بصفة خاصة»(13) حين يتعلق الأمر بفصاحة لغته.

وبهذا نرى أن استعمال العامية بدعوى الواقعية، أمر لا تقبله الواقعية نفسها، التي ترتفع في أدائها الفني عن مستوى الواقع، ولا تحاكيه أبدًا. ومن هنا يتبين إخفاق الدعوات الإقليمية في توجيه الأدب للأخذ بالعامية؛ تدعيمًا لمواقفها، وكذلك رفض الواقعية الأدبية لمبدأ مطابقة الفن لما يجري في الحياة.

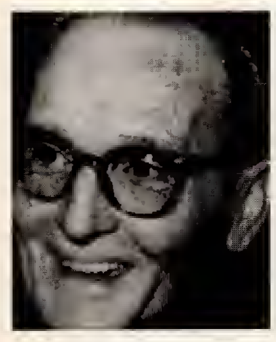
استعمال العامية بدعوى الواقعية أمر لا تقبله الواقعية نفسها، التي ترتفع في أدائها الفني عن مستوى الواقع، ولا تحاكيه أبدًا

الفصحى
في الحوار القصصي





توفيق الحكيم



محمود تيمور

د. محمد حسين هيكل

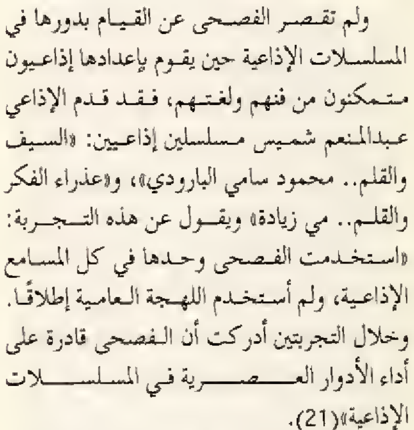
إخفاق العامية في التعبير وتفوق الفصحى

ونتيجة لتأثر الأدباء بتلك الدعوات، فقد قام بعضُ الكتّاب ذوي المكانة العلمية والأدبية بالتجريب، وكتابة حوار قصصهم بالعامية في محاولة منهم لمعرفة ما يمكن أن تقدمه العامية لفنهم القصصي، وكانوا مخلصين لأدبهم عندما أقدموا على تجربتهم، صادقين فيما وصلوا إليه من نتائج، لكنهم تراجعوا عن محاولتهم عندما ثبت إخفاقها، على مكانتهم الأدبية؛ فهذا توفيق الحكيم يستخدم العامية في «عودة الروح» بصورة واسعة «إلا أن تجربته هذه بيّنت عدم قدرة العامية على معالجة القضايا الفكرية المهمة، إذ نجده عند معالجة بعض قضايا الفكر يستخدم الفصحى في بعض مواقف الحوار. كما أنه لما أحس بعجز العامية عن التعبير عن الأفكار العالية عاد إلى الكتابة بالفصحى فكتب «عصفور من الشرق» التي تعدّ تكملة لقصة «عودة الروح»(14).

وعدل محمود تيمور عن العامية إلى الفصحى بعد عدة تجارب دلته على قصور العامية عن التعبير الأدبي، وكان آخرها قصة كتب حوارها بالعامية، وكان الحوار طويلاً، فلما راجعها وجدها عملاً سخيفًا مضحكًا، فأبى أن يقدمها إلى الجمهور، وحرص منذ ذلك الحين على الكتابة بالفصحى(15). ويقول عبدالحميد جودة السحار: «إنني لست من أعداء العامية في الحوار، فقد جربت هذه التجربة في قصة «أم العروسة».. ولم أعاود بعدها كتابة الحوار بالعامية، لأنني أحسست أن العامية لا تحلق أبدًا(16). ولم يشفع للهجات المحلية ما تضفيه على الحوار من حيوية بسبب قرائن ألفاظها الحية في الاستعمال؛ حيث سقط بها ضعفها في التعبير، ومحدوديتها في البناء، مما جعل عبدالرحمن منيف يقول: «إن العامية بمقدار ما تستطيع أن تضفي نوعًا من الظلال والإضافات الصادقة للحوار، إلا أن حدودها وقدراتها على التوصيل أو على الرصد، أو على البناء في الأمور الأخرى ضعيفة»(17).

وفي مقابل هذا الضعف في قدرات العامية عن القيام برسالة الحوار، نجد أن الفصحى تقوم به بتمكن واقتدار معتمدة على تجارب بالغة الثراء، ممتدة في أعماق الماضي أكثر من خمسة عشر قرنًا، وعلى اتساع رقعة الوطن العربي، مما جعلها أقدر وأغنى في تنويع الدلالات وتعميقها من اللغة العامية المحدودة في مفرداتها، والمتصلة بالواقع والمُحَسّ، في حين تعجز عن المعاني العالية، والأفكار والخواطر والمشاعر الرقيقة(18). وعلى هذا فإن العامية قد توحي بتميز مضلل في معالجة المحسوسات، لكنها تسقط منذ أول وهلة عند تعرضها لأعماق النفس البشرية، وما يساورها من انفعالات، في حين تتفوق الفصحى بقدرتها «على التعبير عن الأفكار والمشاعر والانفعالات والتوغل في الكشف عن التضاريس، والعوالم النفسية الداخلية للإنسان»(19).

وقد استطاع نجيب محفوظ في قصصه إنطاق جميع شخوصه بلغة فنية فصيحة. ولم تمنعها هذه الفصاحة من أن تعبر عن أبناء الطبقات الشعبية، والمثقفين على السواء، بل أدار الكاتب الحوار بالفصحى على ألسنة المجرمين، وصانعي العاهات، ومدمني المخدرات، واللصوص، فكانت الفصحى مبينة لما يدور بينهم من همهمات وأحاديث، وتمكن الكاتب من خلال حوار هذه الشخصيات المتباينة، أن يكشف عن دخائل نفوسهم ومكنونات صدورهم. وكانت الفصحى خير معين للكاتب في تحقيق هذا الهدف. وكانت قدرته المبدعة على إدارة الحوار على مستوياته المختلفة، نابعة بالدرجة الأولى من تمكنه من لغته، حتى استطاع تطويعها لفنه القصصي، فحملت أفكاره في أدق تفصيلاتها، وكان يحدوه في ذلك كله إيمان عميق لا يتزعزع بأن العامية «مرض يعاني منه الشعب مثل الجهل والفقر، وسيتخلص منه حين يرتقي»(20). وأن الفصحى لا العامية هي اللغة القادرة على صنع الأدب.



ولم تقصر الفصحى عن القيام بدورها في المسلسلات الإذاعية حين يقوم بإعدادها إذاعيون متمكنون من فنهم ولغتهم، فقد قدم الإذاعي عبدالمنعم شميس مسلسلين إذاعيين: «السيف والقلم.. محمود سامي البارودي»، و«عذراء الفكر والقلم.. مي زيادة» ويقول عن هذه التجربة: «استخدمت الفصحى وحدها في كل المسامع الإذاعية، ولم أستخدم اللهجة العامية إطلاقًا. وخلال التجربتين أدركت أن الفصحى قادرة على أداء الأدوار العصرية في المسلسلات الإذاعية»(21).

ويزعم دعاة العامية في الحوار أن العامية أقدر في رسم النموذج البشري من طريق إجراء الحوار بلهجته المحلية، وهو زعم يرفضه واقع القصص المترجمة في جميع اللغات، فما قصرت أية لغة في رسم الشخصيات عند نقل الأعمال الأدبية إليها، على الرغم من أن بعض اللغات التي تتم الترجمة إليها ليس لها ما للعربية من تراث يكفل لها أداء المعاني العميقة والمتنوعة، ويؤيد هذا الرأي الروائي العربي حنا مينه حين يقول: «أنا لم أقرأ قصة غربية ناجحة بحوار عامي. ومع ذلك فما قصرت قصة غربية ناجحة معرّبة تعريبًا ناجحًا عن رسم النماذج البشرية رغم الحوار الفصيح الذي تدار به، ولو كان الأمر بعكس ذلك لما وجدنا هذا الإقبال الكبير على الروايات والقصص المعرّبة»(22).

إن إعطاء السمات المميزة للشخصيات يرجع إلى قدرات الأديب نفسه، فإذا كان متمكنًا من وسائله الفنية فإنه يستطيع رسم شخصياته سواء كانت شعبية أو غير شعبية، من طريق تقمصها والتعبير عنها بالحوار الدال عليها المعبّر عن هويتها، والملائم لها من الناحية العقلية والنفسية. وإذا أحس القارىء بأن الشخصية تفتقد الصدق فإن ذلك دليل على «انفلات سيطرة الكاتب عليه وإذ ذاك لا

يكون النقص في الحوار فقط، بل في المتحاورين أنفسهم لأنهم قُدِّموا تقديمًا سيئًا غير مبني على فهم واقعهم وبيئتهم وطبيعة حياتهم ودلالاتهم الاجتماعية»(23).

وهذا النقص الكامن في الأديب نفسه، وليس اللغة، يتضح في الروايات والقصص الناجحة التي كُتب حوارها بالفصحى، فإنها تفهم من قبل الجماهير على مستوى الوطن العربي، ويتفاعل معها القراء، ويعايشون الشخوص مدركين أدق الخلجات التي استطاع قلم الأديب تصويرها. لكنها عندما تُحوَّل إلى مسلسلات إذاعية أو تلفازية فإنها تُكتب بأسلوب آخر غير أسلوب الكاتب الأصلي مما يعرضها إلى الإخفاق، أو أن الكاتب الإذاعي يهرب من هذه المسؤولية، بسبب قدرته الأدبية المحدودة، فيعيد كتابتها بالعامية؛ بحجة عدم تقبل الجمهور للفصحى في العمل، في حين أن المشكلة ليست هي الجمهور، ولكنها الكاتب الإذاعي الذي قصرت به قدراته عن مجاراة الكاتب الأصلي للعمل الأدبي. فعندما «يتحول عمل قصصي لنجيب محفوظ مثلاً إلى عمل إذاعي، تُهمل لغة نجيب محفوظ إهمالاً تامًا. وتُكتب أحداث القصة بأسلوب كاتب آخر لا يرتبط بلغة نجيب محفوظ، ولكنه يرتبط بلغة الشارع السوقية في أغلب الأحوال»(24) وهكذا تحول قدرات الكاتب في رسم الشخصيات وإدارة الحوار بين العمل والنجاح، وفي الوقت نفسه تحول بين الجمهور وتذوق الأدب الراقي الذي يربي الحس الفني، ويسمو بالنظرة إلى الحياة من طريق عمق الدلالات اللغوية والأسلوبية.

العامية وقدرات التوصيل

يشكل النص الأدبي بلغته وأسلوبه حلقة وصل بين المبدع والمتلقي، فالأديب يمارس إبداعه من طريق استعماله للغة، وقدراتها التعبيرية. وتكون تجاربه الأسلوبية في حدود ما تسمح به تلك اللغة المشتركة بينه وبين قرائه؛ ليتم التواصل، ويستطيع معها القارئ إدراك معانيه ودقائق الأحاسيس والمشاعر التي أراد الأديب بثها في نصه، وعند تجاوز الكاتب لحدود هذه اللغة المشتركة فإنه يفقد الاتصال، ويصبح نصه منغلقًا على قرائه، ويفقد بذلك مقروئيته التي تعطيه إجازة الدخول إلى عالم الفن الأدبي، ومثلما تخفق العاميات بمحدوديتها في توصيل مدلولات الحوار إلى القارئ في البلد الواحد، كذلك نجدها تقف حجر عثرة أمام التوصيل المكاني في مداه الأوسع؛ حيث تنغلق جمل الحوار على أبناء الوطن العربي، ذي اللهجات المحلية المتعددة التي تتباعد في نظامها النحوي والصوتي، وإن كانت في الأصل تحويرًا للفصحى، مما يجعل استعمال إحداها في الحوار عقبة أمام القارئ العربي في الإقليم الآخر، وبهذا تعجز العامية كثيرًا عن مد الجسور بين الكاتب وقرائه الذين لا يعيشون في بيئته نفسها. لكن القائلين بإقحام اللهجات المحلية في الحوار يتناسون ضعف هذه القدرات في التوصيل، ويتعلقون بدعوى الإحساس والصدق، وما إلى ذلك من أوهام تقوم مقام اللغة المشتركة ذات المفاهيم المحددة، والدلالات الدقيقة، فنجد أن الدكتور عبد العظيم أنيس يؤيد أخذ كتاب القصة باللهجات في حوارهم، وإن فقدت قدرتها على التواصل الدقيق بين الأديب وقارئه حيث قال: «ليس المهم أن يفهم القارئ الحوار، بل أن يحس بصدقه بكونه يحمل طابع البيئة»(25).

ويغالي دعاة الإحساس بالمعنى لا فهمه، حين يقبلون الحوار بلغة غير العربية، فيشيد أحدهم بحوار كاتب طغت على جمل حواره الألفاظ النوبية حتى استحال فهمه، ليقول «.. وإن كنا لم نفهم المعنى تحديدًا فقد أحسسنا به»(26) وعلى الرغم من أن أصحاب هذا الاتجاه يشيدون بوجود هذه الألفاظ المتباينة الأصول في النص، إلا أنهم لا يستطيعون المكابرة وقبولها دون فهم لمعناها، فتسقط بهذا دعوى الإحساس، إذ نجدهم يعترفون بانغلاق ألفاظ اللهجات المحلية بعد أن أشاد ذلك الكاتب بوجودها في إحدى القصص الخليجية(27).

ولأدباء العربية شهادات عن القدرات التوصيلية الضعيفة للعاميات، يحسن ذكرها في هذا المجال، فمحمود تيمور يذكر تجربته عند سماعه بعض اللهجات العربية وقراءة بعض نصوصها فيقول: «لقد أتيح لي أن أستمع إلى بعض الإذاعات العربية، وأن يقع في يدي بعض المكتوب باللهجات العامية لأدباء عرب في مختلف بلاد العروبة، ففاتني أن أعرف من الألفاظ أو أتذوق من المعاني ما يعين على متابعة السياق وفهم المراد»(28).

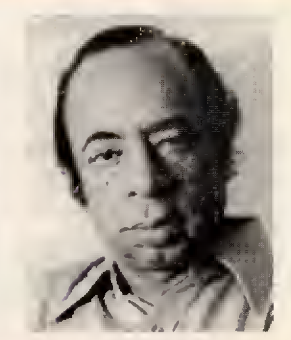
ويرى عبدالرحمن منيف أن اللهجة العراقية فيها سمو وقدرة على التعبير تنفرد بها ـ على حد زعمه ـ حين يقول: «.. وأعتقد أنه من الممكن أن تكون اللهجة العراقية من أكثر اللهجات كثافة لأن فيها ظلالاً وخصوبة قلما نجدها في لهجات أخرى»(29) لكنه يعترف بصعوبتها، وإن رأى أنه يمكن الوصول إلى قراءة لها والتعامل معها. لكن هذا الرأي لا يقبله من لم يعتد سماعها ومعايشتها، إذ نجد الكثير ممن يخالفه الرأي؛ فعبدالحميد جودة السحار يذكر تجربته مع هذه اللهجة فيقول: «.. وقد قاسيت هذه التجربة عندما قرأت بعض الأقاصيص العراقية المكتوبة باللهجة الدارجة المحلية، ولم أفهم منها شيئًا»(30).

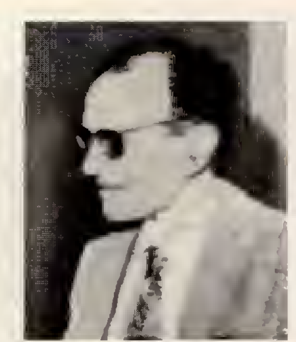
وهذا إحسان عبد القدوس وهو من الداعين إلى كتابة الحوار بالعامية يقر بعجزه عن فهم ما كُتب بها حين يقول: لقد قرأت أثناء كتابتي للقصة ـ يعني قصته «أنا حرة» ـ قصة عراقية باللغة العامية، ولم أفهم منها شيئًا.. وخيل إليّ أن قراء العراق لن يفهموا من قصتي شيئًا إذا كتبت حوارها باللغة المصرية العامية!! واقتنعت بأن الحل الوحيد هو أن يُكتب الحوار دائمًا بالفصحى...»(31).

وانغلاق فهم أبناء الوطن العربي للحوار المكتوب بالعاميات ينطبق على جميع الفنون من دون استثناء، حتى المسرح الفكاهي على تميزه بالحيوية؛ ومعايشة النظارة فيه للممثلين مباشرة، فإنه يخفق في جعل الجمهور يتابع الحوار العامي، أو يتفاعل معه، وقد لاحظ الإذاعي عبدالمنعم شميس ذلك في الجزائر بعد استقلالها حيث يقول: «عندما سافرت بعض الفرق المسرحية المصرية لتقديم عروضها في تلك البلاد.. لم يفهم المشاهدون هذه المسرحيات الكوميدية..» وكانوا يتساءلون عن مسرح يوسف وهبي، فيقول: «كانوا يحبون مسرحيات يوسف وهبي ويفهمونها لأن

اللغة الفصحى أقدر وأغنى في تنويع الدلالات وتعميقها من اللغة العامية المحدودة في مفرداتها، المتصلة بالواقع والمُحَسّ

الفصحى
في الحوار القصصي


د. رشاد رشدي


عبد المنعم شميس


عبد الحميد جودة السحار

لغتها قريبة من العربية الفصحى»(32).

وكما تخفق العامية في التوصيل المكاني بين أجزاء الوطن العربي فإنها أيضًا تقف بالنص المكتوب عند زمان كتابته، حيث ينغلق على الأجيال القادمة التي تتغير لهجاتها وتتبدل دلالات الألفاظ فيها. يقول محمود تيمور: «إننا لا نفهم أو نتذوق الكثير مما خلفته العامية من تراثها الأدبي...» ويمثل بابن دانيال، الطبيب الأديب، صاحب «طيف الخيال» الذي كتب مشاهد حوارية، فيها خليط من العامية والفصحى في القرن السابع الهجري، حيث يقول عنه: «وفي مسرحياته تلك أدب وفن، ولكن حجبها عنا تباعد الزمن وتطور اللغة العامية واندثار ما فيها من دلالات موقوتة للألفاظ، ومفاهيم خاصة للعبارات، بما تضمنته من نكات وإشارات»(33). ولا يكتفي بهذه الشهادة على نصوص مضى على كتابتها أكثر من سبعة قرون، بل يذكر أن الأعمال العامية القريبة قد انغلقت على أبناء المصر الواحد، ولم يبعد بهم الزمان أكثر من قرن، حيث يقول: «بل حسبي أن أصرح بأن ما كتب في القرن الماضي لا أبعد بالعامية، من نحو ما تركه يعقوب صنوع، وعثمان جلال، وعبد الله النديم لا يتيسر علينا أن نجتلي معانيه، وأن نتأثر بها كما اجتلاها وتأثر بها من شهدوا ذلك القرن»(34). ويخلص من تجربته إلى رأي في كتابة القصة قائلاً: «متى أريد أن تدخل الأدب المعترف به من أوسع أبوابه، وأن تأخذ مكانها بين ألوان الإنتاج الفني الباقي فلا بد أن تستكمل عنصرًا جوهريًا له المقام الأول بين عناصر الثقافة، ذلك هو التعبير بالفصحى»(35).

ويشهد العارفون بالفن الغنائي أن منيرة المهدية قد حازت «شهرة أكثر من أم كلثوم في عصرها ثم توارت أغانيها في ستائر النسيان بسبب اللغة على ما فيها من جمال الصوت وجمال الألحان.. ومن المؤكد أن الذي سيبقى من عبدالوهاب وأم كلثوم هو الغناء بالشعر الفصيح، عندما تتطور اللهجة العامية وتصبح لهجتها اليوم غير مفهومة بعد جيل أو جيلين»(36).

حاجتنا إلى لغة واحدة

وهكذا يتبين عجز العامية عن التوصيل على المستوى الزماني والمكاني، وهو ما يسقطها من أن تكون لغة فن أدبي يعتدّ به، ويبقى على مر الأيام. وتتجه دول العالم المتقدمة عامة إلى ضبط لغاتها نطقًا وكتابة فتنقيها من لهجاتها المحلية؛ إمعانًا في جعلها قياسية لا تتذبذب دلالاتها، فتضمن لها قاموسًا واحدًا وقواعد واحدة لتكون لغات مشتركة بين جميع الناطقين بها، يتواصلون بها في جميع أنحاء المعمورة. فأصبحت مؤلفات الفرنسيين يقرؤها كل ناطق بالفرنسية، فلا يغيب عنه فيها شيء، لخلوها من غرائب اللهجات المحلية. كما أصبحت مسرحيات «برنارد شو» عالمية لأن لها لغة واحدة مشتركة عند كل الناطقين بالإنجليزية لا تكدرها لهجات اسكتلندية، أو إيرلندية تحد من انتشارها. وهذه الحقيقة يدركها كبار الكتاب العرب الذين يعون رسالة الأدب وقيمه الجمالية الحقيقية، مع إدراكهم لحقيقة عالمهم المعاصر الحفي بالاتصالات ووسائل تنميطها، فهذا نجيب محفوظ يرى أن العامية «حركة رجعية والعربية حركة تقدمية. واللغة العامية انحصار وتضييق وانطواء على الذات لا يناسب العصر الحديث الذي ينزع للتوسع والتكتل والانتشار الإنساني»(37).

ولو تناسى الأديب دوره نحو أمته ولغته التي تعبر عن هويته، وأهمية المحافظة عليها من الاندثار، فإنه لن يغفل عن هدف يطمح له، وهو الانتشار، فإذا كان مطلب الأديب أن يسير أدبه في أكبر مساحة ممكنة من الأرض، وأن يقرأ نتاجه أكبر عدد ممكن من القراء، فإنه لن يستطيع تحقيق هذا الهدف المشروع من طريق اللهجات العامية، التي لا تستطيع حمل أدبه إلى قرائه على نطاق الدولة الواحدة، فكيف بها على نطاق الوطن العربي!

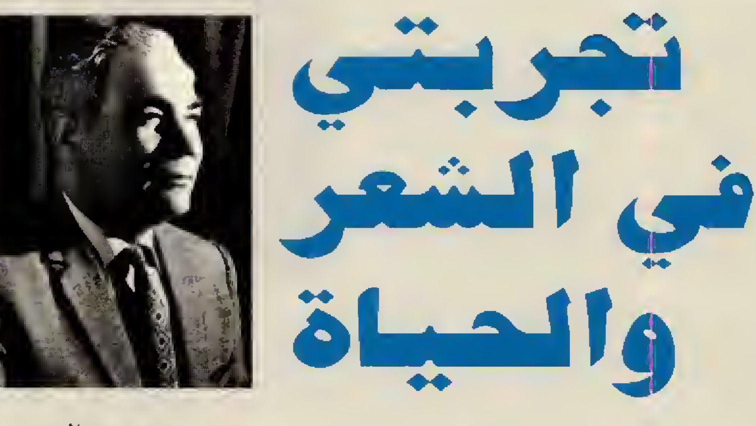
على الأديب الذي يرنو أن يكون له قراء في الخليج العربي، والقاهرة والرباط وغيرها من مدن وطننا العربي أن يكتب شعره ونثره، سرده وحواره بالفصحى، التي تستطيع وحدها أن تحمل نتاجه الأدبي إلى كل ناطق بالعربية في العالم، وفي الوقت نفسه تستطيع نقله للأجيال القادمة، كي يأخذ مكانه بين ألوان الإنتاج الباقي عبر مسيرة أدب اللغة العربية على مر الأزمان والعصور.

الهوامش:

1. المعجم الوسيط، مادة: حور.
2-4. د. نفوسة زكريا، الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص124، 387، 382.
5. د. عبد الرحمن منيف، الكاتب والمنفى، ص142.
6. فن الكاتب المسرحي، روجر م. بسفيلد (الأبن)، ترجمة وتقديم دريني خشبة، ص219.
7. د. رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، ط5، المكتب المصري الحديث، ص114.
8. صحيفة الرياض، عدد 4/ 2/ 14717هـ.
9-11. الكاتب وعالمه، تشارلس مورجان، ترجمة د. شكري عياد، 1964م، ص270، 280، 283.
12. فن الكاتب المسرحي، ص243.
13. لغة الحوار الروائي، فتوح أحمد. مجلة فصول، ع2، م2، 1982م، ص87.
14-15. الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص399، 406.
16. القصة من خلال تجاربي الذاتية، عبد الحميد جودة السحار، ص21.
17. الكاتب والمنفى، ص142.
18. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص625.
19-20. بناء الرواية، د. عبد الفتاح عثمان، ص237، 248.
21. لغة الإذاعة، عبد المنعم شميس، ص114.
22. قضية الحوار في الرواية العربية، صحيفة الرياض، 4/2/1417هـ.
23. حنا مينه، السابق.
24. لغة الإذاعة، ص116.
25. صحيفة الرياض، عدد 4/ 2/ 14717هـ.
26-27. فن معايشة القصة القصيرة، محمد محمود عبد الرازق، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995م: ص137، 147.
28. القصة في الأدب العربي، محمود تيمور، ص27.
29. الكاتب والمنفى، ص142.
30. القصة من خلال تجاربي الذاتية، ص21.
31. إحسان عبد القدوس، مقدمة رواية «أنا حرة».
32. لغة الإذاعة، ص40.
33-35. القصة في الأدب العربي، ص28، 28، 30.
36. لغة الإذاعة، ص53.
37. عن: الفن القصصي بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ، ص252.

تجربتي في الشعر والحياة

1



د. يوسف عزالدين

أحسن الدكتور زيد بن عبدالمحسن الحسين الظن بي وبالقارئ عندما طلب - أطال الله عمره - تجربتي في الأدب، لأن القارئ المعاصر أخذته مشاغل الحياة عن الدراسة العميقة والتتبع المستمر، فابتعد من القراءة الجادة، وانغمس في السطحية الفكرية والقراءة السهلة التي لا يكد فيها الذهن، ولا يجهد بها العقل في الفهم والمتعة الذهنية. أنا أكتب في هدوء وصبر وأناة بعيدًا من الأضواء البراقة التي تسلطها وسائل الإعلام على أصحاب النفوذ أو على من يملك جماعة تسنده أو ثلة يسير في هدي فكرها، أو ناد يحتمي بقوته، ليُصفَّق له وتُدَقُّ الطبول لرفع اسمه وتمجيد ذكره وإبراز أعماله.

وأنا مستقل الفكر، حرّ الرأي، ما انضويت إلى خيمة التجمعات، ولا رددت ما يريده القادة. صافي النفس من الشوائب مرهف الوجدان، أحسُّ بالنبأة وأشعر بالهمسة في خلجات المجتمع ومشاعر الناس الذين أعيش معهم، فهل سيقرأ المثقف المعاصر ما أكتب دون أن يكون له رأي سابق؟!

البداية مع كتاب الله

فتحت عيني على القرآن الكريم أحفظه مع الأطفال، وكان الحفظ مع عصا المؤدب وإن لم تصبني في أثناء الحفظ، وكنت أقرأ ما يقع في يدي من الكتب المنتشرة في السوق الذي كان فقيرًا، لأن البلدة خالية تمامًا من الأدباء أو الشعراء، وما فيها مكتبة عامة واحدة غير مكتبة لبيع ما تحتاج إليه المدرسة الابتدائية من أوراق ودفاتر وأقلام، وبعض الكتب الشعبية مثل سيرة عنترة بن شداد والمياسة والمقداد وغيرها.

كنت أحس بأني أريد أن أقول شيئًا، وأن في داخلي لحنًا يهتف بي أن أعبر عنه في حركة وجدانية تعتمل في الداخل لا قدرة لي على رسمها بالحروف أو تصويرها بالكلمات التي عندي.

وكنت إذا خلوت إلى نفسي أو سرت في الشارع منفردًا أترنم بأصوات ليس لها معنى، ولكنْ فيها وزن وموسيقى، فأرفّه عن نفسي بهذه الموسيقى وأتمتع بالأنغام المشوشة.

وفي المدرسة الابتدائية كنت أسمع الطلاب في الصفوف المتقدمة يقرؤون القصائد في الاجتماعات العامة فأحفظها عند سماعي لها. وكان يعمق هذا الشعور ما أسمع من والدي وهو يردد بعض الشعر، وما كانت تردده أمي من أغاني المهد لينام أطفالها؛ فكان الشعر يرهف حسي ويرقّق عواطفي ويُطرب وجداني.

التجربة الأولى

في الدراسة المتوسطة أحسست بأن عندي شيئًا أريد أن أقوله، ومررت بالعَلَم يرفرف فوق السارية، فنظمت قصيدة أولها «إيه»، ولما عرضتها على مدرس اللغة العربية قابلني بجفاء، لأنني قلت في أول القصيدة: إيه.. وعنّفني، فانكمش الشعر ومات الحس الوجداني.. ومن حسن الحظ أن جاءنا مدرس من فلسطين يسمى «أبو نجوى»، وكان يقرأ لنا من شعره الذي ينشره في مجلة «الحاصد» فنظمت عدة أبيات منها:

إليك يا أبا نجوى
فؤادًا كله شكوى
لقد حطمني الدهر
وآذت نفسي البلوى

فاحتفى به وشجعني وأخذ يقوّم لي شعري، مما أعاد الثقة والاطمئنان إلى روحي.

الدواوين الشعرية والاطلاع

وفي دار المعلمين الابتدائية وجدت مكتبة كبيرة فيها من الدواوين ما لم أره أو أسمع به، أخرجتني من عالمي المحدود إلى عالم رحيب، وأخذت ألتهم ما أقدرُ عليه من هذه الدواوين.. وبينا أقلب مجلة من المجلات قرأت قصيدة أحسست بأنها تعبّر عما يجول في ذهني ويدور في قلبي، وسرعان ما قلدتها معنى وقافية، وأخذت أقلد القصائد التي تعجبني، ومنها قصيدة إسماعيل صبري:

يا لواءَ الحسنِ أحزابُ الهوى
أيقظوا الفتنةَ في ظل اللواء

بين شوقي والعقاد

رحم الله العقاد، فقد جعلني أكره شوقي ولا أطيق سماع شعره بعد أن قرأت «الديوان» في المكتبة، وكنت أردد أقواله أمام الطلاب، وفي يوم من الأيام طلبت دفتر محاضرات أحد الطلاب لأكمل ما فاتني منها، وقلبت الدفتر فوجدت في آخره قصيدة هزتني وأطربتني فنقلتها على الفور وسألت زميلي عن الشاعر

فقال لي: إنها لشوقي، لم أصدقه وعدت إلى الشوقيات فوجدت القصيدة ومطلعها:

شيَّعتُ أحلامي بطرف باكِ
ولَمَمْتُ من طُرُقِ الملاحِ شباكي

فكانت بداية الإعجاب به وحفظ شعره ومسرحيته «مجنون ليلى» التي كنت شديد الإعجاب بها، حتى نظمت مسرحية «وفاء الحسان» متأثرًا بها.

تركيز الثقة

وكان مدرس اللغة العربية عبدالرزاق محيي الدين من شعراء العراق، وذات يوم أعطانا موضوعًا في درس «الإنشاء»، فكتبت الموضوع شعرًا، فشجعني كثيرًا وكتب لي: «انظم قليلاً ونقّح كثيرًا». وكان معنا في القسم الداخلي شاب عربي كامل الثقافة، وكان شاعرًا متدفق القريحة يدرس الحقوق، فكان يقترح علي بعض الكلمات، ويقوّم الوزن، وكان يحضر الحفلات التي ألقي فيها شعري وأراه يتابعني، وراودتني فكرة النشر بعد أن أصبح لي من يقوّم شعري، ونشرت بعض الشعر الذي نقحه أستاذي وأجازه صديقي، وأنا طالب بدار المعلمين الابتدائية.

بين الرسم والشعر

كنت أرسم بعض الأحادين لوحات طبيعية أو أزهار الربيع أو المروج الخُضْر للتعبير عن حسي المرهف، وفي مناسبة عامة نظمت قصيدة وأرسلتها بالبريد إلى الإذاعة العراقية، وكان لي قريب يعمل كاتب طابعة، فرجوته أن يسأل عن مصير القصيدة التي أرسلتها بالبريد، فصرخ في وجهي باستغراب قائلاً: من أنت حتى تلقي من الإذاعة! وفيها الأساتذة الكبار والشعراء الفحول، ثم نظر إلي بصغار، فأحسست بأن الأرض تميد بي وبدأ العرق يتصبب من جسمي خجلاً، والتصقت بالكرسي لا أنبس بحرف واحد أو أعلق على تصرفه بكلمة.

ولم تمض دقائق حتى جاءته أوراق جديدة ليطبعها، وبينما كان يقلب هذه الأوراق قام فجأة من مكانه وكأنه لسع من عرْبد وهو يقول بلا شعور: ها.. ها.. قصيدتُكَ بُكْرَة.. ولم يجلس حتى طلب لي شايًا تكريمًا، وتجلت الفرحة على أسارير وجهه، وكان يخبر كل داخل عليه بأني قريبه، ويقول بزهو ومباهاة غريبة: هذا فلان قريبي وغدا سوف يقرأ قصيدة من الإذاعة.

إن حالته وتصرفه رسبت في اللاشعور، وأحسست بأن من يقرأ من الإذاعة له أهمية كبيرة. تجسَّمت في معاملته لي، وبالفعل كان للقصيدة أثرها في دار المعلمين.

العاصمة هي مطمح كل إنسان في «بعقوبة»، فالخيّاط فيها أتقنُ عملاً وأجمل تفصيلاً، والحلاق خيرٌ من حلاقها، وبضاعتها خير مما في سوقها، لذلك كان أول عمل قمت به بعد أن تسلمت المكافأة أن اخترت خياطًا معروفًا وفصّلت لنفسي بدلة جديدة من قماش إنجليزي، وأصبحت معروفًا عند المدرسين والطلاب، وبرز اسمي في «بعقوبة» التي لم يسمع صوت واحد من بنيها يتلو شيئًا من دار الإذاعة.

وفاء الحسان

تخرجت معلمًا وعُيِّنت في قرية بعيدة من أسرتي، وكنت أشارك وأنا في القرية في الإذاعة، فاهتزت الناحية «البندر» التي تتبعها القرية، لأن المقاهي كانت الوحيدة التي فيها مذياع، ولم يكن بالطبع واحد منها في بيوت القرية، فعُرفتُ من مدير الناحية ومسؤول الشرطة وكبار المسؤولين فيها، وقرَّبني هؤلاء منهم وفاخروا بوجودي.


بلند الحيدري


إسماعيل صبري

كان الوقت في القرية طويلاً، وكنت أتسلى بقراءة ما في مكتبة المدرسة من كتب لم تمر عليها أنمل قارئ، وحدثت حادثة عاطفية في القرية سجلت أثرها شعرًا متأثرًا بشوقي، فكانت مسرحية شعرية هي مسرحية «وفاء الحسان» نظمت فيها مأساة المرأة في الريف، ووزعت بعض نسخها المكتوبة على الآلة الطابعة لمن أتوسم فيه حب الشعر، وكان منهم صديق ضابط من الموصل ينظم الشعر.. رجوته إبداء رأيه فيها، ولما طالبته في زيارة أخرى بإعادتها ادّعى ضياعها ولم يلحظ أني رأيتها في حقيبته وهو يقلب أوراقه، فنشرت أجزاء منها في جريدة العراق، لأن صديقي الشاعر نبهني إلى أهميتها.

ولما نُقلت إلى قرية «الهويدر» وهي من قرى بعقوبة كنت أشارك في احتفالات بعقوبة العامة، وساعَدَت الإذاعة على شهرتي فقد كانت تتصل بي بهاتف البريد وتطلب مني المشاركة، وكان الموزع يمر بالمقاهي يسأل عني ويقول: الإذاعة تريده، وكان النشر في بعض الصحف والإذاعة سببًا في معرفة الناس لي وشهرتي.

مأساة أسرة

لي صديق زوج مديرة مدرسة، وله طفلة جميلة تلفها براءة الطفولة، وتشارك في الحفلات المدرسية.. كانت جريئة على صغر سنها.. أخطأ الطبيب في علاجها فماتت، فهز ثُكل الوالدين لوحيدتهما الأصدقاءَ فرثيتها بقصيدة أعزي فيها والديها، ونشرتها في جريدة العراق. فجاءني والدها وسلمني مظروفًا ولما فتحته وجدت فيه رسالة شكر ومبلغًا من المال. شكرت الرجل وأعدت المبلغ واحتفظت بالرسالة وطييت خاطره صديقًا ومفجوعًا.

صلاتي الواسعة

هذه الشهرة المحدودة بالبلدة خلقت لي صلات بالمحافظ وكبار المسؤولين، وزاد عمقها ما أنشره في الجرائد من تعليقات وأخبار.. وأحسستُ وأنا معلم بالنظرة الاجتماعية للمعلم التي لا تحترم إلا القوة والسلطة، ولا تضع المعلم، الشمعة التي تحترق، في مكانتها الاجتماعية اللائقة بجهده، فتبرمت وتألمت، وأردت أن أُنقَل مَن هذا العمل.

أمين مكتبة

عُيِّنت مشرفًا على المكتبة الجديدة، ووضعت أول لبنة فيها، وقد أتاحت لي القراءة

والاطلاع على المجلات المصرية كالرسالة والثقافة.. كانت حياة خصبة رتعتُ فيها بين الكتب والدواوين، وشجعت الأهالي على ارتياد المكتبة، وكنت أحملُ بنفسي بعض الكتب وأعطيها للقارئ وأرجوه التوقيع على ورقة الاستعارة التي معي.. وعُرفت المكتبة وأقبل بعض القُرّاء عليها، ولكنَ دوام الحال من المحال، فقد حان وقت ترقيتي المالية فأعادتني المديرية إلى عملي معلمًا، لأن المكتبة صغيرة وراتبي سيكون كبيرًا، فكانت صدمة نفسية لي لأني عدت معلمًا، ولأن الوزارة أغلقت المكتبة وعينت أحد موظفيها في بغداد الذي لا يأتي إلا في أواخر الشهر لتسلم الراتب من بعقوبة.

وواتاني الفرج بإجازة دراسية بنصف راتب إلى مصر البلد الذي عشقته، لأنه موئل الشعر والأدب، ففيه طه حسين والزيات والعقاد والمازني وشكري، وآثرت الإسكندرية لوجود جماعة من العراقيين من «بعقوبة» فيها، ولم أكن أفكر بشيء سوى إكمال الدراسة والتخلص من التعليم الابتدائي، وبذلك بعدت من مركز الشهرة «القاهرة»، كما بعدت من بغداد وأنا في بعقوبة، إذ لم يدر في خَلَدي أن أكون مشهورًا، ولم أفكر في يوم من الأيام أن أكون من رُوّاد الأدب والفكر، أو أكون أستاذًا في الجامعة، لأن حياتي كانت منصبة على التخلص من التعليم الابتدائي.

في ضمير الزمن

لمصر فضل عليّ لا أنساه فقد شعرت فيها بثقتي بنفسي من الحفاوة التي حباني بها أساتذتي وزملائي وشجعتني على الإبداع الشعري.. وفي أول حفل حضرته في الكلية لتكريم الطلاب الجدد كانت مصر ما تزال تحت السيطرة الأجنبية، وكانت كل قصائد الطلاب في الغزل ولكني هاجمت الاستعمار بشعري وتغزلت بمصر فقلت:

مِن لحظِ عينك للقلوب إسارُ
ولأسرِ عينِك ناضَلَ الأحرارُ

ودعوت إلى النضال حتى تتحرر مصر، ثم العودة إلى الغزل فقلت:

ثم ارجعوا بعد التحرر للهوى
وليجرِ من دمع الجفا أنهارُ

وكان يحضر الحفل الشاعر الكبير النشار فقلت:

هذا هو الرأيُ الصَّواب رأيته
ماذا يقولُ الشاعر النشَّارُ؟

وكانت مفاجأة له اهتز لها طربًا، فأنشد قصيدة وطنية عن «باب الحديد»، واسترعت قصيدتي انتباه الأساتذة والطلاب.

التجديد

وفي الإسكندرية كانت مرحلة غرام الشباب نظمت فيها قصائد غزل، من أشهرها «شهر»، ومطلعها:

شهر وما أحلاه من شهر
كأنه البسمة في الثغر

وأحسست بأن الضرورة النفسية تفرض علي الخروج من سيطرة البحور، وبلا شعور وكنت أجلس على البحر، وكان الرعد يزمجر نظمت قصيدة منها:

أرأيت الرعود تزأر في الجو
فتربَدُّ منها السماء

وأحسست بأني لا بد أن أخرج على البحر الخفيف.. ثم نظمت القطعة الثانية:

أرأيت النسيم رهوا عليلاً
يتغنّى على جبين الغروب

فكانت القصيدة جديدة، وكانت محاولة أخرى للتجديد، وفي أواخر قصيدة «رعشات الذهول» التي أصف فيها زميلاً مدمنًا:

صَخَبِ الليل خمورٌ وغنَا
تبعث النشوة في أعطافنا

قلت في آخرها:

فغدا الليل غريقًا من همومي
يطلب النجدة من ضوء النجوم
عنك غاب القمر
في الظلام استتر
فتساوينا
وتآخينا
فالحبيب نفر

محمد خلف الله أحمد

ولا أنسى تشجيع أستاذي محمد خلف الله أحمد التشجيع الذي فاق كل ما أتصوره، فقد أراد اختيار قصيدة لمناسبة شعرية، وحضرنا نحن الطلاب إلى القسم ومع كل طالب قصيدة، وكان - يرحمه الله - يسمع من كل واحد أبياتًا ثم يكتفي، وجاء دوري فقرأت «الوفاء» وهي قصة الحب العذري عند الشباب فقلت:

لا تسألَنّي عن جمال السكونْ
وعن ربيع الأمَل الحالم
قد أنعشتني في ظلال الفتون
نفحةُ طيب من شَذَى هائم
قد صافح العطر رفيف الغصون
فاحتفلت بالموسم الباسم
وهلَّل الشاطئ في غبطة
يرتقب الشمس ارتقاب الحبيب

ووقفت، فقال: استمر؛ حتى انتهيت من القصيدة، ثم قال: قوموا؛ فقمنا جميعًا فقال لي: اجلس أنت لأنك سوف تقرأ قصيدتك.

كانت أجمل مفاجأة لي وأحلاها على نفسي، لأن أستاذي اختارني من بين كل الطلاب وشهد لي بأني شاعر وهو شاعر مرهف الحس رقيق العاطفة، فما أغلاها من شهادة من أستاذ فاضل وشاعر كبير؟!

مفاجأة أخرى

كان معي الشاعر الكبير كمال نشأت وهو شاعر ثبت قدمه في الكلية، وأخذ ينشر في الجرائد فقلت له: أرغب في نشر شيء من شعري، فاقترح عليّ إرسال قصيدة من شعري

لا أعرف كيف أنظم، ولكن القلم يسير ويسير. وهذا هو الفرق بين الشعر المصطنع المتكلّف، وتدفق القريحة الوقادة.. لأن شعر الفطرة يتدفق من دون إرادة الإنسان

تجربتي في الشعر والحياة

إلى الشاعر محمد الأسمر الذي يشرف على الصفحة الأدبية في جريدة الزمان وقال: إنه سيختار لك عدة أبيات في كل مرة.

أرسلت قصيدة «شهر» إلى جريدة الزمان، وذات صباح قابلني الدكتور حسن عون، وقال لي: مبروك يا يوسف.. دهشت، فقلت: على إيه يا أستاذي؟!

قال: قرأت قصيدتك في الزمان، وأثنى عليها، فصارت الفرحة مضاعفة لنشر القصيدة وقراءة الأستاذ لها، وزادت ثقتي بنفسي عندما حفظها الطلاب.

تشجيع لا بد من ذكره

زار الكلية طلاب جامعة القاهرة وأقيم لهم حفل تكريم، وألقى أستاذي الدكتور محمد محمد حسين - رحمه الله - كلمة رحب فيها بهم، وبعد الانتهاء من كلمته قال: يرحب بكم نيابة عن الطلاب الطالب يوسف عزالدين.. كانت مفاجأة اضطربت لها فلست من الخطباء المرتجلين، وفي سني الكلية الأولى ولا يمكن الرفض.. بينما أتقدم نحو المنبر خطرت لي قصيدة: شهر ولما وصلت المنبر قلت: لا يمكن أن أقول زيادة على قول أستاذي الذي أجاد بيانًا وعلمًا، ولكن هل تريدون أن أقرأ لكم قصيدة، سمعت صوتًا من بعيد ينادي «شهر».

ولما قلت: شهر وما أحلاه من شهر

إذا بالأصوات تقول: كأنه البسمة في الثغر

ولما قلت: قد مر بين الحبّ والطهر

وإذا بالأصوات تقول: مثل الشذا الفوّاح في الزهر

سعدت ولكن المقاطعة أضاعت عليّ نشوة الإلقاء فقلت لهم: هل يمكن أن أقرأ ليستمع الضيوف، ورجوتهم عدم المقاطعة. وبالفعل ألقيت القصيدة كلها، وسعدت بما حباني به الزملاء من تقدير وتكريم ومقاطعة.

في ضمير الزمن

حصلت على الليسانس بمرتبة الشرف، وبدأت أحضر لرسالة الماجستير، وكان علي أن أعمل كي أعيش، فكنت أدَرّس صباحًا وأعمل في الماجستير مساء، وليس هناك وقت للسير في التيارات الشعرية والاتصال بالأدباء والشعراء.

وكنت نويت ترك الشعر بعد أن سجلت للماجستير، فجمعت ما عندي من شعر وحرقته، وعندما كنت أرى الورق يحترق كنت أشعر بالأسى على حرق هذه التجارب الجميلة فأخذت أرثيها:

احترقي والتهبي مثل الفؤاد المضطربْ
هذي عُصارات الهوى المذبوح فيك تنتحبْ
وذا دمي المسفوحُ من وجدي الجريح يلتهبْ
تنوح ذكرانا على الشهر الجميل المنتهب
فاحترقي والتهبي

ومن المصادفات المدهشة أن أحد محبي شعري كان قد جمع قصائدي، ولما سمع بما صنعت لامني لومًا شديدًا، ثم جاءني بالمجموعة مرتبةً، فأخذتها إلى المطبعة وتم طبع «في ضمير الزمن» وهو جزء مما نظمته في هذه المرحلة، وودعت الشعر لأنصرف إلى دراسة الماجستير وتحضير موادها.. ولكن هل فارقني الشعر؟ كنت أُعدّ نفسي لدراسة الأدب الأندلسي وتوغلت في شعره وأثر جمال الطبيعة فيه، وكان يثيرني بما فيه من جمال في العبارة وصدق في العاطفة، ثم غيرت الموضوع؛ لكن حب الأدب الأندلسي لازمني، ولاسيما شعر ابن زيدون، حتى الآن.

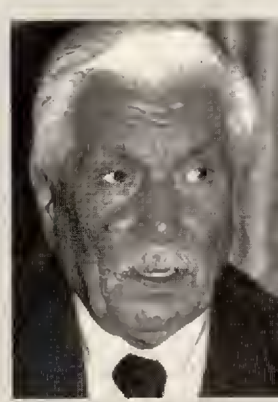
كان الموضوع الجديد عن «الشعر العربي في العراق في القرن التاسع عشر»، ولما استغرقت في المخطوطات وفي تراب المكتبات القديمة، حسبت أني نسيت الشعر، ولكن لم يتركني، فأنا أنفعل سريعًا بالحوادث، وأتأثر بما في المحيط من مشكلات، وكنت أرى مصر ترسف في قيود الاستعمار عندما أمر بالإسماعيلية ومدن القنال، وفي سفرة إلى بغداد من طريق فلسطين، وبلا شعور والقطار يهدر، وجدت نفسي أكتب قصيدة «أيها النيل»، وكان حدسي بمحله، فقد هاجم الفدائيون قوات الاحتلال، ومنها:

يانيلُ يكفيك الخضوعْ
وهَجعةُ الذلّ المريعْ
زَمْجِرْ فما يُجدي الركوعْ
أمامَ أقدامِ الصنمْ

ومنها:

انثر دمَ المستعمرين على الحديدِ
واتركْ معسكرهم لِعَصْفِ السّافياتِ
واسقِ القنالْ
منهم وأشداقَ التلال
واقذف بأشلاءِ الجنود
عبرَ الحدود

ولإحساسي بالمعاناة الروحية من الاستعمار تدفّقت القصيدة عاصفة عارمة، وكأني ارتفعت عن الأرض فما أسمع هدير القطار ولا صخب الراكبين، أو أحس بالمحطات التي يمر بها.. إنه عالم غريب عندما تتدفق القريحة، وتنثال العبارات، ويثور الشعور وينبع الإحساس بكل عنف وقوة لا قدرة لي على رده أو تغيير مساره لحلاوة التدفق الشعري، ومعاناة الإلهام الفني، وحرارة التجربة، وقسوة المحيط.. كنت أكتب السطور بلا وعي. إنها



عبد الوهاب البياتي



جارسيا لوركا

رعشة وجدانية لا يقدر العقل على السيطرة الكاملة عليها.. لا أعرف كيف أنظم ولكن القلم يسير ويسير. وهذا هو الفرق بين الشعر المصطنع المتكلّف، وتدفق القريحة الوقادة.. لأن شعر الفطرة يتدفق من دون إرادة الإنسان، إنما هو الإحساس الغريب الحار الملتهب الذي يسري في الوجدان، وسَوْرَة العاطفة، ورهافة الإحساس التي تسيطر على الشاعر عند النظم.. ولا يحس بهذه اللذة الروحية ويتذوق حلاوتها ومتعتها غير المبدع، لأن قوتها الروحية تهيمن عليه فينسى ما حوله، لهذا اختلف النقاد في الشاعر المبدع وكيف تتدفق الأحاسيس عنده، وسألت نفسي بحيرة وذهول:

لماذا أحب؟
ولماذا أحزن؟
ولماذا أثور؟
ولماذا أهدأ؟

أسئلة تسيطر علي حينما تتدفق العاطفة فلا أقدر على الإجابة عنها لأني أحس بكياني يعيش بعيداً من هذا الكون.. ماذا تخفي النفس الإنسانية من أسرار أودعها الخالق فيها.. هذه الأحاسيس والعواطف والمتناقضات في النفس البشرية تهتز للمنظر الجميل الذي يوحي بالحب والجمال الفاتن.. ويختلج شغاف القلب بالعاطفة وتثور النفس، وينفعل الضمير الحر لمشاهدة الظلم والجور والاستبداد وهوان التسلط على الأمة.. إنه غريب الأطوار هذا الإنسان الشاعر، فهو يختلف عمن سواه من البشر لا يقدر على الصمت والسكوت، فهل يسكت العندليب عن التغريد؟ وهل تهدأ أمواج البحر من الاضطراب؟ وهل يمكن إسكات خرير المياه، وهبوب الأنسام، ونفح الأزهار، وعبق الزهرة حتى تذوي وتذبل؟

لهاث الحياة

بعد حصولي على مرتبة الشرف في الماجستير حصلت على إجازة دراسية براتب كامل لمدة سنتين إلى جامعة لندن، وكانت الأعمال أكثر مما أتصور وبخاصة دراسة اللغة الإنجليزية، وفي بعض الساعات تهيج بي الذكرى إلى الأهل والوطن، فانظم الشعر فيها.

وفي لندن غرقت بالبحث وكتابة الرسالة وتعلم الإنجليزية والتأقلم مع هذا العالم الغريب عني، وأول هزة كانت من وكيل أستاذي الفرد كيوم - الذي كان في إجازة - فقد رفض الاعتراف بشهادتي وطلب مني امتحان المعادلة لدرجة الليسانس، وعدت إلى البيت وبلا شعور انثال الشعر في قصيدة هاجمت فيها هذا الأستاذ، ولمت العرب على حضورهم للغرب لنيل الشهادة وقلت:

وما عن هوى قد جئت لندن طالبًا
ولكن قومي يستزيدون في الذكر
يقولون فيها كل ما يطلب الفتى
من العلم والعرفان والفضل والفخر
ومن جاء منها بالشهادة ظافرًا
هو العَلَمُ الهادي ولو جاء بالكفر
ولو أنصفوني في بلادي لما رأت
عيوني هاتيكَ البقاعَ مدى الدهر
ومن مُضحكات الدهر أني بلندن
لأصبحَ أستاذَ البلاغة والشعر

ومن الطريف أن هذا الأستاذ تراجع عندما حضرت درسه للترجمة وأخذت أبدي ملاحظات متعمدة على ترجمته، وغيّر من موقفه مني، ليستريح من ملاحظاتي، فاسترحت من رفضه ونلت حقي منه عندما اعترف بشهادتي.

ولما أكملت الدكتوراه وعدت إلى بغداد كان حصيلةَ السفرة «لهاثُ الحياة».

وفي «لهاث الحياة» كثر شعر الحنين إلى الوطن، وتنوّع الغزل، وذكر الحياة الإنجليزية، وحياة المرأة الغربية، وتصوير عواطفها بصدق ووضوح، فهي تقول بلا حذر وتتغزل بلا خوف.

استنبول

ولما مررت باستانبول في طريق العودة نظمت قصائد متعددة في مغانيها منشورة في «لهاث الحياة»، يظهر فيها صدق العاطفة لهذا البلد الجميل في جزره وبحاره وخلجانه وطيبة أهله وصدق عاطفتهم الدينية وجمال نسائه ورقة شمائلهن، منها «أيها اليسفور»:

أبسفورُ يا سحرَ الهوى ولُحُونَهُ
بموجكَ ذكرى القلب أحببْ بها ذكرى
ترفَّقْ بها عند اصطخابكَ غاضبًا
وقلْ لظلال التين عشتَ له دهرًا

و«جنة البسفور» منها:

صوّرت ذكرى ليالي
هل يَنْفَعَنْ تصويري
وذكريات نشاوى
في جنة البسفورِ

ووصفت منطقة جرغان بقولي:

لستُ أنسى ليلةً في جرغان
والمنى يضحك مسرور الأغاني
تضحك الفرحة في كل مكان
فيضوع الدرب من عطر الأماني

البيئة الأدبية في الخمسينيات

في هذه المرحلة كانت التيارات الأدبية تمور بأفكار جديدة، فقد انتشرت اللغة الإنجليزية في الكليات، وتُرجم منها مختارات متعددة، ودُرست في المستوى الجامعي؛ إضافة إلى ما خلفته الحرب العالمية من آثار نفسية.. وكانت دار المعلمين العالية هي الجامعة بكل فروعها، وكان فيها أساتذة من مختلف التيارات المتعددة، لذلك بُذرت بذرة كبيرة بين الطلاب، وسُمعت أصوات عاتكة وهبي الخزرجي وبدر شاكر السياب ونازك الملائكة. ومن هذا الجيل الشعري - على تفاوت في الشاعرية والزمن - عبدالوهاب البيّاتي وخالد الشواف ولميعة عباس عمارة وصدوف وأميرة نورالدين وكاظم جواد وسعدي يوسف وعبدالرزاق عبدالواحد وشفيق الكمالي وشاذل طاقة وبلند الحيدري وغيرهم.. إنه جيل ريادة الجديد والتطور الحديث، وكنت نويت الدخول إليها، لأني الأول على مرشحي اللواء، ولكني في آخر لحظة غيرت رأيي لأني سأضطر إلى الاستمرار في التعليم وأنا أريد أن أهرب منه، وعلى الرغم من إلحاح العميد علي وإظهار أسفه الشديد عدت إلى «بعقوبة» مع جميع أوراقي.

من رحلة الحياة

وبدأ النقاد يهتمون بما أكتب، والمؤرخون بما أنظم، ولسهولة الإجابة عن الأسئلة كتبت ترجمة مركزة عن حياتي في كتيب سميته «من رحلة الحياة» وفيه مختارات من المجموعات الثلاث «في ضمير الزمن»، و«ألحان»، و«لهاث الحياة» مع بعض القصائد الجديدة التي نُظِمَتْ بعدها.

لم أنتم إلى أي تيار سياسي أو اتجاه فكري

شققت طريقي في جو الأدب، وبرزت مكانتي بعد أن حصلت على الدكتوراه، لأنها خير شفيع وأرسخ تيار فكري، وأقبل عليّ أولئك الذين أبعدوني من مجتمعهم

أو حزب، وهذا الاستقلال الفكري حرمني من مساندة من التكتلات أستند إليها، إذ لم أجد مكانًا في الجو الأدبي في بغداد وأنا معلم في بعقوبة، أو مدرس في الثانوية، وأحمد الله على ذلك فقد شققت طريقي - ولكن بمشقة - في جو الأدب، وبرزت مكانتي بعد أن حصلت على الدكتوراه، لأنها خير شفيع وأرسخ تيار فكري، فقد أقبل عليَّ أولئك الذين أبعدوني من مجتمعهم، وتقرب إليَّ من الأدباء من لم أفكر في معرفته، فكانت الدكتوراه المفتاح الذي فتح لي الأبواب الموصدة والقلوب الغلف القاسية على الرغم من أني كنت ألقي بعض قصائدي وأنا معلم من الإذاعة وأنشر بعض القصائد في الجرائد.

ومن الطريف في تلك الحقبة أن ذهبت إلى مقهى الزهاوي ملتقى بعض الأدباء، وكان الشاعر الكبير عبدالرحمن البناء جالسًا، فقال لي بإعجاب: مَنْ يقدر أن يقولَ ما قُلتَه؟ ولعله أشار إلى هؤلاء الذين يتحلقون حوله ولا يعجبه شعرهم، وران على الوجوه الوجوم، فشكرت له وقلت: أنت القدوة والرائد.

الشهرة

ليس الشعر وحده سبيلاً للشهرة، وليس العلم وحده طريقًا لها، إنما لا بد أن يسند الشعر والعلم قاعدة اجتماعية أو فكرية أو سياسية، ولم أكن أنتمي إلى حزب من الأحزاب أو إلى فكرة من الأفكار العامة، أو إلى ثلة من الشلل الكبيرة التي تذيع اسم الأديب وتصفق له وتدق له الطبول، ومع كل ذلك فذاتي وحدها فرضت نفسها على الصحافة ووسائل الإعلام.

وقد كانت حياة الجامعة زاخرة بالعمل والمحاضرات، ولا بد من كتابة البحوث في سبيل الترقية العلمية التي كانت تأخذ مني مجهودًا كبيرًا، وزاد التصاقي بالبحث والتتبع دخولي للمجمع العلمي العراقي، فانصرفت للتأليف أكثر من انصرافي للشعر، فتحيَّفَ العلم على كل ما عندي من مواهب.. وأصبح الشعر أحد أجزاء حياتي العلمية والثقافية، فقد كنت أمارس أكثر من عمل أدبي كالقصة والرواية والنقد وتاريخ الأدب، أما الذين اتخذوا الشعر أداة إبداع وواصلوه فقد انتشرت أسماؤهم وذاع صيتهم، وفيهم من لا يستأهل هذه الشهرة لولا ما وراء هذه الشهرة من دوافع مخفية لا أحسن أن أنتمي إليها أو أسير في توجهاتها الفكرية أو السياسية.

شعر المناسبات

المناسبات العامة سبيل للشهرة في كل مكان، ولم أكن أهتم كثيرًا بالشعر؛ فقد غرقت في البحث العلمي وتكوين مجمع جديد وجمعية للمؤلفين والكتّاب حديثة، وبذلت طاقتي في تطوير المجمع العلمي العراقي [اسمه الآن المجمع العلمي]، وشيدت له صرحًا جديدًا وقانونًا جديدًا، واخترنا له الأعضاء الجدد، وأخذت جمعية المؤلفين والكتّاب جانبًا من نشاطي ووقتي، إضافة إلى الأعمال الإدارية واللجان المتعددة التي انصبّتْ عليَّ من كل جانب، مع حضور اجتماعات ومؤتمرات متعددة داخل العراق وخارجه حالت دون إلقاء قصيدة واحدة.

الأندلس

كانت السفرات لحضور المؤتمرات ولإلقاء محاضرات عامة خارج العراق فسحة لي لنظم الشعر، فقد زرت أكثر بقاع العالم، فكثرت أسماء المدن في «همسات حب مطوية» لأني أحسُّ بالحياة والحرية واتساع الخيال في الخارج فأعيش بكل أحاسيسي مع الناس، فكان شعري

أحسُّ بالحياة والحرية واتساع الخيال في الخارج فأعيش بكل أحاسيسي مع الناس، لذا كان شعري عفو القريحة الوقّادة والعاطفة الجيّاشة والود الصادق والحب الصافي

عفو القريحة الوقّادة والعاطفة الجيّاشة والود الصادق والحب الصافي، ويجد الناقد اللبيب ذلك في شعري؛ وأثَّرت سفرة الأندلس فيَّ تأثيرًا كبيرًا.. ولما كنت أمشي بين الآثار لا أدري هل أبكي على ما ضاع منا أو أفرح بهذا التراث الفني الضخم الذي برهن على قدرتنا في الفنون والإبداع، وأثر الدين الإسلامي واللغة في هذه الربوع الجميلة التي يتباهى الجمال فيها، وتتبختر الفتنة في أبهائها وربوعها، مثل المسجد الكبير وقرطبة وغرناطة والوادي الكبير وإشبيلية وقصر الحمراء والزهراء. وحلق الخيال مع التراث الإسلامي وزفر القلب لهفاته وأدهشت النفس انبهارها بالإبداع فقلت في الزهراء:

أنا زهراء قد جئت من الشرق القصي
عربي جاء يحدو بغناء عربي
ساقه الشوق لكي يستاف من هذا الشذي
ويروّي ظمأ النفس فصلَّى وتبتَّلْ
وجثا فوق أريج وعلى الترب تهللْ

وتمتعت في الأندلس بأرقّ العواطف وأجمل الأحاسيس وأعذب الألحان، فنظمت في غرناطة قصيدة تُرجمت إلى الإسبانية من الأستاذه كافيرا ونُشرت في كراسة باسم «غرناطة»، ووُضعت القصيدة مقدمة لكتاب عن جارسيا لوركا شاعر إسبانيا المشهور اسمه: ASESINADO: TODA LA VERAD، وفيها أصف ما تراه العين ويحس به القلب وتلمسه الحقيقة:

هذي مروجُ بلاديَ الخُضْرُ
قد تاهَ في أفيائها السِّحرُ
والماء عذب في تدفقه
طول القرون مرقرق غمرُ
غنت به «حمدونة» سلفًا
لما ازدهى في عقدها النَّحرُ

وخاطبت المدينة الرائعة ذات التاريخ الخالد:

غرناطة التاريخ ذا شجن
نَحّي يديكِ فأدمُعي غُزُرُ
ولآلئُ الأحباب إن نثرت
ما مازها الياقوت والدرُّ
وصحائف التاريخ قد خجلت
مذ ضاع منا المجد والفخر

العنوان: عالم الأمير خالد الفيصل الشعري.
المؤلف: خالد بن محمد القاسمي.
الناشر: دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، الشارقة، ط1، 1417هـ، 175ص.

خالد بن محمد القاسمي


غلاف الكتاب

محتويات الكتاب تنحصرُ في تقديم بقلم الدكتور زيد بن عبدالمحسن الحسين، وأما ما هو بقلم المؤلف خالد بن محمد القاسمي؛ فقد جاء في الكتاب في مقدمة وأربعة فصول ولمحة في سيرة الأمير خالد الفيصل، وكلمة سموه في الأمسية الشعرية في المنطقة الشرقية احتفاء بالمتفوقين من النّاشئة عام 1411هـ، وكلمة سموّه في الأمسية الشّعرية في الكويت، ثم ختمها بثبت المصادر والمراجع.

وإذا وقفنا على هذه المحتويات فبدءًا بتقديم الدكتور زيد. فقد تحدث عن موهبة الأمير خالد وشاعريّته الفياضة واطّلاعة الواسع وتنوّع اهتماماته، وصدق شعره وفكره المتميز، وانطلاقه من هدي القرآن الكريم وتعاليم النبيّ محمد - صلى الله عليه وسلم -، وبيّن أنه فنّان، شعره ولوحاته التي رسمها وجهان مضيئان لموهبته المتأصلة في ذاته، وأنه يدعو إلى التمسّك بدعامتي السّير على هدي راية التّوحيد والالتفاف حول قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يحفظه الله.

أمّا مقدمة المؤلف فقد وضّح فيها أن شعر سمّو الأمير خالد الفيصل يعبق بالشذا والعطر والطّيب الذي يشعر به كلُّ قارئ يتضوّع من القصائد، وهو أمير عسير الذي امتزج حبّها بروحه، وتآلف ذكرُها مع شعره.

وفي الفصل الأوّل تحدث المؤلف عن العامية والفصحى، وذكر أنّ مارون عبود قال إن إعجاب الأعراب بالشعر القديم متأت من انبثاق الشّعر الجاهلي من حياتهم ولغتهم. وأنّ الشّاعر العاميّ يُثير الفُصحى إثارة يَعجز عنها الشّعراءُ الرسميون. وستبقى العاميّة تُلقي ليونتها واستعاراتها، وستمدُّ الفصحى العاميّة بالمأنوس، والعامية لا تخبو، والفُصحى لا تنقاد أو تخضع، وأنه ليس من الصّواب إلغاء اللّهجات العاميّة التي هي البنية التّحتية لكل الشعوب العربية، وفي الشعر العاميّ قبل انتشار التعليم تاريخ أحقاب.

الفصل الثاني جعله للشعر النبطي، وقال إنه انطلق من سمر ديوانيات الشُعراء الخاصة إلى ديوان الشعر العربي، والباحثون في جذوره يُسمّونه الشّعر البدويّ والنّبطيّ.

وذكر في هذا الفصل جهود الباحثين فيه، وعَدَّد ما يتعلق به من مفردات، وساق كلّ مفردة إلى مظانها.

والفصلُ الثالث أفرده لعسير وقوافيها، حيثُ أوضح أن عسير مصطلح جغرافيٌّ؛ حيث الاستعمال بدأ بعد القرن الثامن عشر، ثم فصلها بمدنها وقراها وأراضيها ومناخها، ثم ذكر المكانة المتميّزة لمنطقة عسير وأبها في شعر خالد الفيصل.

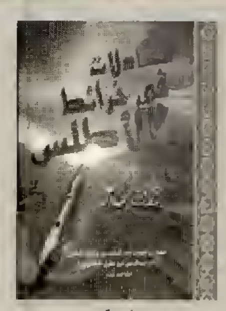
وهذا لما يعكسُ مكانتها في قلبه وأثرها في مسيرة حياته، أرضًا وطبيعةً وإنسانًا، وأوردَ أمثلةً صالحةً من شعر الأمير في عسير وبلادها.

أمّا الفصل الرابع والأخير فقد وقفه على قصائد نبطيّة.

والديوان الثاني للشاعر، واحة على طريق الشعر النبطي، وفيه بيّن أنّ بعض النّقاد أو محبّي الشعر - عاميّه وفصيحه - قد درجوا على ذكر المناسبات المختلفة التي يرون رموزها في عناوين القصائد، أو تواريخها، أو في مناسبات نظمها. ووضح أنّ الأمير هو شاعر وكفى، ووقف وقفة عميقة مع شعر خالد الفيصل وخاض في المعاني والصور، وحلّل معانيها، وقوالبها.

وفي الكتاب صورٌ رائعة ولوحات جميلة عرضها الكاتب، وهي من رسم الأمير الشاعر خالد الفيصل.

العنوان: معادلات في خرائط الأطلس «دويوين شعر».
المؤلف: أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري.
الناشر: دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1417هـ، 178ص.



غلاف الكتاب

وقد افتتحه بمقدمة - كما سمّاها - أطول مقدمة لأصغر دُويوين، ولعلّ ما فيها يرجّحُ لغة الدّويوين ومحتواه فيصبح ديوانًا.

وقد سجّل في المقدمة لمراحل الشاعرية والتشاعر عنده، مع شيء من النقد الذاتي، وأشار إلى أن معرفة العروض وحذقه يجعلان المرء متشاعرًا، وأن كل طالب علم رهيف الأذن - وإن لم يحذق علم العروض نظريًا - يستطيع أن يتشاعر بألفاظ فنيّة خليّة من المعنى. وهذان الصنفان قلّما تكتب لهما الشاعرية والاستمرار. وهناك صنف ثالث تتفجّر شاعريته قبل بلوغه الحلم، وقبل علمه بالعروض، فينقاد له الوزن.

وجاءت مرحلة اللاشاعرية عنده عام 1399هـ عندما أصدر ديوانه «النَّغم» ولم يجد قبولاً كما قال.

وأوضح تاريخ شاعريته، حيث قال إنّ شعره في مرحلته الأولى، عندما كان في التمهيدي والمعهد العلمي، كان به شيء من الخلل يصلحه أستاذه،

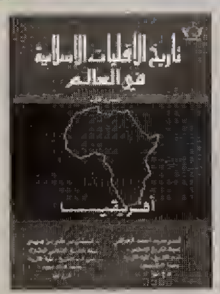
وهذا شعر ضاع، وهناك بقيةٌ منه.

ولمّا نجم ديوان «معادلات في خرائط الأطلس» وجد رائحة الشاعرية وتباشيرها، فعاد للديوان الأوّل فوجد ما قيل فيه من النقد صحيحًا.

وأورد أبياتًا جيادًا من تلك المرحلة، ثم أخرى في لغة العوام التي تجمع بين الرخاوة والسّماحة. وقد أضاف من تلك القصائد ست قصائد لهذا الدّويوين. وقد نُشرت قصائده في الصحف ولقيت جدلاً كثيرًا، منه المادح ومنه القادح. ونشرها في هذا الدّيوان دون تعليق غير قصيدتين، هما: لمن يُصنع القيثار، وبالحُبِّ أشدو. وساق ما جرى فيهما من نقد. وقال: إنّ حماسة الجماهير في اللحظة السريعة ليست هي المقياس لتقويم الشّعر، وليس كُلُّ شاعر يجيدُ الإلقاء، وليس كل مُجيد للإلقاء شاعرًا، وليس كل تصفيق عن أناة وبصيرة، وليست كلّ قصيدة لا بد أن تكون خطابيّة صالحة للحماسة. وذكر نقدًا جرى بينه وبين آخرين فيه آراءٌ نقدية جيّدةٌ.

وهكذا كانت هذه المقدمة أطولَ مقدمة - كما قال أبو عبدالرحمن - لأصغر دويوين، وفيها من الأدب والشعر والعلم والنّقد الشيء الكثير، وذات فائدة جليلة للقارئ. والدّويوين يحتوي على سبع وعشرين قصيدة، جاءت في جزأين، الأول فيه اثنتان وعشرون قصيدة، تناولت موضوعات عديدة منها خمس قصائد في بحر الكامل، وواحدة في بحر الطويل، وبقيّة القصائد جاءت في التفعيلة الواحدة، منها قصيدة «معادلات في خرائط الأطلس»، وهي اسم الدّويوين، حيث تناول فيها الحدود الإقليمية والنصف المعمور، والنصف المهجور، ونبوات ميتافيزيقية، ويمكن استعراض بعض عناوين القصائد: كوشاح العيون، وبالحبِّ أشدو، وأبي العلاء يتألم، والله يا فينوس لي، وإيمان، وغزلان، والدال تهمسُ، والأخيرة تهنئة لمعالي الأستاذ حمد الرشودي لنيله الدكتوراه الفخرية من جامعة أركنساس الأمريكية.

وقد جاءت قصائده عذبة جذّابة ذات لغة عربية عالية فصيحة مبينة متينة الأسلوب متعاقبة المعاني، تدفعُ بعض القُرّاء في بعض المواضع للنّظر في القاموس للوصول إلى معانيها. وإنْ قال أبو عبدالرحمن إنّه دُوَيوين؛ فهو تصغيرٌ للتعظيم والإشادة والتّمليح أحيانًا.


غلاف الكتاب

العنوان: تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم، ج1: إفريقيا.
المؤلفان: د. السر سيد أحمد العراقي، د. غيثان بن علي بن جريس.
الناشر: نادي أبها الأدبي، ط1، 1417هـ ـ1997م، 210ص.

موضوع

هذا الكتاب دراسة أكاديمية وعلاج تاريخي لانتشار الإسلام في القارة الإفريقية واعتناق الشعوب الإفريقية له. ويرمي المؤلفان إلى دحض الأفكار الخاطئة المبثوثة في العديد من الكتب، التي تروج لأن إفريقيا ليس لها تاريخ، وأنها لم تتصل بالعالم إلا عندما بدأ الأوربيون يكتشفون بعض أجزائها التي كانت مجهولة.

لقد تتبع المؤلفان الهجرات العربية والإسلامية عبر الطرق العديدة التي سلكها الإسلام إلى إفريقيا، ورصدا التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي أحدثها الإسلام في المجتمعات الإفريقية، والدور الواضح للإسلام في رقي الحياة فيها، وذلك قبل أن يعرف الأوربيون طريقهم إلى هذه القارة، ويجبروا قطاعات عريضة من سكانها على اعتناق النصرانية، وينزلوا أبناءها منزله دون منازل الإنسانية.

بحثت الدراسة في أوضاع المسلمين في بعض البلدان الإفريقية التي عُرف أن بها أقلية إسلامية، وناقشت تاريخ المسلمين في سبع دول، هي: يوغندا وكينيا وتنزانيا وجنوب إفريقيا وبورندي وموزمبيق وسيراليون.

وفي ضوء تتبع اعتناق شعوب هذه البلدان للإسلام يتلمس المؤلفان واقع المسلمين اليوم ونسبتهم إلى عدد السكان، ومعرفة ما إذا كانوا أغلبية في ظل حكم أقلية أم هم أقلية يعانون اضطهاد أغلبية ظالمة تفرض هيمنتها ولغتها ودينها. وناقش المؤلفان خلال الدراسة، التي اشتملت على تمهيد وثمانية فصول، التحديات التي تواجه الأقليات المسلمة، هذه التحديات التي تتمثل في:

1- المعلومات المضللة المأخوذة عن مصادر منحازة ضد الأقليات.

2 - حركات التنصير والبوذية والهندوسية وغيرها من التيارات الأخرى المدعومة ماديًا ومعنويًا من الجهات المعادية للإسلام.

أما أبرز المشكلات التي تواجهها الأقليات المسلمة، فهي الأوضاع الاقتصادية السيئة، والمشكلات الثقافية والتعليمية، ومشكلات البناء الاجتماعي، ومشكلات حق التمثيل في الحكم.. هذه التحديات والمشكلات مجتمعة تؤطر واقع الأقليات المسلمة حول العالم.

وأشار المؤلفان إلى الجهود التي تبذلها بعض الجهات لحماية الأقليات المسلمة، وأبرز هذه الجهود ما تقوم به المملكة العربية السعودية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي لحماية الأقليات المسلمة.

من أهم ما أكده المؤلفان في هذه الدراسة تشديدهما على ضرورة عدم الركون إلى المصادر الأجنبية والاعتماد عليها كليًا في الدراسات التي تنشد الحقيقة والموضوعية فيما يتصل بالمسلمين، كما نبها على أهمية دراسة المصنفات والمخطوطات العربية التي اهتمت بتسجيل تاريخ الإسلام في إفريقيا، لأن الكتابات التي اعتمدت النظرة الأوربية كان صعبًا عليها أن ترى حسنة من حسنات العرب في إفريقيا.

وليّ الدين يكن

العاشق المتيّم

عيسى فتوح

كثيرون هم الذين أحبوا مي زيادة (1886- 1941م)، وهاموا بها إلى حد بعيد، ونظموا فيها القصائد والأبيات، ودبجوا لها الرسائل الوجدانية الرقيقة، واشتهر حبهم لها، كمصطفى صادق الرافعي، وعباس محمود العقاد، وإسماعيل صبري، ومصطفى عبدالرازق، وأنطون الجميل، وولي الدين يكن، وغيرهم، وكانوا كلهم من رواد مجلسها (صالونها) الأدبي الذي كانت تعقده في منزلها بالقاهرة كل يوم ثلاثاء.

وقد حظي حبّ العقاد لها بكثير من الدراسات، كان آخرها كتاب «غراميات العقاد» لعامر العقاد، بعكس حب ولي الدين يكن الذي بقي في الظل، على الرغم من أنه أحبها حبًا عاصفًا، لم تنطفئ جذوته في قلبه إلا عندما غيبه الموت في السادس من آذار/ مارس 1921م، لذلك رحت أتقصى أخبار هذا الحب في مختلف الكتب والمصادر التي تحدثت عمّن أحبوا مي، وربما أحبت بعضهم، لكن بشيء من الحذر والاستحياء والكتمان، ولم تصرح إلا بحبها لجبران خليل جبران.

كانت أسرة «يكن» التركية الأصل تسكن في مصر، وقد جاءتها مع محمد علي باشا الكبير، فعاش ولي الدين(1) في كنف هذه الأسرة متحررًا من كل قيد، ثائرًا متمردًا على حكم السلطان عبدالحميد، لذلك نفاه سنة 1902م إلى «سيواس»، تلك المدينة المهجورة في بر الأناضول، وظل في المنفى حتى أُعلن الدستور العثماني سنة 1908، فعاد إلى مصر بعد سبع سنوات من النفي والتشرد والغربة القاسية، ثم اختاره السلطان حسين كامل سنة 1914م شاعرًا للحضرة السلطانية، وفي هذا العام بالذات عرف مي زيادة وأحبها(2) وأحبته، وأخذ يبثها غرامه شعرًا ونثرًا، وأخذت تبثه غرامها كلامًا شفهيًا صريحًا، أو كلامًا مكتوبًا غير صريح، وكانت ترى أنه «نفس كثيرة الأهواء، منهوكة القوى، متمردة وثابة، حساسة رقيقة، حتى لتخال رقتها وإحساسها شعاعًا أحيانًا، وإذا جاء وقت الوثب، كان مقهورًا في شجاعته، غير مبال ولا هيّاب».

يقول طاهر الطناحي(3): «... ذات مساء لحظت على مكتب مي صورة رشقتها أمامها، فسألتها قبل أن أتبينها: لمن تكون هذه الصورة؟ فأمسكتها بيدها، وأطلعتني عليها، فإذا هي للشاعر ولي الدين يكن أهداها إليها، وقد كتب تحتها بخطه هذا البيت:

كل شيء يا «ميٍّ» عندك غالٍ
غير أني وحدي لديكِ رخيصُ».

ويضيف الطناحي: «وقد حدثتني عنه أنه كان معجبًا بها، وكثيرًا ما كان ينظم فيها الأشعار، وكانت تعطف على نفسه الرقيقة، وشعوره المرهف، وتفسح له في زيارتها، حتى وهو مريض في أواخر حياته بمرض خطير!».

حياة مضطربة ومرض خطير

كان ولي الدين يكن شابًا وسيمًا، أنيقًا في زيه، جميل الصورة، خفيف الروح، مهذبًا رقيقًا، يجيد الحديث والإصغاء معًا، وكان حلو الابتسامة، يعرف كيف يجذب المرأة إليه بكل ما فيه من مزايا... يلقى ميًا مع الناس في المساء وحده، أو مع آخر، ويعتقد أنطون الجميّل أن علاقة ولي الدين يكن بمي، كانت علاقة شاعر بكاتبة، وأنّ ما كانت تبديه مي من عطف عليه، مبعثه الحقيقي الشفقة.

لكنه على كل حال كان صديقًا حميمًا لها، يزورها باستمرار(4)، وكأنه واحد من أهل بيتها، فإذا سمعها أحيانًا تغني بصوت خافت بعض الألحان الشعبية، طرب وهتف: «هذه نسمات البوسفور»، وكثيرًا ما كان يستزيد من ألحانها، فإذا ما رأى (البيانو) مفتوحًا عندها، أسرع إليها طالبًا أن تعزف له مقطوعة «كارمن سيلفا» التي يحبها.

كتب ولي الدين إلى صديقه أنطون الجميّل مرة يصف مرضه - وكان مصابًا بالربو - فذهب الجميّل إلى (صالون) ميّ، وتلا ما كتبه له ولي الدين بصوت مسموع، فانتفضت ميّ من الألم، وراحت تنشج بالبكاء، فقد أثارها قوله: «أنا في يأس شديد من زوال هذا المرض الذي عجز الطب عن دفعه، وهو المسمى «الربو».

إذا دجا الليل تكاثرت مخاوفي، فلا يغمض جفناي فَرَقًا، لأنني لا أغفو إغفاءة إلا وأنتبه صارخًا مذعورًا، إذ تنقطع أنفاسي، ويشتد

اضطراب قلبي، وتبرد يداي ورجلاي، فأختلج مكاني وأتلوى تلوي الأفعى ألقيت في النار.

أريد تنفسًا أستعيد به ما يوشك أن يذهب عني من الحياة فلا أجده، حتى إذا بللني العرق وأنهكني التعب، عاودتني أنفاسي شيئًا فشيئًا، وذهبت النوبة على أن تعود بعد ساعة أو ساعتين، ومصير مثل هذا المرض مذكور في كتب الطب، لم يختلف فيه طبيبان.

لا أدري أمن الموت وما أنتظر من أهواله يزداد جزعي؟ وما تطلع علي شمس يوم إلا وزادتني قربًا من قبري. والهفي على آمال تحولت آلامًا، وواحسرتي على أيام عمر ما ضحكت لي مرة إلا وجعلت دموعي لها ثمنًا.

كامل الشناوي



أنطون الجميّل

ولي الدين يكن

أهذه عاقبة الصبر التي أطلت انتظارها؟

ما أكثر ضلال الحكماء، وما أكبر غش القدماء».

وتقول مي في مذكراتها: «في إحدى زياراته لنا رأيت نظره جامدًا بُعيد وصوله، وإذ سألته: ما به؟ قال: هذه! مشيرًا إلى زهرة ليلكية في ثوبي «يحـزنني هذا اللون الليلكي». فحاولت نزع الزهرة.

فقال: لا تفعلي... أرجوك! يحزنني أن أراها، ويحزنني أكثر من ذلك أن تنزع.

وأنشدنا ذلك المساء أبياتًا من شعره الحزين».

هذه الحادثة التي روتها مي نفسها تشير بوضوح إلى شخصية عاشق متيم ولهان، أراد أن يفصح عما يجيش في صدره فاضطرب فكره، وعقد لسانه، واتخذ من لون زهرة ثوبها وسيلة لإخفاء ما كان يعتلج في قلبه.

ويعلق سامي الكيالي على هذه الحادثة أيضًا بقوله: «وكأنما مي قد أشفقت عليه، وإذ تعرف أنه يحب أن يستمع إلى عزفها على البيان، ويحب القطعة الموسيقية المرقصة المعروفة باسم «كارمن سيلفا»، فقد عزفت هذه القطعة التي بددت بعض حزنه، وأعادت إليه النشوة الحالمة التي اعتاد أن يتحسسها عند ساحرته الأديبة»(5).

شعره في ميّ

كان مرض الربو يشتد أحيانًا على ولي الدين يكن، فينقطع عن (صالون) مي مدة، ويستعيض عن الزيارة بالكتابة إليها في موضوعات أدبية يخالطها الغزل، أو موضوعات غزلية يشوبها الأدب كقوله لها في إحدى رسائله: «ما أسكت هذا القلمَ عن مناجاتك إلا حربُ الأيام، إنه منذ أيام كثيرة أسيرها الذي لا يرجى فكاكه، غير أني كنت أناجي روحك كلما بدت لعيني أشياء من محاسن هذا الوجود، كم وقفت أمام الأبيض المتوسط أرتجل العبرات، هذه أشعاري لا أهديها إليك، إني لأشفق أن أحييك بغير الابتسامات، وكم دخلت الروض أساجل قماريه. تلك أغانٍ أرجّعها لديك.. إني لأخاف أن أغنيك بغير المسرات. والآن عندي قبلة هي أجمل زهرة في ربيع الأمل، أضعها تحت قدميك إن تقبليها تزيدي كرمًا، وإن تردّيها، فقصاري الامتثال، وبعد فإني في انتظار بشائر رضاك».

ويقول لها في رسالة أخرى: «إنك بلبل الشعر الصادح في روض الحياة».

ويقول في رسالة بعث بها إليها على إثر زيارتها بعد جفوة لم تدم غير بضعة أيام:

تُمسين ناسيةً وأُمسي ذاكرًا
عجبًا أشاعرةٌ تهاجر شاعرًا؟
فهل الملائكُ كالحسّان هواجرا
إنَ الملائك لا يكنّ هواجرا
إن كنت لا أسعى لدارك زائرًا
فلكم سعى فكري لدارك زائرا
قد عشت دهرك بالمحاسن صبَّةً
وقضيتُ دهري بالمحاسن حائرا
إنا اقتسمنا السحر فيما بيننا
للّه ساحرة تساجل ساحرا

وقد تثيره النظرة فتكون الابتسامة، وتكون التحية، ويكون الحديث، ويكون الشوق الملح إلى اللقاء، وقد لا يكون اللقاء، فيصف الجفاء والفراق والطيف، ومساهرة النجوم، فلنسمعه يخاطب هذا الطيف الذي يزوره في المنام قائلاً:

عيناك عيناها كذا كانتا
والوجه ذاك الوجه لم يُبْدَلِ
أعرف لحظيها برغم النوى
فكم أصابا قبل ذا مقتلي
يظل قلبي خافقًا هكذا
كأنه أُلقي في مرجل
أظلني همٌّ فلم أنتبه
إلا وقد أوغلت في المجهل
إن كان هذا ما دعوه الهوى
فمثل هذا الليل لا ينجلي
يا مهجتي، يا جَلَدي، يا صبا
إن لم أمت وجدًا فلا بد لي

كان شعر ولي الدين الغزلي هو أقوى فنون شعره، ينبع من صميم قلبه، ويعبر به عن نفس توّاقة للحب، نُحس ونحن نقرؤه أنه خاض تجربته بعنف وصدق، فليس كلامه وصفًا جافًا، ولا كلامًا منمقًا مرصوفًا لا حياة فيه. يقول مخاطبًا مي:

كوني كما أنا في الغرام وفية
لا تهجريني، ما خلقت لأهجَرا
أصبحت فيك من الولوع بغاية
لو زدت حسنًا لا أزيد تحيُّرا
بلغ المدى بي كل شيءٍ في الهوى
فإذا أردت زيادة لن أقدرا

لقد كانت مي تمحضه الحب، وكان الحب

وليّ الدين يكن

العاشق المتيم

ـ في نظرها ـ لونًا من الصداقة، ولكنها صداقة حفرت في قلب ولي الدين أعمق دروب الحب:

لك يا ميّ خاطري ولساني
فاجعلي منهما رضاك بديلا
قد علمت الوفاء فيك ولكن
ليس يرتاح من أحب جميلا
كلما قلت في غد نتلاقى
حلف الدهر صادقا أن يحولا
بي شوق نما فأضحى هياما
وهيام نما فأمسى غليلا

ويشير إلى برودة عاطفتها، وهو الذي يحترق بنار الوجد، ويتلظى على جمر الانتظار:

قد أذاب البعاد جسمي حتى
فنيّ الجسم ثم أبقى النحولا
عجبًا كيف لا تكونين مثلي
عجبًا كيف تصبرين طويلا

كانت مي تستمع إلى هذه الأنات الموجعة وتضحك، فقلبها لا يمكن أن يتسع لجميع المحبين، وقد كثروا عليها، وهام بها أكثر من شاعر وأديب، أما هي فكان قلبها معلقًا بشخص واحد ظل بعيدًا خلف البحار، وقد حال القدر دون لقائهما، أعني به جبران خليل جبران.

حين مرضت مي، شعر ولي الدين أن أعراض المرض قد سرت إليه، وتمنّى مخلصًا أن يكون هو المريض، وأن يتحمل الألم بدلاً عنها:

أتسقم مي وأبقى صحيحًا
ألا إنني الصاحب الخائن؟!
فيا ربّ هب لي مواجع مي
بأضعاف ما يزن الوازن
وهب من حياتي حياة لها
وإني لأمثالها ضامن

كان ولي الدين لا يستطيع كتمان الحب، يبوح لها به في السر والعلانية، وقد صارت تعرف جميع أسراره وأخباره، وتحيط بكل مكنونات نفسه، ودخائل صدره كما في قوله لها:

أعلمت الهوى الذي أخفيه
أيّ سر يا مي لم تعلميه ؟

وإذا شكت له ما تلقاه وتعانيه من آلامها النفسية الشديدة، وتحس به من ظلم، أجابها بأنه لا يقل عنها ظلمًا وهمومًا وآلامًا:

مظلومة تشكو إلى مظلوم
هذي همومك، هل عرفت همومي
ما في الزمانِ ولا بَنيه كرامةٌ
فَيَصانَ قَدْرُ كريمة وكريم

لقد تكاثرت الهموم والمصائب على ولي الدين في أواخر أيامه، إذ فُجعَ بولده الشاب، ووالدته، وأخته، ولما اشتد عليه مرض الربو، ترك عمله في ديوان كبير الأمناء، وسافر إلى حلوان للاستشفاء، ولكن دون جدوى، وفي هذه الأثناء زارته مي بصحبة الشاعر خليل مطران، فقال ولي الدين فيها:

تبدت مع الصبح لما تبدى
فأهدت إلي السلام وأهدى
تقابل في الأفق خداهما
فحييت خدا وقبلت خدا
لقد بدل الله بالبعد قربا
فلا بدل الله بالقرب بعدا
تعالي فجسي بكفك كبدي
إذا كان أبقى لي الهجر كبدا

وكانت هذه الزيارة هي الأولى والأخيرة، لكن مي ظلت تتابع أخباره بحزن ولهفة، وتسأل عنه أخاه يوسف حمدي يكن، فيشرح لها شرحًا مفصلاً، على مسمع من رواد صالونها، وكانوا جميعًا يحترمون عاطفتها، ويجاملونها بإبداء الحزن والأسى عليه، متمنين له الشفاء.

يقول كامل الشناوي: في إحدى الليالي جاء يوسف حمدي يكن من حلوان، وكان مكفهر الوجه، وأعطى مي ورقة بخط أخيه ولي الدين، فلم تستطع أن تتم تلاوة الورقة، وكانت تحتوي على هذه الأبيات:

عُمرَ الشباب لقد مضيتَ محبَّبًا
وتركتَ لي عمرًا سواك بغيضا
أمحَى وتثبتني الشقاوة كارهًا
مثل الكتاب يكابد التبييضا
عُوِّدتُ أمراضي وطولَ تألّمي
حتى كأني قد ولدت مريضًا!

وبعد أسبوع جاء يوسف حمدي يكن ومعه ورقة أخرى بخط أخيه، وكانت تتضمن بيتين من الشعر، فقال خليل مطران: «هذه نشرات صحية منظومة!» فلم تضحك مي لمداعبة مطران وأخذت الورقة وقرأت بصوت مخنوق بالدمع هذين البيتين:

متْ يا وليَّ الدين مت
ما ثم من يبكيكا
ودّعْ حياتك هذه
ما ذقته يكفيكا

وقبيل وفاته بأيام أرسل إلى مي هذين البيتين:

يا جسدا قد ذاب حتى امّحى
إلا قليلاً عالقًا بالشقاء..
أعانك الله بصبر على
ما ستعاني من قليل البقاء

ولما توفي في السادس من آذار/ مارس 1921م، بكته مي بعنف، وحزنت عليه حزنًا شديدًا، وكان خياله يطاردها في النوم واليقظة، وكان كلما جرى ذكره، تندت عيناها بالدموع.

وهكذا كانت مي أسطورة في قلوب العشاق وخيال الشعراء، وكانت أيضًا حقيقة كبيرة.

الهوامش:

1- هو ولي الدين بن حسن سري بن إبراهيم باشا يكن. ولد في ناحية السليمانية من ضواحي استانبول عام 1873م، ثم انتقل به أبوه إلى مصر وهو طفل، فنشأ مترفًا في أسرة توافرت لأبنائها كل وسائل الرغد والهناءة، لكن الأحاسيس الثورية ثارت في كل خلجة من خلجات نفسه، بعد أن تشبع بالآراء الحرة التي أطلقها الأدباء الأتراك والفرنسيون، وقد كان لاتجاهه الصحفي ونزعته الثورية أثره غير المرغوب في محيط الأسرة. من مؤلفاته: المعلوم والمجهول، في جزأين ضمنهما سيرة نفيه، والصحائف السود، سلسلة مقالات اجتماعية، والتجاريب مثله. له ديوان شعر، وترجم عن التركية: خواطر نيازي، وعن الفرنسية: رواية الطلاق لبول بورجيه. كان يحسن من اللغات التركية والفرنسية ويتحدث الإنجليزية واليونانية. توفي بالقاهرة وفيها دُفن. انظر بعض حياته في : الأعلام خير الدين الزركلي، ج8، ص118، ط11، دار العلم للملايين، بيروت 1995م.

2- الذين أحبوا مي لكامل الشناوي، دار المعارف بمصر - 1972م، ص42.

3- أطياف من حياة مي لطاهر الطناحي، كتاب الهلال رقم 279، مارس 1974م، ص28.

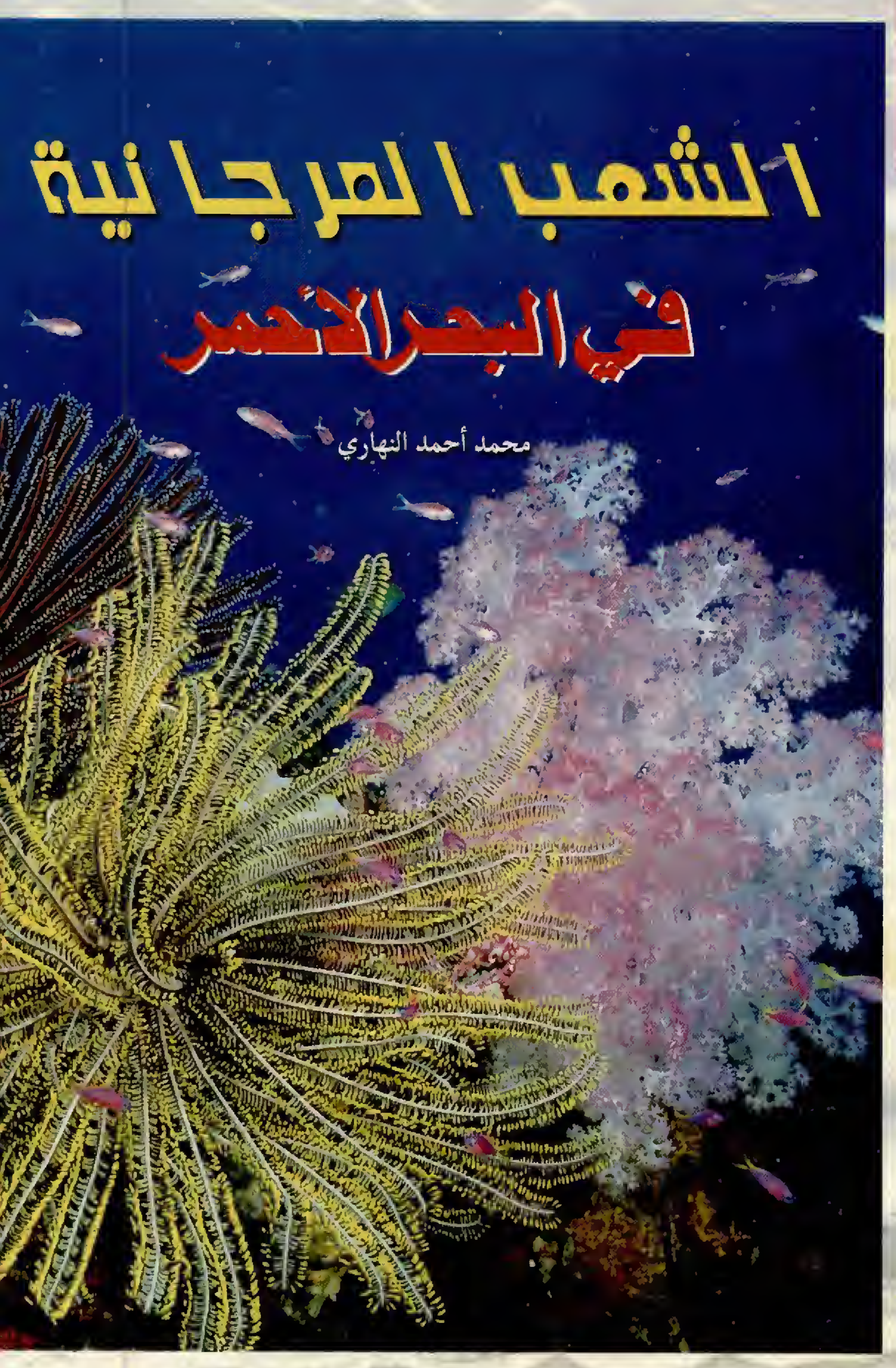
4- مي في حياتها المضطربة لجميل جبر، دار بيروت 1953م، ص77.

5- ولي الدين يكن لسامي الكيالي، سلسلة توابغ الفكر العربي، دار المعارف بمصر 1960م، ص55.


كن مع
المنهل
AL MANHAL

الشعب المرجانية في البحر الأحمر

محمد أحمد النهاري



حظي البحر الأحمر باهتمام علمي كبير منذ النصف الثاني للقرن الثامن عشر الميلادي. ويعتقد العلماء أن عمره لا يقل عن 70 مليونِ عام، حيث تكون من جراء الحركة في القشرة الأرضية التي أدت إلى انفصال شبه الجزيرة العربية عن إفريقيا. وتُنسب أولى محاولات الاستشكاف العلمي للبحر الأحمر إلى البعثة الدنماركية التي استمر عملها في المدة الواقعة بين عامي 1761- 1767م، وقد تولى رئاستها «بيتر فورسكال» عالم الأحياء المشهور. بعد ذلك توالت الرحلات المتواصلة لاستكشاف البحر الأحمر وسبر أغواره.

ويمثل البحر الأحمر جزءاً من الأخدود الإفريقي العظيم الذي يمتد من جنوب خط الاستواء حتى شمالي فلسطين، ويمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بين خطي عرض 35 درجة شمالاً، 30-12 شمالاً لمسافة تزيد على 1950 كم. ومنذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تم اكتشاف مناطق تزخر بكميات كبيرة من الرسوبيات المعدنية، وقد تم اكتشاف قرابة ثمانية عشر موقعًا لهذه الرسوبيات في المنطقة العميقة الواقعة في المنتصف بين المملكة العربية السعودية والسودان. وإلى جانب تلك الخيرات والثروات التي يزخر بها البحر الأحمر، فإن فيه أجمل شعب مرجانية في العالم وأروعها، نظرًا لما تتميز به من جمال الشكل واللون؛ فهي تبدو للناظر من أول وهلة كأنها عقود متلألئة تزين صدور الحسان.

نشأة المرجان وهيئته

المرجان حيوان دقيق الحجم يسمى بوليب POLYP، وينتمي إلى شقائق البحر وقناديل البحر.

ويعيش المرجان في مستعمرات متحدة، حيث يفرز أملاحًا كلسية من البحر، يكوّن لنفسه منها هيكلاً متحجراً. ويواصل الجزء الحي منه النمو إلى أعلى. أما بقية الهيكل السفلي فتتحجر لتصبح صخراً مرجانيًا. وأغلبية المرجان تفرز هيكلاً جيريًا صلبًا يتخذ أشكالا مختلفة، منها ما هو على شكل

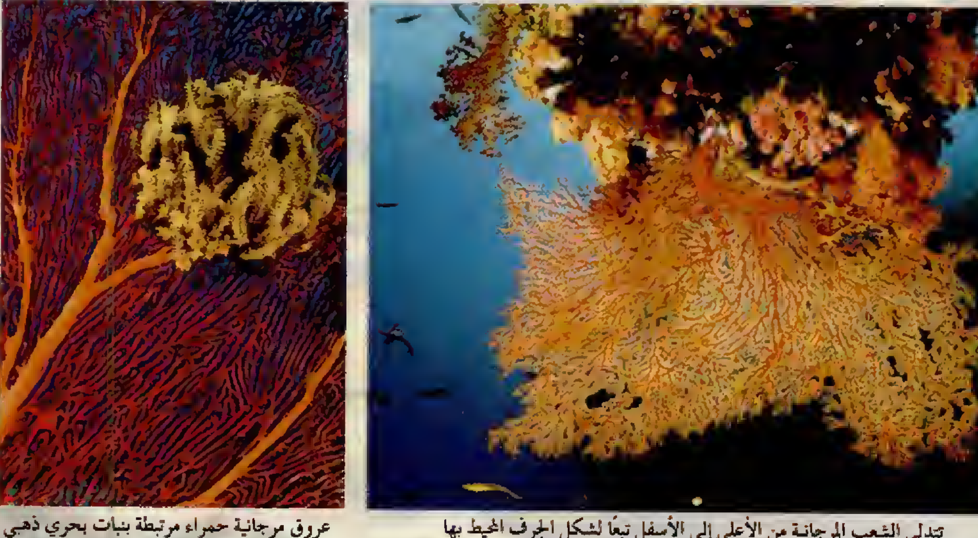


قرون الغزال، أو شكل فروع الشجرة، أو قبة. وتوجد أنواع مختلفة من حيوان المرجان، فهناك المرجان الرباعي، وهو مرجان منقرض ظهر في العصر الأردوفيشي وبلغ أوجه في العصر السيلوري واختفى في نهاية حقب الحياة القديمة قبل نحو 200 مليون سنة. وقد أتى بعد هذا النوع مرجان آخر يدعى المرجان السداسي -HEXA ZOANTHARIA أو CORALLIA، وهذا المرجان هو الباني للشعب المرجانية في البحار الحديثة، كما يوجد أيضا المرجان الثاني -OCTACORAL LIA.

والمرجان حيوان بطيء النمو حيث يتراوح نموه بين 1- 8 سم في السنة، لذلك يحتاج المرجان إلى 50 سنة للبلوغ، وإلى ما يقارب 75 سنة ليصبح صالحًا للجني.

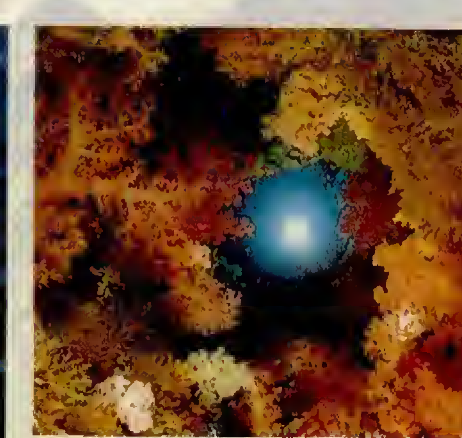
يبدأ المرجان أطوار حياته على شكل يرقة تستقر في القعر بعد مدة وجيزة، ثم يبدأ بالتحول ليصبح حيوانًا كامل النمو، بعد ذلك تظهر بروزات جانبية تدعى «البراعم» حيث تنمو هذه البراعم بشكل تدريجي، ثم تظهر فتحة الفم في وسطها، وينمو حول الفم عدد من المجسّات التي تؤدي دورًا كبيرًا في عملية التغذية، وبعد أن يكتمل نمو البراعم تتحول إلى مجموعة من «البوليب» التي غالبًا ما تبقى متصلة بعضها ببعض مكوّنة الشعب المرجانية، التي قد تحتوي على مئات أو ألوف من البوليب.

ولا يعيش المرجان في درجة حرارة أقل من 20 درجة مئوية، لذلك يتركز نمو الشعب المرجانية في المياه الدافئة الاستوائية والمدارية الواقعة بين خطي عرض 30 درجة شمالاً و 25 درجة جنوبًا. كما أن المرجان لا يمكن أن ينمو قرب الأنهار أو الأودية التي تصب في البحر مكونة كميات كبيرة من الرسوبيات، كما أنه يعيش في نطاق ضيق من الحرارة والملوحة والعمق.



تتدلى الشعب المرجانية من الأعلى إلى الأسفل تبعًا لشكل الجرف المحيط بها

عروق مرجانية حمراء مرتبطة بنبات بحري ذهبي اللون



الأنوار الكاشفة تخترق كهفًا مرجانيًا لالتقاط أجمل الصور

كيف يتغذى حيوان المرجان

يتغذى حيوان المرجان انفراديًا أو جماعيًا على الحيوانات والعوالق البحرية التي يقوم باصطيادها بوساطة مجسات تحيط بالفم، وهي مزودة بخلايا لاسعة تقوم بشل حركة الفريسة، ثم دفعها إلى الفم الذي يقع في حلقة المجسات. وفي أثناء النهار تندفع البوليب إلى داخل الجسم، وعند حلول الظلام تتفتح هذه الزوائد ومجساتها بسبب امتلائها بالماء الذي يدخل إلى الفم من خلال التيار المتولد نتيجة حركة الشعيرات الموجودة على



تجمعات من الشعب المرجانية توجد بالقرب من الشواطئ والمنتجعات السياحية



السطح الخارجي للبوليب.

ويعتقد أن هناك طريقة أخرى يعتمد عليها المرجان في غذائه، فقد وجد العلماء أن أنسجة المرجان الحية تحتوي على خلايا نباتية تدعى زوكسانثيلا ZOOXANTHELAC ويعتقد أن المرجان والزوكسانثيلا يتعايشان معًا؛ حيث يقوم النبات بالحصول على الحماية وعلى الغذاء الناتج من الفضلات التي يفرزها المرجان، ويقوم المرجان بالاستفادة من الأوكسجين الذي يخرجه هذا النبات الضيف.

والمرجان في الأصل حيوان ثابت في مكانه، ولكن ثبت أنه يوجد على الأقل نوع واحد من المرجان ينتقل من مكان إلى آخر. وقد اكتُشف هذا النوع سنة 1967م على يد العالمين «جوربا» والسير «يونج» في أثناء دراستهما للشعب المرجانية الموجودة في الشواطئ الاسترالية، حيث لاحظا مرجانًا صغيرًا يتحرك فوق السطح الموحل للساحل.

الشعب المرجانية

الشعب المرجانية هي أرصفة من الصخور المرجانية التي قد تمتد مسافة مئات الكيلو مترات، وتوجد في المياه الضحلة على شواطئ الجزر والقارات في المناطق الاستوائية، لذلك فهي تسمى الشعب الشاطئية. ويمكن تقسيم الشعب المرجانية إلى ثلاثة أنواع حسب أمكنة وجودها:

أ ـ الشعب السجافية FRINGING REEF:

وهذه تكوّن أرصفة ملاصقة للشواطئ ولا تظهر فوق الماء إلا في أثناء حركة الجزْر.

ب ـ الشعب الحاجزية BORRIER REEF:

وهذه تكوّن أرصفة عالية على هيئة حواجز حول الشاطئ ويفصلها عنها بحيرات شاطئية طولية LAGOONS.

ج ـ الشعب الحلقية ATOLL REEF:

وهذه الشعب ذات شكل دائري كامل ذي استدارة تامة أو قريبة من التمام.

نظريات حول نشأة الأشكال المرجانية

ـ نظرية الهبوط: هذه النظرية وضع أساسها تشارلز دارون عام 1832م، ثم عدلها عام 1842م نتيجة لمشاهداته في أثناء رحلاته البحرية عبر المحيط الباسيفيكي، وتأكده من أن حيوان المرجان لا ينمو إلا حيثما تكون المياه ضحلة، ويقول دارون: إن المرجان ينمو إلى أعلى حتى يصل إلى مستوى الماء في أثناءحركة الجزر، والشعاب التي تنمو في هذا الوضع الثابت تكون ساحلية، ولكن في حالة هبوط السواحل المرجانية وارتفاع منسوب الماء يصبح المرجان في أعماق بعيدة ويتماشى نموه الرأسي والأفقي مع معدل الهبوط.

وقد تم اكتشاف العديد من الحواجز والحلقات المرجانية المغمورة أمام الساحل الشمالي الشرقي لغينيا الجديدة وفي بحر المرجان، كما أن العديد من الجبال البحرية التي تبرز من قاع الباسيفيكي وتتميز بتسطح قممها ـ التي تتراوح أعماق المياه فوقها ما بين 550 و900 متر ـ قد وُجدت بها حفريات مرجانية من العصر الكريتاسي، حيث هبطت إلى الأعماق التي لا تسمح بالنمو المرجاني وذلك في أثناء الزمنين الجيولوجيين الثالث والرابع. وتعد نظرية الهبوط لدارون ـ على بساطتها ـ من النظريات التي جذبت اهتمام العلماء، فقد أشار «ديفز» سنة 1928م إلى أن السواحل المحاطة بحواجز مرجانية مثل ساحل



شعبة مرجانية بلون زهري قد تصبح مع الزمن شعابًا متفرقة

شرقي كوينزلاند تعد دليلاً قويًا على عمليات الهبوط والغمر البحري في شكل شروم وخلجان ومصبات أودية، وقد عَدَّ ديفز اختفاء الجروف بصفة عامة من مثل هذه السواحل دليلاً على أن الحواجز المرجانية قد نمت إلى أعلى حيث هبط الرفرف القاري وأصبح الساحل محميًا من اصطدام الأمواج العاتية.

ـ نظرية عدم الهبوط: تقول هذه النظرية بأن التغير في منسوب البحر ليس ضروريًا لتكوين الشعاب المرجانية، التي تكونت فوق أرصفة بحرية مغمورة تتميز بالثبات. وقد أنشأ هذه النظرية «رين» سنة 1870م، وأكدها ونادى بها «موري» سنة 1880م، وذلك بعد رحلاته مع فريق سفينة الأبحاث تشالنجر في المدة من 1872 إلى 1876م، حيث لاحظ وجود قمم بركانية غارقة في المحيط الباسيفيكي تغطيها رواسب كلسية، وقد أيده «سيمبر» في نظريته التي تذهب إلى أن عملية بناء الشعب قد بدأت عندما كَوَّن حيوان المرجان والطحالب المرتبطة به أرصفة غارقة تشكلت بفعل العمليات البحرية في المياه الساحلية، أو بفعل تراكم رواسب الشطوط الغارقة، وعُدَّت هذه الأرصفة قواعدَ نبتت فوقها الشعاب، ثم تطورت في صورة حلقات وحواجز مرجانية. ولا يزيد عمق الماء فوق هذه الأرصفة والتلال المغمورة بمياه البحر على 90 مترًا عادة. وهو العمق الملائم لنمو المرجان. وقد دعم هذه النظرية العالم «لويس أجاسيز» عام 1903م بتقديمه نظرية مشابهة ترى أن عملية النحت البحري قد سبقت بناء الشعب المرجانية، كما يرى أن عملية بناء الشعب من الممكن أن تستمر فوق الأرصفة البحرية لتظهر فوق سطح البحر دون حاجة لأي تغييرات في منسوب سطحه. والمهم في رأيه أن تكون الظروف ملائمة للنمو المرجاني، وأن العلاقة بين مستوى الماء واليابس في الوقت الحالي لا تختلف عنها في الحقب الزمنية السابقة.

ـ نظرية التحكم الجليدي: تحدث عنها «دالي» عام 1915م، وهي تربط بين هذه التغييرات التي حدثت لمستوى





كثرة الشعب المرجانية بالقرب من الشواطئ قد تكون سببًا في توقف الملاحة

سطح البحر في الزمن الرابع (البلايستوسين) ونمو الشعب المرجانية، وقد اقترح «دالي» هذه النظرية بعد تأكده من أن الشعاب المرجانية قد تكونت خلال العصر الجليدي. وملخص النظرية أنه قد نتج من تجمد المياه فوق اليابس هبوط منسوب المياه في البحار هبوطا تراوح ما بين 33 و38 قامة، وذلك في أثناء المرحلة الجليدية الأخيرة، مما أدى إلى انكشاف الشعاب المرجانية التي تكونت في المراحل السابقة. ويلاحظ أن النمو البركاني قد اقتصر على الأجزاء الدافئة فقط من المحيطات ما بين خطي العرض 10- 15 درجة شمالاً وجنوبًا. بينما تجمدت المرجانيات في العروض الأبعد من ذلك في نصف الكرة الشمالي لأرصفة النحت البحري التي أصبحت على عمق نحو 30 قامة تقريبًا.

الشواطئ السعودية والشعب المرجانية

يزخر البحر الأحمر بشعب مرجانية كثيرة وخصوصًا على الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية. وقد تسربت بعض أحياء المحيطين الهادي والهندي إلى البحر الأحمر من طريق مضيق باب المندب حيث إن مياهه ملائمة لنمو المرجان وانتشاره بشكل كبير.

كما أن لدرجة حرارة مياه البحر الأحمر الفضل الكبير في إيجاد بيئة مناسبة للنمو، فهي تتراوح ما بين 21 - 22 درجة مئوية بالإضافة إلى ضحالة المياه التي ينمو فيها حيوان المرجان، إذ إن عمقها لا يزيد على 45م كما أن ملوحة البحر الأحمر تبلغ ستة وثلاثين جزءًا ونصف الجزء من الألف في الجنوب بينما تصل إلى أربعين جزءًا من الألف في الأجزاء الشمالية. كما لوحظ أن الشعب المرجانية تقل وتتلاشى عند مصاب الأودية، ويرجع هذا إلى ارتفاع نسبة الرواسب التي تقذف بها هذه الأودية في مياه البحر مع قلة نسبة الملوحة مما يؤدي إلى تعكيرها، ومن ثم وجود ثغرات متعددة في هذه الشعب المرجانية، وينشأ عن هذا ما يعرف بالشروم. وقد لاحظ الباحثون أن الشعب المرجانية على طول ساحل البحر الأحمر تتميز بأن قواعدها توجد على أعماق تزيد على 100متر في بعض الأحيان، وهو عمق لا يسمح ببناء الشعب المرجانية، ولهذا يمكن القول بأنه عندما بدأت الشعب المرجانية في التكون كان مستوى سطح البحر الأحمر أقل انخفاضًا من مستواه الحالي، أو أن قاعه كان أعلى مما هو عليه الآن. ودلت الدراسات والبحوث على أن النصف الجنوبي من البحر الأحمر زاخر بالشعب المرجانية،







كهوف وجروف تشكل عليها المرجان وجعلها أشبه بباقة زهر



أما النصف الشمالي فتتركز فيه الشعب عند مدخل خليج العقبة. وتمتد الشعب المرجانية على هيئة خطوط طويلة موازية للساحل حيث تظهر على صورة أشرطة ملاصقة للساحل لعدة كيلو مترات.

ويوجد كثير من الشعب المرجانية المنعزلة التي تقع على مسافة كبيرة من خط الساحل، أو في عرض البحر، وتكوّن جُزُرًا مرجانية كما هو الحال أمام جيزان والحريبة وأملج حيث يظهر كثير من الجزر الصغيرة والبقاع الضحلة التي تسبب خطورة كبيرة على الملاحة.

وتنقسم الشعب المرجانية على الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية إلى مجموعتين رئيسيتين هما:

- **الشعب المنعزلة**: تكثر هذه الشعب في الجنوب من البحر الأحمر على عمق ما بين 200إلى 210 قامات، وتمتد هذه الشعب ما بين 32 إلى 81 كم من الشاطئ مكونة ما يسمى بالشط. ويعتقد أن هذه الشعب قد تكونت على جزر بركانية تكونت بدورها نتيجة لاندفاع الصهير البركاني. ولعل حركة انسياب المياه من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر من أهم العوامل التي أسهمت في تكوين هذا النوع من الشعب المرجانية.

- **الشعب المرجانية الساحلية**: تحيط بالساحل الملاصق للمملكة العربية السعودية شعب ضحلة يتراوح عرضها بين عدة أمتار وأكثر من كيلو متر.



شعب مرجانية تقف شامخة متحدية ظلمة البحر وشدة تياراته المائية

ويعتقد أن هذه الشعب قد نمت في المياه الضحلة المحمية التي تمتد لمسافة 1,5 كم من خط الشاطئ. ويبلغ متوسط عرضها قرابة 400 متر. ومعظم الساحل الجنوبي من خليج العقبة محاط بالشعب المرجانية. وتوجد ثلاث مناطق على الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية تكثر فيها الشعب المرجانية والبقاع الضحلة:

أ ـ المنطقة الأولى: تمتد من رأس الشيخ حميد حتى الوجه جنوبًا.

ب ـ المنطقة الثانية: تمتد هذه المنطقة من جنوب الوجه حتى شمال الليث، وتكون الشعب المرجانية فيها على أشكال متقطعة.

وتمتد الشعب الشاطئية متوازية إلى الغرب وقريبة من منطقة ذات قاع مسطح من الرأس الأبيض إلى رأس مستورة، وتوجد بعض المرافئ الطبيعية التي تقطع سلسلة الشعب الساحلية مثل: مرافئ رابغ والقضيمة وتول، كما توجد بشكل مكثف حول مدينة جدة.

جـ ـ المنطقة الثالثة: وتمثل القسم الجنوبي من الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية وتحتل مساحة قدرها نحو 18 ألف كم مربع ينتشر فيها ما يقارب 500 جزيرة وشعبة.

أما الشطوط المرجانية في أغلب الجهات فتوجد بعيدة من الساحل ببضع مئات من الأمتار، ولكنها قد تمتد داخل البحر تبعًا لامتداد الرصيف القاري، فترَى ممتدة قرب شبه جزيرة رأس بناس إلى مسافة 10كم داخل البحر. والشطوط المرجانية تحول دون وصول السفن إلى الشاطئ، وتجعل الملاحة خطرة للغاية، خصوصًا ما كان منها غير ظاهر فوق سطح الماء. ويمكن أن يستدل على الشطوط المرجانية من خلال لون الماء نفسه فيكون عندها زمرديا أو أخضر باهتًا، ويرجع خطر الشطوط إلى أنها لا تغطس عن منسوب الماء بأكثر من متر واحد.

وهذه الشطوط تتخللها في بعض الأماكن فتحات طبيعية يمكن للسفن أن تجتازها وتصل بأمان إلى الشاطئ. وعند هذه الفتحات تنشأ المراسي الكثيرة التي توجد على ساحل البحر الأحمر، وهذه الفتحات ناشئة من تلاطم الأمواج، ثم من تأثير المياه العذبة المنحدرة من بعض الوديان في فصل الأمطار، إذ إن المرجان لا يعيش في المياه العذبة، لذا فإن المراسي المذكورة توجد عادة قرب مصبات الوديان التي تنحدر من مرتفعات البحر الأحمر.

وعلى الرغم من أضرار الشعاب المرجانية وأخطارها فهي تعد من ناحية أخرى حاجزًا يحمي الشاطئ من أمواج البحر المتلاطمة.

المرجان والإنسان

لقد استعمل الإنسان المرجان في صناعة الحلي منذ آلاف السنين، ويفضل كثير من الناس اللون الوردي الغامق والبرتقالي. وقد رافق استعمال الإنسان للمرجان كثيرٌ من الخرافات، فمنهم من اعتقد أن المرجان يجلب الحظ أو الحكمة، أما الصينيون فيعتقدون بأن للمرجان خواص سحرية لذلك استخدموه لقرون عديدة كنوع من الطلاسم.

ومن الأساطير التي ارتبطت بالمرجان اعتقاد الإغريق بأنه الدم المتخثر النازف من رأس «ميدياس» بطل إحدى الأساطير الإغريقية. إلى جانب الاعتقاد بأن له قوة خارقة في شفاء كثير من الأمراض.

المراجع:

-NATIONAL GEOGRAPHIC, DECEMBER 1996.
- THE SEASHORE AND ITS WILDLIFE - ROBERT BURTO.
- READ SEA DIVING GUIDE - ANDERCA GHISOTTI ALESSANDRO CARLETTI. 1995.
- الدارة، العدد الرابع، السنة التاسعة 1984م.
- جيومورفولوجية السواحل، د. محمد صبري سليم، 1991م.



الذهب المسبوك

في ذكر من حجَّ من الخلفاء والملوك

لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي 766- 845 هـ

حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

يتناول الكتاب موضوعًا طريفًا، فهو يؤرخ لكل من حجَّ من الخلفاء والملوك. وقد بدأ المؤلف بالتأريخ لحجة الرسول - صلى الله عليه وسلم - المعروفة بحجة الوداع، ثم قسم الكتاب قسمين: أرَّخ في القسم الأول لمن حجَّ من الخلفاء في أثناء مدة خلافته، وفي القسم الثاني من الكتاب أرخ لمن حجَّ من الملوك والسلاطين منذ أن انقسمت الخلافة إلى دُويلات يحكمها ملوك كُثر، إلى عهد الملك الأشرف شعبان القلاووني (754- 778هـ) أحد سلاطين المماليك بمصر.

ولم يتقيد المؤلف في اختياره بدولة أو بلدة ما، بل إنه تتبع الملوك في مختلف البلدان الإسلامية من مصر إلى اليمن إلى الشام إلى بلاد التكرور، وأحصى مَن حجَّ من ملوكها، فأرَّخ لهم الواحد بعد الآخر حسب الترتيب الزمني لسنّي أدائهم مناسك الحج.

والكتاب - على صغر حجمه - مفعم بالمعلومات الجديدة، والحديث عن الحياة الاجتماعية السائدة في مختلف البلدان الإسلامية وعلى تعاقب الدول، كالدولتين الأموية والعباسية ودولة المماليك، وهو في حديثه عمَّن حجَّ من الملوك والخلفاء يورد معلومات كثيرة وطريفة عن الإصلاحات المتتالية التي قاموا بها في مكة المكرمة والمدينة المنورة لخدمة الحجاج، والعمل على راحتهم، مثل تجديد بناء الحرمين الشريفين وتوسعتهما، وإصلاح الطرق، وحفر الآبار بطريق الحجاز، وعمل خزانات المياه، وإجراء العيون، وكسوة الكعبة. ويذكر في هذا الموضوع أن الكسوة كانت «لا تُنزع من الكعبة في كل سنة، بل تُلبس كل سنة كسوة فوق تلك الكسوة، فلمَّا تكاثر العهد وكثر ذلك، خافت السَّدَنَةُ على الأركان أن تنهدم لثقل ما صار عليها من الكسوة، وكان أول من نزع كسوة الكعبة الخليفة المهدي العباسي [محمد بن عبدالله 127- 169هـ]، فنزع الكسوة القديمة وألبسها كسوته».

ويسوقنا الحديث عن كسوة الخليفة المهدي للكعبة إلى إيراد شيء مما ذكره المقريزي عن حج هذا الخليفة، فيقول: «وأنفق المهدي في هذه الحجة مالاً عظيمًا، قدم به من العراق، يبلغ ثلاثين ألف ألف درهم [أي ثلاثين مليون درهم] سوى ما وصل إليه من مصر، وهو مبلغ ثلاثمئة ألف دينار، ومن اليمن مبلغ مئتي ألف دينار، فرَّق ذلك كله، ومعه مئة ألف وخمسون ألف ثوب، ووسَّع مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو أول خليفة حُمِل إليه الثلج إلى مكة، وأمر ببناء القصور بطريق مكة أوسع من القصور التي بناها السفاح، وأمر باتخاذ المصانع في كلِّ منها [والمصانع: جمع مصنعة، وهي مكان كالحوض يُجمع فيه ماء المطر]، وتجديد الأميال، وحفر الركايا [وهي الآبار]، وأمر بإقامة البريد بين مكة والمدينة - بغالاً وإبلاً - ولم يكن هناك بريد قبل ذلك».

ويذكر عن الخليفة هارون الرشيد [هارون بن محمد 149- 193هـ] أنه كان يغزو سنة ويحجُّ سنة، فحجَّ تسع حجج، وعدّدها، ويقول عن إحداها: «مشى من مكة إلى عرفات، وشهد المشاعر كلّها ماشيًا، ولم يحج من الخلفاء ماشيًا أحد غيره»، ويقول: «إن الرشيد كان إذا حجّ، حجّ معه مئة من الفقهاء وأبنائهم، فإذا لم يحجّ، أحجّ ثلاثمئة رجل بالنفقة السابغة، والكسوة الطاهرة الفاخرة، ولم يُر خليفة قبله أكثر عطاءً منه»، ويشير إلى أنه لم يحجّ من خلفاء العباسيين في بغداد أحد بعد هارون الرشيد.

هذا عن الكتاب، أما مؤلفه، فهو مؤرخ الديار المصرية الشهير تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي، ولد سنة 766هـ، وتوفي سنة 845هـ، وله الكثير من المصنفات في التاريخ، مثل: المقفّى، والسلوك، والمواعظ والاعتبار، وغيرها الكثير، حتى إن السخاوي ذكر أنه قرأ بخطه - أي المقريزي - أن تصانيفه زادت على مئتي مجلد.

وقد قام بتحقيق الكتاب الدكتور جمال الدين الشيَّال، الذي حقَّق عدة رسائل من تأليف المقريزي قبل ذلك، واعتمد في تحقيق هذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية، إحداها نُقلت عن أصل المؤلف، وعلَّق الدكتور الشيال على ما يراه جديرًا بالتعليق، ووضح العبارات المبهمة وشرحها، كما قام بتوثيق النصوص الواردة في الكتاب، وألحقه بفهارس مفصلة تعين القارئ له، وقدم له قبل ذلك بمقدمة موسعة مفيدة، اقتبسنا منها كثيرًا في التعريف بهذا الكتاب.

وقام بنشر الكتاب مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد سنة 1955م.

التلقائية في الأدب القديمة

د. كمال نشأت

كانت اللغة في أول أمرها عند الإنسان البدائي الأول همهمات ثم صيحات خاصة، وابتدأت هذه الصيحات تتحدد وتنتشر ويُتَّفَق عليها، وبذلك تكونت اللغة الإنسانية الأولى، وطبيعي أن تكون مفرداتها قليلة تمثل الاحتياجات الإنسانية لأناس بدائيين، وهي لا تخرج عن التعامل مع العالم الخارجي المحدود الذي يتعاملون معه (الشجرة - الأسد - الرجل - المرأة - النهر - الطعام - الليل - النهار - الخ ...)، وهي لغة لا تتعدى 300 لفظة كما يقول العلماء، ومن الطبيعي أيضاً أن تبتعد من الألفاظ ذات المعاني المعنوية القائمة على التجريد.

ولغة الأطفال تمثل هذه المرحلة البدائية التي مرت بها الإنسانية، وكل أب في مقدوره أن يلاحظ هذه السمات البدائية الفطرية في لغة أطفاله وذلك في مجال التعبير عن النفس وعن الأشياء، ثم في استعمال الضمائر. ومن خلال معايشة أحفادي ومن واقع التجربة الخاصة ألاحظ أن «كريم» الذي لا يتجاوز عمره ثلاث سنوات ونصف السنة يقول: «أنا عايزة» وهو تعبير تقوله الأنثى، ولكنه طفل ذكر يقلد أمه حينما يسمعها تقول هذه الجملة لأنه في مرحلة يحاول فيها معرفة الأشياء، ويتحسس طريقه لالتقاط ألفاظ اللغة الدائرة على ألسن الكبار الذين يعيشون حوله، ومنهم يلتقط لغته القومية.

أما «رنا» أخته ذات أربع السنوات ونصف السنة فهي تصف سيارة مسرعة بتعبير فطري أقرب إلى تلقائية التفكير والتصور التي لا تجد الألفاظ المحددة المناسبة التي اتفق عليها الناس، والتي وصلوا إليها بعد تجارب شاقة خلال أجيال ضاربة في تاريخ الحياة الإنسانية التي ارتقت عبر الزمن فارتقت معها لغتها.

إن «رنا» في تعبيرها الفطري التلقائي تعبر عن مرحلة بدائية في التصور والتفكير تمثل مرحلة الإنسان البدائي الأول الذي يشبه تصوره وتفكيره مرحلة الطفولة.

لقد وصفت «رنا» سيارة مسرعة بقولها: «العربية دي بتجري كتير» تريد أن تقول: «إن هذه السيارة مسرعة»، ولكن لفظة الإسراع والسرعة لم تُعرف إلا بعد أجيال، وكان التعبير الأقرب إلى الفطرة الساذجة ذات الحصيلة اللغوية المحدودة التي تمثل مرحلة القصور اللغوي لدى الإنسان البدائي الأول عن «السرعة»، أن تقول الطفلة الصغيرة عندما تصف السيارة المسرعة بقولها: «بتجري كتير»، وهو تعبير فيه من حلاوة التلقائية وسذاجة التصور والصدق والبساطة الشيء الكثير. وفي زماننا هذا يشارك الأطفالَ سذاجةَ التصور وسذاجةَ التفكير ومن ثم سذاجةَ التعبير الأميُّون البسطاء من الناس كالفلاحين ورعاة الغنم الذين يعيشون مع زراعاتهم أو أغنامهم أكثر مما يعيشون مع الناس، من هنا كانت فطرتهم الصافية وسذاجتهم التي تكشف عن معدنهم البدائي الأصيل، ومن هنا أيضا كان أدبهم الشعبي أو فنونهم الشعبية المعبرة عنهم صورة صادقة للنفس الإنسانية في بساطتها الأولى.

ومن الدلائل التي ميزت الإنسان البدائي من ناحية التعبير اللغوي ما لاحظه العلماء من أن سكان جزيرة «تسمانيا» القريبة من أستراليا لا يعرفون «الصفة»، فهم إذا أرادوا وصف شيء أتوا بتشبيه له تتحقق فيه الصفة المقصودة، فإذا كان هناك رجل طويل مثلاً فإنهم يقولون: «إن فلانا مثل شجرة كذا». وعدم وجود «الصفة» في لغة هؤلاء الناس يدل على بدائية تفكيرهم، لأن معرفة الصفة تحتاج إلى قدرة عقلية قادرة على «التجريد»؛ فالطول حقيقة جابهت الإنسان الأول في الأشجار والجبال والناس على اختلاف في النِسَب، واستخراجها بوصفها صفة متحققة في كل الأشياء، وتنحيتها عن صفات أخرى تتصف بها هذه الأشياء عملية عقلية راقية.


د. محمد مندور
ت. إس. إليوت

ومن المعروف أن الألفاظ الدالة على المعاني المجردة غير المادية مثل لفظة «حق» أو «عدل» مثلاً لم يعرفها الإنسان في نشأته الأولى إلا بعد رقيٍّ عقلي وتحضر عام نسبي.

وربما كانت طريقة التشبيه التي لجأ إليها أهل هذه الجزيرة صورة تماثل البداية الأولى للوصول إلى «الصفة» وإلى تسميتها بهذا الاسم بعد إدراكها عقليًا، والتشبيه كما نعلم يربط بين شيئين متشابهين و«وجه الشبه» هو الرابط بينهما، وهو يجمع بين شيئين منفصلين في الواقع المادي.

إن جملة التشبيه في التعبير الفني البعيد من التعبير اليومي المباشر تكتسب جمالاً نراه في الآداب القديمة التي كانت تعبيراً صادقًا عن فطرة الإنسان البدائية. وسذاجة النظرة وسذاجة التصور يقفان وراء الصورة التشبيهية التي ترسم مشهدًا فيه طفولة التخيل الفطري، ونحن نرى ذلك في الملاحم وفي الأدب الشعبي وفي الشعر البدائي عامة.

إن التشبيهات التي نراها في الآداب القديمة الأقرب إلى البدائية مثل «الإلياذة والأوديسة» تحمل من جمال السذاجة وطفولة النفس البشرية ما يحقق نمطًا من الروعة لم يستطع أن يحققه الشعراء الذين كتبوا بعض الملاحم منذ القرون الوسطى حتى القرن التاسع عشر الميلادي، ذلك أن التقدم الحضاري القائم على التفتح العلمي في كل جيل قد عقّد الحياة وابتعد بالنفس الإنسانية من طفولتها الأولى. ويلاحظ الدكتور محمد مندور أن «هوميروس» حينما وصف «هيلانة» التي كانت سببًا في نشوب الحرب بين طروادة وبلاد اليونان كان يصفها بصفة واحدة تذكر بعد اسمها، فكان يقول: «هيلانة ذات الحزام العميق»، وكان يصف «أندروماك» ذات الجمال الصاعق بـ«ذات الذراع الأبيض». ويقول مندور إن تكرار ذكر الصفة بعد الاسم كلما ذُكر يولّد فينا «إحساسا عميقا بالجمال، ويطلق هذا الإحساس العنان للخيال ليتصور ما شاء من مواضع الفتنة والجمال..».

ومن الملاحظ أن روح هذه البساطة وجمال السذاجة يتحققان في كثير من الآداب القديمة كما قلنا، وسنرى ذلك في الحوار الذي دار بين حبيبين في الأدب الفرعوني.. فالحبيبة تقول: «أخي.. ما أحلى الذهاب إلى البحيرة والاغتسال على مرأى منك لترى جمالي في ثوبي الكتاني الرقيق حينما يبتل... سأنزل إلى الماء ثم أخرج إليك بسمكة حمراء جميلة.. على أصابعي ترقد..».

ويرد الحبيب قائلاً:

«إن حب أختي [حبيبتي] على ذاك الشاطئ ويفصل بيني وبينها الماء وتمساح على الشاطئ الرملي يربض.. ولكني حين أنزل في الماء وأسير على الفيضان يصبح قلبي جسورًا على المياه التي أصبحت كاليابسة تحت قدمي.. إن حبها هو الذي يبعث فيَّ القوة.. حقا إنه الحب يعمل له رقية الماء.. وإني حينما أنظر إلى «أختي» آتية ينشرح صدري.. وقلبي يبتهج...».

وإنك لترى طفولة النفس البشرية وسذاجتها في المقطوعة الفرعونية التالية أيضًا:

«إن شجرة الجميز الصغيرة التي غرستها بيديها تنطق بصوتها لتتكلم، وهمس أوراقها حلو كالعسل المصفى... ما أرشق غصونها الجميلة، فهي خضراء وهي محملة بفاكهة الجميز التي تفوق العقيق حمرة، وأوراقها مثل حجر الزمرد خضرة، مجلوة كالزجاج وخشبها لونه مثل حجر «نشعت» أبيض تعلوه زرقة.. إنها تجذب إليها أولئك الذين لم يجدوا فيئًا لامتداد ظلها الظليل..».

وإذا راجعت ملحمة «جلجامش» سترى هذه الطفولة وسذاجة التصور نفسيهما في مشاهد تستعلن بالتلقائية الصادقة:

«تعال يا جلجامش وكن عريسي الذي اخترت، ستكون أنت زوجي وأنا زوجتك، في بيتنا ستجد شذا الأرز يعبق إذا ما دخلته.. إذا ما دخلت بيتنا فستقبل قدميك العتبة والدكة، وستلد عنزاتك ثلاثا ثلاثا، وتلد نُعاجك التوائم». فيرد جلجامش رافضًا:

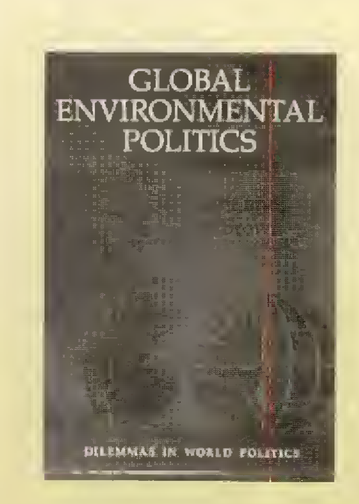
«أي خير سأناله لو أخذتك زوجة؟ أنت.. ما أنت إلا الموقد الذي خمدت ناره في البرد، أنت كالباب الخلفي لا يحفظ من ريح ولا عاصفة، أنت قصر يتحطم في داخله الأبطال، أنت قربة تبلل من يحملها...».

من هنا كان رجوعنا إلى معايشة هذه الآداب القديمة بالقراءة والتأمل والاستمتاع عودة إلى حياة الفطرة الصادقة السليمة، ولعل ارتداد الشعر الإنجليزي إلى الواقعية الرومانسية كما مثلتها موجة شعراء الشباب الإنجليز والتي أسموها «الحركة»، وهي التيار الذي ناهض عقلانية «ت. إس. إليوت»، واستفاض وقوي بعد موته وموت مدرسته الشعرية، لعل هذه الحركة إشعار بحاجة الناس إلى الشعر القريب من فطرة الإنسان بعيدًا من الحذلقات وبرودة الذهن، وبعيدا من المذاهب المتخطية احتياجات الناس الوجدانية، وخاصة في زمن رديء مملوء بالمشكلات مهدد بحروب ساحقة؛ مما جعل الناس في حاجة إلى القصيدة «الواحة» لا القصيدة «اللغز».

جملة التشبيه في التعبير الفني البعيد من التعبير اليومي المباشر تكتسب جمالاً نراه في الآداب القديمة التي كانت تعبيرًا صادقًا عن فطرة الإنسان البدائية

السياسات البيئية العالمية

تتحرك قضية البيئة بسرعة من حالة الركود الدبلوماسي لتصبح في الصدارة قضية ترمز إلى النظام العالمي بعد الحرب الباردة. وهي - بوصفها رمزًا - تمتلك كل شيء:
العناوين المثيرة، والأبعاد الأمنية والاقتصادية، والمقومات المعنوية والتقنية، والمنظمات الحكومية الدولية، والمنظمات غير الحكومية، إضافة إلى تداخلات غاية في التعقيد. ولكن التحرك أبعد من الرمزية سيكون عسيرًا، لأن النظام الدولي ليس قائمًا لمعالجة القضايا التي تتخطى الحدود القومية والاتجاهات الفكرية التقليدية، في حين أن المشكلات الرئيسية التي تعاني منها البيئة العالمية تتحدى الهياكل والمبادئ المسلم بها.



تأليف:
جاريث بورتر
وجانيت ويلش براون
عرض وتقديم:
طه عبدالرحمن محمد علي

ويعد كتاب «السياسات البيئية العالمية» أول كتاب يقدم عرضًا موجزًا، لكنه شامل للبعد السياسي لقضايا البيئة العالمية، ويفسر مؤلفا الكتاب، اللذان تعاونا من قبل في معهد الموارد العالمية، ظهور الاهتمام بالبيئة بأنه نتيجة للاتجاهات الكبرى لتدهور البيئة - مثل ثقب طبقة الأوزون، وقطع أشجار الغابات الاستوائية المطيرة - وظهور حركة دولية جديدة للبيئة، وهما يطوفان بالقراء عبر تاريخ وسياسة ثماني قضايا بيئية رئيسية بدءًا من ارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية، والأنواع المعرضة للخطر، والتجارة الدولية في النفايات السامة، إلى تقويم أدوار ومصالح الدول والجهات غير الحكومية التي تضغط من أجل تحقيق تعاون دولي في مجال البيئة.

وقد أورد المؤلفان دراسة حالة محددة للتأثير البيئي لحرب الخليج لبيان أحدث تطبيق عملي لمبادئ العلاقات الدولية ونظرياتها، ويورد الفصل الأخير من الكتاب الخطط الممكنة للتفاوض حول الأنظمة البيئية الفعالة وتنفيذها.

يقع الكتاب في 228 صفحة من القطع المتوسط، ويحتوي على خمسة فصول تتنوع بين: ظهور السياسة البيئية العالمية، والممثلين في الساحة البيئية، والقضايا وتكوين الأنظمة البيئية، والسياسة العالمية، ومداخل بديلة للتعاون العالمي. ويعدّ هذا الكتاب الحديث



ضروريًا لكل المهتمين بالسياسة والبيئة والمستقبل من مختلف الأنظمة والاتجاهات.

وجاريث بورتر هو مدير البرنامج الدولي بمعهد دراسات البيئة والطاقة في واشنطن، وقد ألف عدة كتب عن السياسة في جنوب شرقي آسيا، منها «الموارد والسكان ومستقبل الفلبين» 1988. أما جانيت ويلش براون، فهي أستاذ مساعد بمعهد الموارد العالمية بواشنطن، وكانت تشغل سابقًا منصب المدير التنفيذي لصندوق الدفاع عن البيئة، وهي محررة الكتاب الذي نشر حديثًا بعنوان «في صالح الولايات المتحدة: الموارد، والنمو والأمن في الدول النامية» ويست فيو 1990م، كما شاركت في تحرير كتاب «مجاورة المشكلات: الموارد والسياسة في أمريكا اللاتينية» 1986. وقد قام المؤلفان بتدريس العديد من المناهج عن العلاقات الدولية والسياسة البيئية في عدة مؤسسات، منها الجامعة الأمريكية وجامعة جون هوبكنز وجامعة ولاية كولومبيا وجامعة هوارد.

ويؤكد مولفا الكتاب أن الكثير من السياسات البيئية العالمية تركز على جهود التفاوض لعقد اتفاقيات بين أطراف متعددة للتعاون لحماية البيئة والموارد الطبيعية، وتشكل هذه الاتفاقيات أنظمة بيئية عالمية ذات فعاليات متفاوتة تحكم تصرفات الدول فيما يتعلق بالمشكلة البيئية موضع التفاوض.

تباين المصالح.. والتحديات السياسية

ويجعل التباين في المصالح البيئية ـ حسبما تراها الدول نفسها ـ التوصل إلى رأى جماعي بين الأطراف المسؤولة التي تتأثر مباشرة بمشكلة بيئية معينة تحديًا سياسيًا ودبلوماسيًا. ومن بين المشكلات الأساسية في السياسة البيئية العالمية: قدرة واحدة أو أكثر من الدول على تعويق أو إضعاف عقد اتفاقيات بين أطراف متعددة، وكيفية التغلب على هذا التعويق. ولكي ينشأ نظام، فإنه يتعين إقناع الدول والتحالفات الرافضة بالتخلي عن رفض النظام المقترح، أو على الأقل التوصل إلى حل وسط مع الدول المؤيدة. وقد كانت إحدى القوى المعوقة لاتخاذ أيّ إجراء دولي فعّال للحفاظ على البيئة في الماضي وجود نموذج اجتماعي سائد يسمح باستغلال الطبيعة بغير حدود. وعلى الرغم من ضعف هذا النموذج والتزام نموذج التنمية المتواصلة في بعض قطاعات المجتمعات بشكل واسع الانتشار؛ فإن عملية تغيير النموذج تتطلب عدة سنوات لاستكمالها بسبب سيطرته على مؤسسات سياسية واقتصادية قوية.

وتتضمن المداخل النظرية المطروحة لتفسير تكوين الأنظمة الدولية بصفة عامة النموذج الهيكلي، والنموذج النظري للأبدال، ونموذج المساومات المؤسسية، ونموذج الجماعات المعرفية؛ وتركز هذه المداخل إما على عوامل غير مناسبة للسياسة البيئية، أو تهتم بنوع واحد من الأنظمة البيئية العالمية. ولكي يمكن تفسير تكوين النظام البيئي، فإن نموذجًا يجب أن يربطه بالمضمون السياسي الذي تقوم عليه المفاوضات، وكذلك بالهياكل الاقتصادية الأساسية للقضايا البيئية، والعوامل السياسية الفعالة التي تعطي الاتجاهات الأطول أمدًا قوة دافعة نحو أنظمة أقوى.

مفاوضات بيئية

ويتعرض الكتاب للشروط الواجب مراعاتها عند المفاوضات بشأن قضايا البيئة العالمية، إذ يتعين على الدول المعارضة إما تغيير فهمها للمشكلة نظرًا لظهور أدلة علمية جديدة، وإما تغيير موقفها تحت الضغوط الشعبية الداخلية والخوف من واقع ردود الفعل السلبية من جانب الحكومات والرأي العام في الدول الأخرى.

وتشكل الإطارات السياسية الدولية الأوسع نطاقًا أهمية بالغة لنتائجها. وقد ساعدت الروابط الاقتصادية والدبلوماسية الوثيقة بين اليابان والدول التجارية الكبرى الأخرى ورغبة اليابانيين في تحقيق مكانة دولية عالية في تغيير موقف طوكيو بالنسبة لعاج الفيل، كما أن خشية اليابان والنرويج من مواجهة النقد الدولي جعلهما يمتنعان عن تحدي الحظر المفروض على صيد الحيتان بصورة صريحة.

كذلك فإن العلاقات التاريخية بين بريطانيا وفرنسا ومستعمراتهما السابقة، والأهمية الرمزية التي تنظر بها الدول النامية لتجارة النفايات بوصفها استغلالاً، كانت عاملاً



السياسات البيئية العالمية

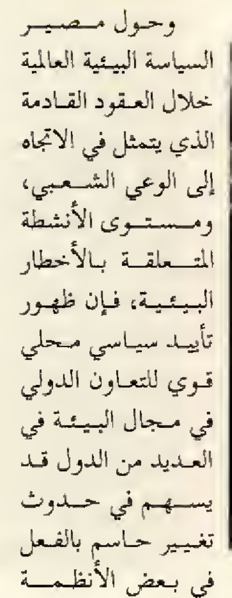
رئيسيًا في نتيجة قضية تجارة النفايات السامة. غير أنه في قضايا أخرى مثل تآكل طبقة الأوزون واستغلال الثروة المعدنية في القطب الجنوبي، والأمطار الحمضية، لم يكن لمثل هذا الإطار الدولي تأثير في نتائجها. وفي بعض الأحيان، كانت الضغوط المحلية تستجيب للأدلة العلمية الجديدة، كما هو الحال بالنسبة للأمطار الحمضية، أو ترتبط بصورة أوثق بالعلاقات التجارية الخارجية كما في حالة صيد الحيتان.

مخاطر جسيمة

ويتعرض الكتاب لأهم المخاطر الكامنة في السياسة البيئية العالمية التي تؤدي إلى تغير مناخ الكون، والاستمرار السريع في النمو الحضري، وتدمير الغابات الاستوائية، والمعارك الدولية حول المياه، وتلوث المحيطات من مصادر على الأرض تتأثر بخطط التنمية الاقتصادية وأساليب الإنتاج في كل من الدول المتقدمة والنامية على السواء. ويتضمن اختيار المداخل العريضة لتشكيل أنظمة بيئية جديدة وتدعيم القائم منها إصدار أحكام بشأن ما هو ملائم سياسيًا وفعال دبلوماسيًا وبيئيًا كذلك.

وقد يحقق مدخل التغيير التزايدي بعض التقدم على جميع الجبهات؛ غير أن بعض العقبات السياسية التي تقف أمام الأنظمة الفعالة حيال القضايا الكبرى التي تشكل تحديًا للمجتمع الدولي الآن لن تتم مواجهتها بصورة مباشرة وفورية في ظل الخطط الحالية، ومن ناحية أخرى، فإن المشاركة العالمية تتيح، إذا ما تحققت، تقدمًا نوعيًا في مجال التعاون البيئي، غير أنها قد تكون غير ممكنة من الناحية السياسية نظرًا للافتقار إلى الرؤية والقيادة السياسية بين الدول الصناعية الكبرى كي تتمكن من السيطرة على القضايا الهيكلية بين الشمال والجنوب.

الوعي الشعبي بقضايا البيئة



وحول مصير السياسة البيئية العالمية خلال العقود القادمة الذي يتمثل في الاتجاه إلى الوعي الشعبي، ومستوى الأنشطة المتعلقة بالأخطار البيئية، فإن ظهور تأييد سياسي محلي قوي للتعاون الدولي في مجال البيئة في العديد من الدول قد يسهم في حدوث تغيير حاسم بالفعل في بعض الأنظمة التي جرى التفاوض بشأنها في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، وإذا كانت هناك قوة واحدة يمكن أن تزيل العقبات المنيعة التي تواجه الأنظمة البيئية العالمية الجديدة فإنها تتمثل في مساندة الناخبين وفي نشاط الجماهير في أرجاء العالم الصناعي كافة.

وفي ذلك الجانب من المستقبل، فإن هناك ما يدعو إلى التفاؤل. إذ سوف تستمر شبكة المنظمات البيئية العالمية غير الحكومية في التوسع والتنظيم الأفضل بوصفها مجموعة من الائتلافات المتداخلة التي تتخطى القوميات حول مختلف القضايا. وتسهم في ذلك التطور الموارد المالية المتزايدة التي تقدمها المؤسسات والأعضاء كذلك، كما تسهم في ذلك أيضًا الثورة الحادثة في تقنية الاتصالات التي تُوجد الآن مجموعة عالمية من المنظمات التي لا تحقق أرباحًا، مثلما أوجدت من قبل سوقًا عالميًا، وقد بدأت تتضح إمكانات هذه القدرات الجديدة في الاتصالات الفورية المتعددة الأطراف لتعزيز القوة السياسية للجماعات البيئية النشطة في أرجاء العالم كافة.

إن الضغوط على النظم السياسية في العالم من أجل تحقيق حماية بيئية عالمية أكثر فعالية سوف تستمر في التزايد إبان التسعينيات وما بعدها. وكما أوضحت عمليات تكوين الأنظمة وتدعيمها التي تم تحليلها في الفصل الثالث، فإنه في قضية تلو الأخرى نجد أن الدول المعارضة قد تراجعت أمام الأدلة الجديدة على الأخطار البيئية، وأمام الضغوط المحلية والدولية الرامية إلى التغيير. وقد كانت الأنظمة التي تم تكوينها في صالح حماية البيئة على نحو أكبر مما جرى التكهن به على أساس القوة النسبية للجهات الوطنية المعنية.

وهناك شيء يتجاوز سياسة القوة التقليدية له تأثير واضح في السياسة البيئية العالمية، فالقضايا البيئية العالمية ليست نتاجًا لتقلبات دورية للمشاعر الوطنية، وإنما هي انعكاسات للتحديات العالمية التي تجعل قضايا القوة السياسية ـ العسكرية والمنافسة الاقتصادية تتضاءل في تأثيراتها على مستقبل البشرية، ويبدو أن غالبية الأشخاص القادرين على النظر إلى ما وراء الاحتياجات اليومية للبقاء المادي يدركون أن الأضرار التي يتعذر تجنبها في أنظمة الكرة الأرضية ومواردها الطبيعية، التي يؤثر بعضها بعمق في حياة الأجيال القادمة، وكذلك حياة معظم الناس اليوم، معرضة للخطر.

ومن ثم فإن القضية لا تتمثل فيما إذا كانت الدول ستتقدم نحو تحقيق مزيد من التعاون الأكثر فعالية إزاء الأخطار البيئية العالمية، وإنما تتمثل فيما إذا كانت ستتقدم بصورة سريعة على نحو كاف.

التباين في المصالح البيئية يجعل التوصل إلى رأي جماعي بين الأطراف المسؤولة المتأثرة مباشرة بمشكلة بيئية معينة تحديًا سياسيًا ودبلوماسيًا


إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التي تهم كل أفراد الأسرة

مجتمع المسلمين..

مجتمع السكينة والأمن

د. السيد رزق الطويل

تجتاح عالمنا المعاصر موجات عاتية من العنف، تراق معها الدماء. ولقد امتد [illegible] في الأرض [illegible]، ويشعر المسلم بقدر كبير من الأسى والأسف عندما تسربت هذا الداء إلى أرض المسلمين، وتسرى جراثيمه القاتلة في جسم العالم الإسلامي، ويتعاظم العجب، وتتفاقم الحيرة عندما ترفع راية العنف المرتدة باسم الدفاع عن الإسلام ودعوى الانتصار لمبادئه السمحة.

والحقيقة التي يجب أن يتعرفها الناس أن الإسلام يرفض العنف بكل مظاهره أسلوبًا للدعوة، كما يرفضه أيضًا أسلوبًا للمواجهة مع المنحرفين.

والنصوص الكثيرة في الكتاب الحق والسنة الصحيحة تؤكد يسر الإسلام وسماحته، وتأكيده الرفق واللين في كل الأمور، وعلى اختلاف الظروف، وتعدد الملابسات. وهناك مبدأ أكده النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ما دخل الرِّفقُ في شيء إلاّ زَانَهُ، وما دخل العُنْفُ في شيء إلا شانه»، وسلوك النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ في التعامل مع الناس يسير على منهج حكيم يحكيه الحديث الشريف: «ما خُيِّرَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أمرين إلا اختار أيسَرَهما ما لم يَكُنْ إثمًا» متفق عليه.

ووصية رب العالمين في كتابه الحق لكل من يتصدى للدعوة إلى الله: *ادعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بالحكمة والموعظة الحَسَنَة وَجَادِلْهُم بالَّتي هي أَحْسَنُ*. **النحل**: 125. فنرى في هذه الوصية قواعد يجب أن تتوافر في أسلوب الداعية، تتمثل في القول السديد، والظروف الملائمة وتَوَخّي العبارة الحسنة المؤثرة، والجدل الهادف الذي يسعى إلى الحق، والحق وحده.

إن ربّ العالمين عندما كلّف نبيه موسى ومعه أخوه هارون مهمة كبيرة على طريق الدعوة تتمثل في دعوة فرعون إلى الله، قال لهما سبحانه: *اذْهَبَا إلى فرْعَونَ إنّه طَغَى. فَقُولا لهُ قولاً لَيِّنا لَعَلَّهُ يَتذَكَّرُ أو يَخْشى*. **طه**: 43ـ 44. فعندما يوصي ربّ العالمين وهو القاهر القادر بالقول الليّن في دعوة الطغاة البغاة إنما يؤكد الإثمار الحتمي لهذا المنهج الذي يغزو عقول الكبار فيستميلها، أو يهدهد على الأقل من بغيها وعنفها، لذا رأينا ربّ العالمين يعاتب خير خلقه وقد اشتد غضبه على قومه بعد محنة أحد ـ وكانت صعبة وقاسية ـ ويذكره بمنهج الرحمة الذي سار عليه في دعوته، وجمع له قلوب الناس من حوله، فيقول: *فَبما رَحْمَةٍ مِّنَ اللّه لنتَ لهم ولو كُنتَ فَظًا غليظَ القلب لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلكَ فاعفُ عنْهم واستغْفر لَهُم وَشَاوِرْهُمْ في الأمْرِ*. **آل عمران**: 159.

ويستبد الغضب بالنبيّ الكريم عندما رأى استشهاد عمه حمزة والتمثيل به فيقسم ليقتلنّ به سبعينَ من كُفّارِ قريش، عاتَبَهُ ربُّ العالَمين لهذا التجاوز في العقوبة، وردّه ردًا قويًا إلى العفو، والتسامح فقال: *وإنْ عَاقَبْتُم فعَاقبُوا بمثلِ ما عُوقبْتُمْ به ولَئِنْ صَبَرتُمْ لَهُوَ خيرٌ للصَّابرينَ. واصبِرْ ومَا صَبْرُكَ إلاّ بالله ولا تَحْزَنْ عَلَيْهم ولا تَكُ في ضَيْقٍ ممَّا يَمْكُرونَ. إنَّ اللّه مَعَ الّذينَ اتّقَوا والّذينَ هُمْ مُحْسِنُونَ*. **النحل**:126ـ 128.

وكان هذا التوجيه للنبي الكريم تثبيتًا لما فُطر عليه من أخلاق سامية وفضائل عالية، حتى كان العفو في سلوكه يغلب الانتقام.

قال له ربّ العالمين: *ادْفَعْ بالّتي هيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ*. **المؤمنون**: 96. وقال له: *وَلا تَسْتَوي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بالّتي هي أَحْسَنُ فإذا الّذي بينَكَ وَبَيْنهُ عَدَاوَةٌ كَأنّهُ وليٌّ حَميمٌ*. **فُصِّلت**: 34.

ورأيناه يوم الفتح وقد مثل كبار قومه بين يديه وقد سلف منهم البغي والعداوة، وأشعلوا الحروب في طريق الدعوة والداعية، وعلى الرغم من ذلك كله قال لهم: «ما تظنونَ أني فاعلٌ بكم»، قالوا: خيرًا، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطُّلَقَاء»(1).

لقد كان يملك القدرة على الانتقام، ولن يكلفه العنف شيئًا، ولن يلام إذا عنف بهم، لكن فطنة الداعية، وأخلاقه السامية دفعته إلى عفو وصفح يحقق من الخير للدعوة ما لا يحققه العنف، وكان ملتزمًا هذا الأسلوب في كل مواجهة سلفت مع المشركين المعاندين، وكذلك مع المنافقين وحلفائهم من بني إسرائيل.

فكان مع الأولين وبخاصة قريش يقول: «ويلَ قريش ماذا لو خلّوا بيني وبين العرب فلو نالُوا مني فقد كُفُوا، وإن ظفرتُ بهم دخلُوا في الإسلام وافرِينَ»(2).

إنه حريص على هدايتهم بقدر حرصهم على البغي والشطط والتجاوز.

وفي الحوار معهم لا يصادر عليهم ـ على الرغم من ضلالهم ـ بأن يصفهم بالضلال، ولكن يقول كما حكى القرآن الكريم: *وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ*. **سبأ**: 24. ويتكرر بغي المنافقين، ويلحق بالنبيّ الكريم أذاهم، ويتقدم إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من يعرض عليه قتل هذا المنافق أو ذاك، ويستل أحدهم سيفه في مواجهة رجل أساء في خطاب النبي الكريم، ويرفض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك رفضًا قاطعًا، قائلاً لمن غالبته الحماسة، وأثاره الموقف: «لا، حتى لا يقال إن محمدًا يقتل أصحابه»(3).

لقد كان من حوله فتية من صحبه بلغوا من الشجاعة ما بلغوا من الإيمان، لو أمرهم بأن يشعلوها نارًا على المشركين والكافرين لأقبلوا على تنفيذ الأمر راضين، ولجعلوا الأرض تَميدُ ضد أعداء الإسلام، لكن هذا الأمر ليس من أخلاقياته وما ارتضاه لحظة واحدة أسلوبًا لدعوته.

وكان يرفض العنف في التعامل بين أصحابه حتى ولو بالكلمة النابية، لقد قال لأحدهم: «إنك امرؤ فيك جاهلية» لأنه قال لآخر: ياابن السوداء»(4).

ورفض الإساءة لشارب الخمر باللفظة الجارحة مع أنه أمَرَهم بأن يضربوه إذ أهان عقله وإنسانيته بالسكر وهذيان المخمورين.

وفي حرب الكافرين ترى في حربه إنسانية بالغة، ومروءة غالبة.

يغضب عندما يرى امرأة مقتولة من الكافرين، ويقول: «من قتلها؟ ماكانت هذه لتقاتل؟»(5). بل إن القرآن الكريم عندما أعلن الإذن بالقتال أحاطه بسياج كريم من الإنسانية الرحيمة، الأمر الذي يؤكد أن الحرب في المنهج الإسلامي مهمة إنسانية، قال سبحانه: *وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ*. **البقرة**: 190.

أثبت النبيّ الكريم هذا الإطار الإنساني في وصيته لسرية الأمراء التي توجهت لمؤتة، قال لهم: «اغزُوا باسم الله، قاتلوا عدوَّ الله وعدوَّكم بالشام، ستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين لا تمسوهم بسوء، لا تقتلوا شيخًا، ولا امرأة ولا طفلاً، ولا تخلعوا شجرًا، ولا تهدموا بناء»(6).

إنه عليه الصلاة والسلام بهذا التوجيه أول من دعا إلى تجنب الأهداف المدنية في الحروب، فليت شعري ما حجة دعاة العنف في مجتمعنا الإسلامي المعاصر؟

وأيّ خطيئة ارتكبوها؟ إنهم في تقديري بغاة ولو كانوا يحملون قضية صحيحة، إذ إن منهج التقويم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له مسار محدد المعالم لا يصح تجاوزه: «من رأي منكُم مُنكرًا فليغيِّرهُ بيده فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فبقلبه وذلك أضعفُ الإيمان»(7).

فذكر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدة أساليب، ولكل أسلوب أصحابه القادرون على تنفيذه دون أن يترتب على مسالكهم إضرار بمجتمعهم.

إن الإسلام يرفض العنف مع غير المسلمين، فما بالك به مع المسلمين وفي أرض المسلمين؟

إني أحب أن أعرف حجة واحدة لأحفاد الخوارج الذين غمسوا أيديهم في دماء الخلفاء والأصحاب الأخيار الأبرار.

إن كانوا أصحاب حق، ولهم قضية عدل ورشد، فقد أساؤوا إلى الحق، وإلى العدل، وحولّوا الرشد إلى غَيّ، وتحملوا وزر الدماء المسفوحة والأموال المدمرة والمهدرة، وباؤوا بإثم عظيم. *وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ*. **الشعراء**: 227.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يملك القدرة على الانتقام من كفار قريش؛ لكن أخلاقه السامية دفعته إلى عفو يحقق من الخير للدعوة ما لا يحققه العنف

الهوامش:

1- انظر: ابن هشام في السيرة، ج3.
2- ابن هشام في السيرة، ج1، وانظر كتابنا: الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج، رابطة العالم الإسلامي.
3- انظر صحيح البخاري، حديث الإفك.
4- أخرجه البخاري.
5- أخرجه البخاري.
6- انظر ابن هشام، ج3 سرية مؤته.
7- أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

الله يمهل ولا يهمل

تأليف: ليو تولستوي
ترجمة: زهير شفيق رومَيه

عاش في مدينة «فلاديمير» تاجر شاب يدعى «إيفان دميتريتش أكسيونوف». كان يملك دكاكين وبيتًا خاصًا به. كان أكسيونوف شابًا وسيمًا جميل الشعر مجعده مفعمًا بحس الدعابة ومغرمًا جدًا بالغناء. أولع بالشراب باكرًا وأصبح خليعًا في سن لاحقة، ولكنه عندما تزوج أقلع عن الشراب إلا بين الفينة والأخرى.

في أحد أيام الصيف، كان على وشك الذهاب إلى معرض مدينة «ديجني» حيث ودع أسرته، وإذ بزوجته تقول له: «يا إيفان دميتريتش: لا تسافر اليوم، لقد رأيت حلمًا سيئًا عنك».

ضحك أكسيونوف وقال: «أنت تخافين أن أسرفَ في الشراب إذا ذهبت للمعرض». أجابت زوجته: «إنني لا أدري ممَّ أنا خائفة! كل ماأعرفه هو أنني حلمتُ حلمًا مزعجًا. لقد حلمتُ أنك رجعت من المدينة وعندما خلعتَ قبعتك، بدا شعرك أشيب تمامًا».

ضحك أكسيونوف وقال: «هذا فأل حسن. تصوري أنني سأبيع كل بضاعتي ثم أحضرلك بعض الهدايا من المعرض».

وهكذا ودع زوجته وقاد عربته بعيداً.

في منتصف الطريق، التقى تاجرًا كان يعرفه فنزلا في الخان نفسه. شربا الشاي معًا وذهبا للنوم في غرفتين متجاورتين.

لم يكن من عادة أكسيونوف أن يتأخر في النوم، لذلك أيقظ سائقه باكرًا وأمره أن يُحضِّر الجياد لرغبته في السفر مع برودة الفجر.

ثم اتجه نحو صاحب الخان حيث كان يسكن داخل كوخ خلف الحديقة فدفع له الحساب وتابع رحلته.

وعندما قطع أكسيونوف نحو خمسة وعشرين ميلاً، توقف لإطعام الجياد واستراح في ممر الخان ثم دخل إلى الرواق، وأمر بتسخين الماء لإعداد الشاي، ثم أخرج جيتاره وشرع يعزف.

فجأة اندفعت عربة ذات أجراس رنّانة وترجّل موظف متبوعٌ بجنديين. تقدم نحو أكسيونوف وبدأ يسأله من هو ومن أين أتى؟. أجابه أكسيونوف عن كل شيء وقال: «هل تتناول الشاي معي؟»، لكنَّ الموظف استمر يقاطعه بالأسئلة: «أين قضيت الليلة الماضية؟ هل كنتَ وحدك أم مع تاجر صديق؟ هل رأيت التاجر الآخر هذا الصباح؟ لماذا غادرتَ الخان قبل الفجر؟».

تساءل أكسيونوف عن سبب كل هذه الأسئلة لكنه وصف كل ما حدث، ومن ثم أضاف: «لماذا تقاطعني كما لو كنت لصًا أو سارقًا؟ أنا أسافر في عمل خاص بي ولا حاجة لمساءلتي».

عندئذ، دعا الموظف الجنديين وقال: «إنني ضابط الشرطة في هذه المنطقة وأحققُ معك لأن التاجر الذي قضيت الليلة الماضية معَه قد وُجِدَ مقطوع الحنجرة ويجب أن نفتش أمتعتك».

دخلوا البيت وفك الجنديان والضابط أمتعة أكسيونوف وفتشوها. فجأة، سحب الضابط سكينًا من إحدى الحقائب وهو يصرخ: «لمن هذه السكين؟» نظر أكسيونوف بهلع حينما رأى سكينًا ملطخة بالدماء قد أُخرجَت من حقيبته.

«من أين جاء الدم إلى هذه السكين؟» حاول أكسيونوف الإجابة عن هذا السؤال، لكنه بصعوبة استطاع أن يتفوه بكلمة وتلعثم فقط: «أنا... لا أعرف... ليست لي».

قال ضابط الشرطة: «في هذا الصباح، وُجِدَ التاجر في سريره مقطوع الحنجرة. أنت الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يفعل ذلك، فقد كان الباب مقفلاً من الداخل ولا أحد كان هناك. ونحن وجدنا هذه السكين الملطخة بالدم في حقيبتك، ووجهك وطريقتك يفشيان سرَّك. أخبرني كيف قتلته وكم سرقت من النقود؟». أقسم أكسيونوف أنه لم يفعل ذلك ولم يرَ التاجر بعد أن تناولا الشاي معًا، وأنه لا يملك من النقود سوى ثمانية آلاف روبل خاصة به وأن السكين ليست له؛ لكنَّ صوته انقطع وشحب وجهه وارتجف خائفًا كما لو أنه مذنب.

أمر ضابط الشرطة الجنديين بتقييد أكسيونوف ووضعه في العربة. صلّى أكسيونوف وبكى عندما قيدوا رجليه وزجوه في العربة بعد أن صادروا نقوده وبضاعته وأرسلوه إلى أقرب مدينة ليُسجَن فيها. جرت التحريات عن

شخصيته في مدينة «فلاديمير» فأفاد التجار والمواطنون هناك أنه اعتاد الشراب وإضاعة الوقت فيما مضى لكنه كان رجلاً طيبًا. ثم جاءت المحاكمة. لقد اتُّهم بالقتل العمد لتاجر من مدينة «ريازان» وسرقة عشرين ألف روبل منه.

كانت زوجته في حالة يأس ولم تعرف من تصدِّق. كان لها طفلان صغيران تمامًا وأحدهما يرضع من صدرها. أخذتهما معها إلى حيث سُجن زوجها. لم يُسمح لها برؤيته في البداية، لكن بعد كثير من التوسل حصلت على إذن من الموظفين وأُخذت لمقابلته. وعندما رأت زوجها في لباس السجن مكبَّلاً بالسلاسل مع اللصوص والمجرمين سقطت مغشيًا عليها ولم ترجع إلى وعيها إلاّ بعد وقت طويل حيث ضمَّت أولادها وجلست قربه. حكت له أخبار البيت وسألته عمَّا حدث. أخبرها بكل شيء، فسألته: «ماذا بوسعنا أن نعمل الآن؟».

قال لها: «يجب أن نتوسل إلى القيصر حتى لا يترك رجلاً بريئًا يموت». أخبرته زوجته أنها توسلت إليه ولكنه لم يقبل.

لم يضف أكسيونوف شيئًا بل بدا مكتئبًا فحسب.

قالت زوجته: «لم يكن عبثًا عندما حلمت أن شعرك أصبح أشيبَ. أتذكر ذلك؟ كان يجب أن لا تسافر ذلك اليوم» وبينما كانت تمرر أصابعها عبر شعره قالت: «فانيا، حبيبي، قل لزوجتك الحقيقة، ألم يكن أنت من فعل ذلك؟».

قال أكسيونوف: «حتى أنت تشكِّين بي!». وبينما أخفى رأسه بين يديه، بدأ يبكي، ثم جاء جندي يعلن انتهاء الزيارة فودع عائلته للمرة الأخيرة.

بعد أن ذهبوا، استعاد أكسيونوف ماقيل، وعندما تذكر أن زوجته أيضًا قد شكَّت به قال في نفسه: «يبدو أن الله وحده يعرف الحقيقة، يجب أن نحتكم إليه فقط ومنه وحده يجب أن نطلب الرحمة».

لم يعد أكسيونوف يتوسل إلى أحد وتخلَّى عن كل الآمال وأخذ يُصلِّي إلى الله فحسب.

حُكِمَ على أكسيونوف بالجلد والنفي إلى المناجم. وهكذا، جُلِدَ بالسوط حتى سالت الدماء منه ثم سِيقَ إلى سيبيريا مع المحكومين الآخرين.

عاش أكسيونوف محكومًا ستة وعشرين عامًا في سيبيريا. انقلب شعره أبيض كالثلج وشابت لحيته وأصبحت طويلة ورفيعة. ذهب كل مرحه واحدودب ظهره وكان يمشي ببطء ويتكلم قليلاً ولم يضحك قط، لكنه غالبًا ماكان يصلي.

تعلم أكسيونوف في السجن صُنْعَ الأحذية فكسب قليلاً من النقود اشترى بها كتاب «حياة القديسين». كان يقرأ فيه عندما يكون ثمة ضوء كاف في السجن، وفي أيام الآحاد، كان يذهب إلى كنيسة السجن حيث يقرأ الدروس ويغني مع الجوقة لأن صوته مازال عذبًا.

أحبت سلطات السجن أكسيونوف لحلمه، واحترمه زملاؤه السجناء، وسمُّوه «الجد» و«القديس»، وعندما كانوا يريدون أن يتوسلوا إلى سلطات السجن حول شيء ما كانوا دائمًا يجعلونه المتحدث باسمهم، وكلما حصلت خصومات بين السجناء جاؤوا إليه لوضع الأمور في نصابها والحكم بالأمر.

لم تصل إلى أكسيونوف أية أخبار من البيت حتى إنه لم يعرف إن كانت زوجته وأولاده مازالوا أحياء.

في أحد الأيام، وصلت جماعة جديدة من المحكومين إلى السجن. وفي المساء، تجمَّع السجناء القدامى حول القادمين وسألوهم من أية مدن وقرى أتوا وماهيَّة أحكامهم. جلسَ أكسيونوف قرب القادمين واستمع مكتئبًا إلى ماقيل.

أحد المحكومين الجدد، وهو رجل قوي طويل ذو لحية قصيرة كثيفة الشعر، أخذ يقص على الآخرين سبب اعتقاله فقال: «حسنًا، أيها الأصدقاء، كل مافعلته هو أنني أخذت حصانًا مربوطًا إلى زلاجة فاعتُقلتُ واتُّهمت بالسرقة. أوضحت لهم أنني أخذته لأصل إلى البيت بسرعة ثم تركته علمًا أن السائق كان صديقًا شخصيًا لي. لذلك قلت: هذا لصالحي فقالوا: أنت سرقته. لكن كيف ومن أين فلم يعرفوا. لقد أخطأتُ مرةً فعلاً وكان يجب أن أُرسَل إلى هنا بقوة القانون منذ زمن بعيد، لكن يومها لم يقبضوا عليَّ. أما الآن فإنني هنا من أجل لا شيء على الإطلاق... أواه، إنني أكذب عليكم، لقد أتيت إلى سيبيريا من قبل لكنني لم أمكث طويلاً».

سأل أحدهم: «من أين أنت؟».

أجاب الرجل: «من فلاديمير. عائلتي من تلك المدينة واسمي ماكار ويدعونني سيمونتش أيضًا».

رفع أكسيونوف رأسه وقال: «أخبرني، يا سيمونتش، هل تعرف شيئًا عن تجار عائلة أكسيونوف من مدينة فلاديمير؟ هل مازالوا أحياء؟»

«طبعًا أعرفهم. إن أفراد عائلة أكسيونوف أغنياء رغم أن والدهم في سيبيريا. يبدو أنه مذنب مثلنا! أما أنت، أيها الأب الكبير، كيف أتيت إلى هنا؟».

لم يرغب أكسيونوف بالحديث عن سوء حظه. بل تنهَّد فقط وقال: «إنني سجين منذ ستة وعشرين عامًا عقابًا على ذنوبي».

سأل ماكار سيمونتش: «أية ذنوب؟».

لكنَّ أكسيونوف أضاف فقط: «حسنًا، حسنًا، لابد أنني أستحق ذلك!». لم ينو أن يضيف شيئًا لكن زملاءه أخبروا القادمين كيف أتى أكسيونوف إلى سيبيريا بعد أن قتل شخصٌ تاجرًا ووضع السكين بين أمتعة أكسيونوف ومن ثم أُدينَ أكسيونوف ظلمًا.

عندما سمع ماكار سيمونتش هذا الكلام، نظر إلى أكسيونوف وصفَعَ ركبته وصَرخ: «حسنًا، هذا رائع! فعلاً رائع! لكنْ كم أصبحت عجوزًا، أيها الأب الكبير!».

سأله الآخرون عن سبب دهشته الشديدة وإمكان رؤيته لأكسيونوف من قبل؛ لكنَّ ماكار سيمونتش لم يجب بل قال: «إنه من الرائع أن نلتقي هنا، أيها الرجال!»

جعلت هذه الكلمات أكسيونوف يتساءل فيما إذا كان هذا الرجل يعرف من قتل التاجر؛ لذلك قال: «ربما، يا سيمونتش، قد سمعت بتلك الحادثة أو ربما رأيتني من قبل؟».

«كيف أتمالكُ نفسي لسَماع هذا؟ الكلمات تفوح منها إشاعة. لقد حدثَ ذلك منذ زمن بعيد كما أنني نسيت ماسمعت».

قال أكسيونوف: «ربما سمعتَ بمن قتل التاجر؟».

اللّه يُمهِل ولا يهمِل

ضحك ماكار سيمونتش وأجاب: «لابد أن يكون من وُجدت السكين في حقيبته! إذا كان ثمة شخص آخر أخفى السكين هناك فهو ليسَ سارقًا حتى يُمسَك - كما يقول المثل -. كيف يمكن لشخص أن يضع سكينًا في حقيبتك بينما هي تحت رأسكَ؟ إن ذلك سيوقظكَ بالتأكيد».

بعد أن سمع أكسيونوف هذه الكلمات، أيقن تمامًا أن هذا الرجل هو الذي قتل التاجر فنهض وذهبَ بعيدًا. بقي أكسيونوف مستيقظًا طوال تلك الليلة وشعر بالتعاسة إلى حدٍّ مرعب ومرّت في عقله كل أشكال الخيالات كصورة زوجته عندما ودعها ليذهب للمعرض. رآها كما لو أنها حاضرة وتمثّل وجهها وعينيها أمامه وسمع صوتها وضحكها، ثم تراءى له ولداه صغارًا تمامًا كما لو كانوا في ذلك الوقت: أحدهما يرتدي عباءة بينما الآخر على صدر أمه. بعد ذلك، تذكر نفسَه كما تعوَّد أن يكون: شابًا مرحًا خاليًا من الهموم، ثم تصوَّر كيف كان جالسًا يعزف على الجيتار حيث اعتقلوه؛ فتخيّل الجلاّد والمكان الذي جُلِدَ فيه والناس حوله والسلاسل والمحكومين وعجزه المبكر وكل تفاصيل الستة والعشرين عامًا من حياة السجن. إن التفكير في هذا كله جعله بائسًا جدًا إلى حد الاستعداد للانتحار.

«كل ذلك من فعل ذلك الوغد!» فكر أكسيونوف في نفسه. كان غضبه هائلاً بحيث كان توّاقًا للانتقام حتى لو مات من أجل ذلك. استمر يتلو الصلواتِ طوال الليل لكنه لم يهدأ. وخلال النهار، لم يقترب من ماكار سيمونتش بل لم ينظر إليه.

مرَّ اسبوعان على هذا الوضع ولم يستطع أكسيونوف النوم ليلاً. كان تَعِسًا إلى درجة أنه لم يعرف كيف يتصرَّف.

في إحدى الليالي بينما كان يتجول داخل السجن، لحظ بعض التراب يتدفق من تحت أحد الأسرَّة التي ينام عليها السجناء فتوقف ليعرف مايجري. فجأة، زحف ماكار سيمونتش من تحت السرير ونظر إلى أكسيونوف بوجه مرتعب. حاول أكسيونوف المرور دون النظر إليه، لكنَّ ماكار أمسك يده وأخبره أنه حفر نفقًا تحت الجدار وأنه يتخلص من التراب بوضعه في جزمته الطويلة ويفرغه على الطريق كل يوم في أثناء سَوْق السجناء للعمل.

«احتفظ بصمتكَ فقط، أيها العجوز، وستنجو أيضًا. أما إذا أفشيتَ السر، سيُقضَى عليَّ، ولكنْ سأكون قد قتلتك أولاً».

ارتجف أكسيونوف من الغضب عندما نظر إلى عدوه وسَحَب يده بعيدًا وهو يقول: «ليست لدي رغبة بالفرار ولا حاجة لقتلي؛ فقد قتلتني منذ أمدٍ بعيد مضى! أما إن كنتُ سأفشي سرك ربما أفعل ذلك أو لا، كما يشاء الله».

في اليوم التالي، عندما سيقَ المحكومون للعمل، لاحظ أحد الجنود المرافقين أنَّ سجينًا أو آخر قد فرَّغ بعض التراب من جزمته فتمَّ تفتيش السجن واكتشاف النفق. جاء الحاكم وحقق مع كل السجناء ليعرف من الذي حفر النفق.

أنكر الجميع أية معرفة به ومن كان يعرف لم يخن ماكار سيمونتش لعلمه أنه سيُجلَدُ حتى الموت.

أخيرًا، اتجه الحاكم نحو أكسيونوف الذي عرفه رجلاً مستقيمًا وقال: «أنت عجوز صادق؛ أخبرني، أمام الله، من حفر النفق؟».

وقف ماكار سيمونتش كأنه غير مبالٍ تمامًا ينظر إلى الحاكم وأحيانًا إلى أكسيونوف. ارتجفت شفتا أكسيونوف ويداه، ولم ينبس ببنت شفة مدة طويلة وفكر في نفسه: «لمَ أتستَّرُ على من حطَّم حياتي. دعه يدفع ثمن عذابي. لكنْ إذا أفشيت السر، من المحتمل أن يعدموه وربما شكّي به خطأ. وفوق ذلك كله، مافائدة ذلك لي؟».

كرر الحاكم: «حسنًا، أيها العجوز، أخبرني الحقيقة: من كان يحفر تحت الجدار؟».

اختلس أكسيونوف النظر إلى ماكار سيمونتش وقال: «لا أستطيع البوح به، يا صاحب الفضيلة، إنها ليست إرادة الله لأقول ذلك! افعل بي ماتشاء، ها أنا بين يديك».

ألحَّ الحاكم كثيرًا لكنَّ أكسيونوف لم يعد يقول شيئًا، وهكذا بقي الأمر معلقًا.

في تلك الليلة، وبينما كان أكسيونوف مستلقيًا على سريره وكادَ النعاس يغلبه، تقدَّمَ شخص بهدوء وجلسَ على سريره. أنعمَ النظر فيه خلال الظلمة فميَّز ماكار.

سأله أكسيونوف: «ماذا تريد مني أكثر من ذلك؟ لماذا أتيتَ إلى هنا» بقي ماكار سيمونتش صامتًا.

لذلكَ جلسَ أكسيونوف وقال: «ماذا تريد؟ اذهب بعيدًا وإلاَّ سأنادي الحارس!» انحنى ماكار سيمونتش قريبًا فوق أكسيونوف وهمسَ: «إيفان دميتريتش، سامحني!».

«من أجل ماذا؟».

«لأنني من قتل التاجر ودسَّ السكين بين أمتعتك. كان قصدي أن أقتلك أيضًا، لكنني سمعت ضجة في الخارج، لذلك وضعت السكين في حقيبتك وفررت من النافذة».

صمت أكسيونوف ولم يعرف ماذا يقول بينما انزلق ماكار سيمونتش عن السرير وركَعَ على الأرض وقال: «إيفان دميتريتش، سامحني! حبًا بالله، سامحني! سأعترف بقتلي للتاجر، وسيطلقون سراحَكَ وتذهب للبيت».

«من السَّهل عليك أن تتكلم بعد أن تعذبتُ طوال هذه الستة والعشرين عامًا. أين سأذهب الآن؟... ماتت زوجتي ونسيني أولادي. ليس لديَّ مكان أذهب إليه...».

لم ينهض ماكار سيمونتش بل ضرب رأسه بالأرض وصرَخ: «إيفان دميتريتش، سامحني! إن جَلْدي بالسوط لم يكن قاسيًا عليَّ أكثر من رؤيتك.. مع ذلك تشفق عليَّ ولا تفضحني. إكرامًا لله، سامحني، كم أنا تعس!» وبدأ ينشج.

عندما سمع أكسيونوف نشيجه، أخذ يبكي هو الآخر وتمتم:

«إن الله سيسامحك! ربما أكون أسوأ منك بمئة مرة». بعد هذه الكلمات، أصبح قلبه خفيفًا وفَقَدَ شوقه للبيت، ولم تعد لديه أية رغبة في مغادرة السجن وإنما تمنَّى أن تدنو ساعته الأخيرة.

وعلى الرغم مما قاله أكسيونوف فإن ماكار سيمونتش اعترف بذنبه، وعندما صدر الأمر بإطلاق سراح أكسيونوف، كان قد ماتَ للتو.

المصدر:

Great short stories of the world, selected by the Editors of the Reader's Digest printed in the United States of America, Fourth Printing, August 1978.





أدباء أطباء

1

إعداد:
خليل محمود الصمادي



إبراهيم ناجي (1898- 1953م)

ولد بحي شبرا في القاهرة في الليلة الأخيرة من عام 1898م، وتخرج في مدرسة الطب عام 1923م وعين طبيبًا في وزارات عديدة. أجاد الإنجليزية والفرنسية، وأصدر مجلة «حكيم البيت» الشهرية عام 1934م.

بدأ حياته الأدبية ناظمًا ثم أشعر وتأثر بالشاعر خليل مطران، وقد كان معجبًا به، وظهر أثر ذلك في شعره، ونظم قصائد غنائية عديدة سببت له الشهرة بين العامة بعد وفاته.

عانى من مرض «ذات الرئة» الذي كان السبب في شقائه، وتوفي في عيادته وهو يداوي مريضًا إذ كان يستمع إلى دقات قلبه فهوى صريعًا.

من آثاره: ليالي القاهرة، وراء الغمام، رسالة الحياة، عالم الأسرة، مدينة الأحلام «قصص ومحاضرات»، كيف نفهم الناس؟ «دراسات نفسية»، الطائر الجريح: ديوان شعر. وبعد وفاته جُمعت أشعاره في «ديوان ناجي».

أحمد زكي أبو شادي (1892- 1955م)

ولد في القاهرة بحي عابدين، ونشأ في بيئة أدبية، فقد كان أبوه محاميًا وخطيبًا مفوهًا، وكانت أمه - أمينة نجيب - شاعرة؛ فتفتحت مواهبه الشعرية في سن مبكرة، وقرض الشعر وهو صغير، ونشر طائفة من شعره ونثره وعمره ستة عشر عامًا.

أرسله أبوه إلى إنجلترا عام 1912م ليدرس الطب فتخرج فيه عام 1915م، ثم حاز جائزة «وب» في علم الجراثيم، وظل يشتغل بهذا العلم نحو سبع سنوات.، وقد اهتم بتربية النحل في إنجلترا، وأسس جمعية له، وأصدر مجلة عالم النحل Bee World.

عمّق معرفته بالأدب الإنجليزي وتأثر بالنزعة الرومانسية، ونظم الشعر بالإنجليزية إلى جانب العربية ونشره في الصحف العربية والأجنبية. ولما عاد لوطنه عام 1922م أسس مجلات وجمعيات زراعية، كما ألف جماعة أبولو المتأثرة بالمذهب الرومانسي عام 1932م.

هاجر عام 1946م إلى أمريكا وهناك عاود نشاطه في الأندية الأدبية وفي الصحافة، كما عمل في إذاعة صوت أمريكا، ونشر ديوانه «من السماء».

خلف وراءه أربعة دواوين مطبوعة ومئات المقالات الأدبية.

أحمد شوقي الفنجري

ولد في مدينة بنها بمصر عام 1925م، وحاز شهادة البكالوريوس في الطب والجراحة ودبلوم الصحة العامة والوبائيات.

يجيد الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، وقد عمل طبيبًا في مصر وهيئة الأمم المتحدة والمملكة العربية السعودية والكويت، كما شارك في العديد من المؤتمرات الطبية والأدبية.

عضو منظمة العلوم الإسلامية، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض ولكنهو بالهند.

متعدد المواهب، فقد حاز عدة جوائز في التصوير، وله معرفة جيدة بالعزف والنقد الموسيقي، وله عدد من الأعمال الأدبية والطبية وغيرها.

أحمد شوكت الشطي

ولد بدمشق عام 1905م، ويحمل شهادة الدكتوراه في الطب، وقد شغل منصب الأمين العام لوزارة الصحة بدمشق، كما عمل أستاذًا في كلية الطب بجامعة دمشق من 1925م إلى 1960م، وشارك في مؤتمرات طبية عديدة.

نشر عشرات المقالات في العديد من الدوريات العربية وأكثرها في مجلة «حضارة الإسلام» الدمشقية. له عدد من الكتب الأدبية

والطبية منها: نظرات في الزواج، نظرات في ابن القيم، ابن طفيل، تربية الطفل، معجم الحكماء، آداب الطب، تاريخ الطب قبل الإسلام، الحضارة العربية الإسلامية.

أمل محمد شطا

ولدت في مكة المكرمة، وحازت دبلوم تخصص في الأمراض الباطنية من جامعة القاهرة عام 1395هـ، وتعمل طبيبة في جامعة الملك عبدالعزيز.

من أعمالها: غداً أنسى، رواية، لا عاش قلبي، رواية.



ب

بهاء لطفي قابيل

ولد في العزيزية بمصر عام 1966م، ودرس الطب البيطري في جامعة الزقازيق، ورأس وقتها تحرير مجلة «أسرة الشعر» بالجامعة، كما شارك في بعض المؤتمرات الأدبية.

له ديوانان شعريان ورواية بعنوان «الشريدة» ومسرحية بعنوان «الوجه الآخر».

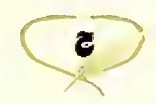


ت

توفيق كنعان (1882- 1964م)

ولد في بيت جالا بفلسطين، وأنهى تحصيله الثانوي في القدس، ثم درس ثلاث سنوات في دار المعلمين. بعدها التحق بالجامعة الأمريكية ببيروت وتخرج طبيباً عام 1905م، ثم عمل في المستشفى الألماني والمستشفى الإنجليزي بالقدس، ودرس علم الجراثيم والأمراض الاستوائية عام 1912م، كما عمل مع الجيش التركي طبيباً ما بين 1914- 1918م.

كتب عشرات المقالات الأدبية وألف عدداً من الكتب الفكرية، منها: الموت أم الحياة، الصراع في أرض السلام، النور والظلام في التراث الشعبي الفلسطيني، أولياء المسلمين.



ج

جمال محمود دغيدي

ولد في أشمون التابعة لمحافظة المنوفية بمصر عام 1960م، ويحمل شهادة البكالوريوس في الطب والجراحة، وعمل طبيباً في مستشفى جامعة الإسكندرية.

شاعر، شارك في العديد من المؤتمرات الشعرية والفنية والأدبية، وحصل على المركز الأول في الشعر الفصيح عامي 1983، 1985م، كما حصل على المركز الأول في شعر الزجل عام 1984م.

حاز جائزة الشعر في مسابقة هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وله ديوان شعر مطبوع بعنوان «اللقاء».



ح

حسن شكري بن راغب الخالدي (...- 1966م)

ولد في بيت المقدس أواخر القرن 19، ودخل كلية الشباب في القدس وتلقى العربية عن المعلم نخلة زريق بالإضافة إلى رعايته من قبل والده الشيخ راغب.

تخرج طبيباً عام 1916م في كلية الطب العثمانية بالجامعة اليسوعية ببيروت، وأرسل إلى جبهة غزة في أثناء الحرب فأصيب بكسر في يده وأخذ أسيراً إلى مصر وأفرج عنه عام 1918م. وقد عمل رئيساً للمستشفى الحكومي في نابلس 1919م، ثم رئيساً للمستشفى الحكومي في يافا 1930م.

أحب الأدب العربي مذ كان يافعاً، وقام بنشر مقالات أدبية في جريدة الصراط المستقيم تحمل توقيع المقدسي الصغير. كتب بحوثاً في أصل اللغة العربية ومقارنتها باللغات السامية، وشغف بالمتنبي وشعره حتى حفظ ديوانه عن ظهر قلب.

حسن يوسف نصيف

ولد بجدة عام 1340هـ، وحاز دبلوم أمراض المناطق الحارة من جامعة لندن 1388هـ، ودبلوم الأمراض الجلدية من الجامعة نفسها عام 1389هـ.

عين وزيراً للصحة في المملكة العربية السعودية من عام 1380هـ حتى عام 1382هـ.

من أعماله: مذكرات طالب، البسمات «شعر»، تسالي «مجموعة قصائد شعبية»، طبيب العائلة.

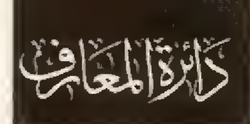
حسني سبح (1900- 1986م)

انتسب إلى مدرسة الطب العثمانية بدمشق عام 1913م، وتخرج طبيباً عام 1919م. ثم تابع دراسته في جامعة لوزان بسويسرا وحاز منها شهادة الدكتوراه في الطب عام 1925م.

انتُخب عميداً لكلية الطب بجامعة دمشق عام 1938م، ثم عُيّن رئيساً للجامعة السورية عام 1943م.

وقد أحب اللغة العربية منذ نعومة أظفاره، وهو أول من ألقى محاضراته الطبية ودروسه بالعربية، وحمل لواء تعريب الطب، وبذل جهداً شاقاً في ذلك، فقام بتعريب أكثر المصطلحات العلمية ووضع المعاجم الطبية، وكان شغله الشاغل طوال حياته، وقد حاز أعلى الأوسمة وأرفعها في تعريب العلوم الطبية.

انتُخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي بدمشق (مجمع اللغة العربية) عام 1946م، ثم رئيساً للمجمع عام 1968م إلى وفاته،



كما اختير عضوًا في مجامع اللغة العربية في مصر والعراق والأردن والهند.

نشر عشرات المقالات والبحوث معظمها في مجلة المعهد الطبي العربي وفي مجلة مجمع اللغة العربية. من آثاره: معجم الألفاظ والمصطلحات الفنية لأمراض الجملة العصبية، المعجم الطبي الموحد.

حسين فخري بن راغب الخالدي (1894- 1962م)

ولد في بيت المقدس، ونشأ نشأة أدبية في كنف والده الشيخ راغب الخالدي.

تخرج في الجامعة الأمريكية ببيروت طبيبًا قبل نهاية الحرب العالمية الأولى، والتحق بالجيش التركي، حيث عمل طبيبًا، وبعد خروج الأتراك من البلاد التحق بالحكم الفيصلي فعين في مصلحة الصحة بحلب، ثم عاد إلى القدس عام 1920م، حيث عين نائبًا لمدير الصحة العام، وانتخب رئيسًا لبلدية القدس عام 1934م.

نُفي إلى جزر سيشل مع مجموعة من الوطنيين عام 1937م، وقد أمضى هناك مدة، ثم عاد إلى بلاده، وعين وزيرًا لخارجية الأردن عام 1953م.

نشر عدة مقالات في الصحف الفلسطينية والأردنية. من آثاره: مذكراتي في 15 مجلدًا، بالإضافة إلى كتابين باللغة الإنجليزية شرح فيهما أبعاد القضية الفلسطينية.



خالص جلبي

ولد في مدينة القامشلي بسورية 1945م، وتخرج في كلية الطب بجامعة دمشق 1971م، ثم تابع الدراسة الشرعية فانتسب إلى كلية الشريعة في الجامعة نفسها وحصل على الإجازة الشرعية.

تعمق في الأبحاث الكونية والعلمية، أصدر بعدها كتاب: الطب محراب الإيمان. وقد نشر كثيرًا من المقالات في الصحف والمجلات العربية.



داود الجلبي (1877- 1960م)

ولد في الموصل بالعراق، وتلقى تعليمه الأولي في الموصل في أثناء العهد العثماني، ثم التحق بكلية الطب العسكرية في استانبول وتخرج فيها عام 1909م بدرجة ممتاز، وكان الأول على أقرانه.

أسس نادي القلم في الموصل عام 1918م، كما أسس مع ساطع الحصري جمعية الثقافة العربية ببغداد. اختير نائبًا عن الموصل في البرلمان العراقي، كما اختير عضوًا في مجمع اللغة العربية بدمشق والمجمع العلمي العراقي والمجمع اللغوي بالقاهرة. وقد ظل يمارس الطب إلى أن أقعدته الشيخوخة.

من آثاره: مخطوطات الموصل، الآثار الآرامية في لغة الموصل العامة، كلمات فارسية في عامية الموصل.



سعيد عبده

ولد في مصر عام 1901م، وحاز شهادة الطب الأولية عام 1930م من جامعة القاهرة، كما حصل على دبلوم الصحة العامة وطب المناطق الحارة عام 1939م.

عمل في المؤسسات والكليات الطبية في مصر، وكتب كثيرًا في قضايا السياسة والاجتماع والنفس والشعر والقصة والأدب والطب، كما نشر مقالات في جريدة السياسة، وكان له باب طبي ثابت في جريدة أخبار اليوم بعنوان: «خدعوك فقالوا».

من آثاره: هياكل الريف: مجموعة قصصية، إضافة إلى نقد لعدة مسرحيات. توفي في الثمانينيات الميلادية.

سليم سلامة (1895- 1963م)

ولد في رام الله، وتلقى علومه الابتدائية والثانوية بالقدس، وتخرج في الكلية الإنجليزية، حيث تخصص بالتربية والتعليم. مارس مهنة التعليم في القدس مدة قصيرة ثم عزف عنها؛ فتابع تحصيله الجامعي والتحق بالجامعة الأمريكية في بيروت ودرس طب الأسنان، وتخرج طبيبًا عام 1921م.

زاول عمله في القدس ورام الله وحيفا، ثم لجأ إلى دمشق إثر النكبة وهناك مارس فن الكتابة والترجمة، وقد غادر دمشق عام 1958م إلى مسقط رأسه وتوفي هناك عام 1963م. من آثاره: على مائدة الماسونية، الفصول الخمسة، مرآة النفس، مصرع جبار، وله أشعار قليلة اتسمت بالإخوانيات.

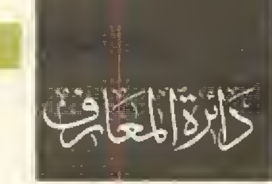


صالح الرحّال

ولد في سورية عام 1953م، وتخرج في جامعة دمشق طبيبًا، وحاز دبلوم الدراسات العليا في أمراض الأنف والأذن والحنجرة، وعمل في مستشفيات دمشق.

شارك في مؤتمرات طبية، وقدَّم أبحاثًا طبية عن مرض الإيدز وعن أمراض الجيوب الأنفية.

نشر بعض القصائد في الدوريات العربية، وله ديوان شعر بعنوان «مستقبل الربيع».





عبدالرحمن الشهبندر (1882- 1940م)

ولد في دمشق، وحاز شهادة الطب من الجامعة الأمريكية ببيروت عام 1904م.

انتسب إلى جمعية الاتحاد والترقي بعد إعلان الدستور العثماني، ثم ما لبث أن خرج منها بعد أن كشف نواياها.

غادر دمشق إلى العراق فمصر ثم عاد إلى سورية عام 1919م، وعين وزيرًا للخارجية سنة 1920م.

اعتقله المستعمر الفرنسي ونُفي إلى جزيرة أرواد قرب طرطوس على الساحل السوري ومكث هناك أكثر من سنتين، وقد شارك مشاركة فعالة في الثورة السورية الكبرى وهو الذي كان يصوغ بياناتها، واغتيل في عيادته بدمشق سنة 1940م.

إلى جانب اهتمامه بالسياسة لم ينس الجانب الفكري والأدبي؛ فكتب مقالات عديدة نشرها في مجلتي المقتطف والهلال.

له كتاب: القضايا العربية الكبرى، كما قرض الشعر في صباه وقد نشر المستشرق الألماني كمبفير مجموعة من شعره.

عبدالرحمن الكيالي (1887- 1969م)

ولد في مدينة حلب وتعلم فيها، والتحق بالجامعة الأمريكية في بيروت وتخرج طبيبًا عام 1914م، ثم عمل طبيبًا عسكريًا في مدينة حماة مدة الحرب العالمية الأولى، بعدها عُيِّن رئيس أطباء المستشفى الوطني في حلب.

انتُخب نائبًا عن حلب للمؤتمر الوطني في عهد الملك فيصل بن الحسين فنفاه الفرنسيون عام 1926م إلى جزيرة أرواد. وقد تولى وزارتي العدل والمعارف ما بين 1936و1939م، كما اختير عضوًا في مجمع اللغة العربية بدمشق.

من آثاره: الجهاد السياسي، المراحل في تاريخ سورية السياسي الحديث: أربعة أجزاء، أضواء وآراء: جزآن، شريعة حمورابي.

عبدالرحيم بدر

ولد في مدينة الخليل عام 1920م، وأنهى دراسته الابتدائية في بئر سبع وغزة، وتخرج في كلية الطب، جامعة القاهرة عام 1945م. وبعد نكبة فلسطين 1948م لجأ إلى أريحا وزاول الطب في عيادته الخاصة.

نشر مقالات عديدة في جريدة المنار المقدسية والأفق الجديد ورسالة المعلم والمجلة والعربي وغيرها، وقد عالج الموضوعات العلمية والأدبية بما فيها القصة والرواية.

عين في اللجنة الأردنية للتعريب والنشر عام 1967م، ثم انتقل إلى الكويت وعمل طبيبًا في وزارة الصحة.

من آثاره: النفوس الميتة: رواية ترجمها عن الإنجليزية، الكون والأحداث، بدائع السماء: رحلة مع العلم في رحاب الكون.

عبدالسلام العجيلي

ولد في الرقة بسورية عام 1918م، وتلقى تعليمه الثانوي في مدينة حلب، ثم انتسب إلى كلية الطب بجامعة دمشق عام 1938م وتخرج فيها عام 1945م. وتطوع في حرب فلسطين عام 1948م.

كان عضوًا في المجلس النيابي السوري عام 1947م عن مدينة الرقة، وعين وزيرًا للثقافة ووكيلاً لوزير الخارجية والإعلام عام 1962م مدة خمسة أشهر.

كثير الأسفار والترحال وقد زار الكثير من البلدان، ومارس مهنة الطب في عيادته بالرقة تاركًا مغريات المدن الكبيرة وضجيجها.

يعد أشهر قاص وروائي سوري، وله ديوان شعري صغير باسم «الليالي والنجوم».

من مؤلفاته: بنت الساحرة، ساعة الملازم، حكاية من الرحلات، قناديل إشبيلية، باسمة بين الدموع، الحب والفن، فارس مدينة القنيطرة.

عبدالله حسين باسلامة

ولد في مكة المكرمة عام 1358هـ - 1939م، ودرس حتى الثانوية في مكة المكرمة، وتخرج في كلية الطب جامعة عين شمس عام 1381م، ثم تخصص في أمراض النساء والولادة وحاز درجة الدكتوراه من ألمانيا عام 1385هـ.

عمل في مستشفيات وزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية، وعين وكيلا لكلية الطب بجامعة الرياض حتى عام 1394هـ، ثم عين عميدًا لكلية الطب والعلوم الطبية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة حتى عام 1400هـ.

له العديد من القصائد الشعرية والأبحاث العلمية. ومن أعماله: وقفة: شعر، حكاية جيلين، سيدتي الحامل.

عبدالله سليمان مناع

ولد بمدينة جدة عام 1358هـ - 1939م، والتحق بجامعة الإسكندرية وحاز البكالوريوس في طب الأسنان وجراحتها عام 1381هـ.

عضو مؤسس في مؤسسة البلاد للصحافة والنشر، وترأس تحرير مجلة «اقرأ».

من أعماله: لمسات: قصص، أنين الحيارى: قصص، الطرف الآخر: مقالات، العالم رحلة.



الثأر

محيي الدين فارس

يُحكى أنه في الزمن القديم، حدثت تنقلات واسعة وهجرات جماعية في البادية لشحّ الأمطار، وأخذت القبائل الرعوية تجوب الصحراء، بحثًا عن مظان مساقط المياه، وبقايا الحفائر القديمة التي يُظن احتفاظها بالبلال، يحتفرونها حتى الأعماق البعيدة، علّها ترشح ماءً، لكن كانت جهودهم تضيع أدراج الرياح.

ذات أصيل، ظهرت الغربان فجأة، وملأت السماء، وعمّت الفرحة كل الناس، فمن تجاربهم أن ظهور الغربان، يؤذن بحلول فصل الخريف. في اليوم التالي، شموا رائحة الدعاش(1)، فدقوا الطبول، ليسري الخبر من قرية إلى أخرى؛ ففي الزمن القديم، كانت الطبول والنفخ في قرون الوعول، تقوم بدور الإعلام، غير أن الأيام طالت ولم ينزل المطر والسحب تملأ السماء، ثم ترحل دون أن تسقط قطرة واحدة. وعلى الرغم من الإرهاصات وظهور الغربان أخلف المطر مواعيده، ويئس الناس، وصلوا صلاة الاستسقاء، علّ بارقة أمل تلوح عبثًا، فبعد أن ابتنوا خيامهم للإقامة الدائمة، خلعوها وحملوا أمتعتهم على الجمال والحمير، وراحوا يبحثون عن الماء، فربما هطلت هذه الأمطار في مناطق أخرى، مع أن هذه السحب كانت تهطل بغزارة في هذه الأماكن، ولا تغير عاداتها، أما هذه المرة فقد غيّرت أمكنة الهطل، وهذا ما جعل الغربان لأول مرة تجوب السماء مبشرة بنزول المطر.. ولا ينزل المطر.

ما تزال عيون الناس معلقة بالسحب الرمادية التي تسوقها الرياح إلى جهات غير معلومة وهم يشمون رائحة الدعاش الكاذبة، ولا يصدقون. وقع في أثناء الرحيل حادث قتل غير متعمد، بين قبيلة كبرى وأخرى صغرى، عند اشتداد الزحام حول الماء، ومع أن القتل لم يكن مقصودًا، ويمكن تسويته حسب التقاليد السائدة، إلا أن القبيلة الكبرى وقد سَالَ منها دم، أُشيع حوله ما أشيع من همس البادية، ترى أن النزول على حكم العرف في هذه الحالة، فيه مساس بكرامتها، وغضٌ من هيبتها بين المجتمع القبلي؛ لأن القتل هو القتل لدى القبائل الكبرى، ولا بد من القصاص المدوّي، وإن طال الزمن.

ولما كان الوقت، وقت صراع من أجل البقاء، فالبحث عن الماء أوّلاً هو الأهم، وأجّلت القبيلة الكبرى، على مضض، فكرة الأخذ بالثأر، ريثما ينجلي موقف المطر.

ذات صباح.. والناس يستعدون للرحيل، صدقت النبوءة فجأة، وضحك البرق العبادي(2)، وفي لحظات فاضت الوديان، وامتلأت الحفائر، وعاد الناس لتثبيت خيامهم، وبناء زرائبهم(3) بالشوك وأخذوا في غناء «الدوبيت» فرحين.

بعد أيام.. اخضرت الأرض وعم الخير. لم يكن في ذهن هذه القبيلة بعد الاستقرار سوى شيء واحد، هو الأخذ بالثأر، ولم يكن في بال القبيلة الصغرى، سوى النجاة بجلدها إلى مكان بعيد يكاد يكون مجهولاً.. حتى على العالمين بجغرافية الصحراء ومطاويها المنسية، لذلك واصلت الرحيل على الرغم من الوحول والأمطار والزوابع، باحثة عن مأمن حتى استقر بها المقام في مكان صنعت فيه الطبيعة مغارات وموانع جبلية، وإمعانًا في الحيطة والحذر، بثت العيون في كل فجاج الصحراء، المحيطة بهذا المكان لترصد تحركات هذه القبيلة، التي لن تنام عيونها إلا بعد الأخذ بالثأر.

طاب لها العيش في ظل الحذر الدائم، وانتعشت حالتها الاقتصادية، لجودة المرعى، وكثرة الماء، الذي جعلته شبه دائم بحفر «فُولات»(4) عميقة تمسك الماء جل العام، وخاصة زمن الجفاف. كانت لهذه القبيلة، ابنة حسناء، منذ صغرها، وغير بعيد من سُكنى

القبيلة، عدة «رواكيب»(5) لبيع «العيش»(6) ومستلزمات حياة الناس، يُدير شؤونها شاب ذكي، ابتنى له بجوارها «قُطَيَّة»(7)، ولأنه كان «ونَّاسًا» يجيد السمر، أصبحت «رواكيبه» استراحة، يجتمع فيها ناس القرية للسمر في الأماسي، ويمر عليه بين الحين والحين، بعض الصبية والصبايا لشراء حاجيات القطاطي، ومن بينهم هذه الفتاة.. ومع أنها كانت صغيرة السن، إلا أنها كانت موفورة الجسم، فارعة القوام، فيها نضج مبكر، فتمنى في سرِّه أن تكون له، إذا بلغت حد النضج الكامل، لم يفاتح والدها في ذلك، لأنها ما زالت طفلة، إلا أنه عمد إلى توثيق علاقته به، ليعرفه عن كثب، ويأنس إليه، من خلال الحكايا التي يمهد بعضها لبعض، فالناس قبليّون يحبون توثيق السلالات، وهذا هو المدخل للتزاوج والتصاهر غالبًا.. نجح الشاب في إعطاء والد الفتاة فكرة طيبة عنه، تؤهله إذا تقدم لطلب يدها، أن يجاب طلبه.

وكان من عادة هذه القبيلة، كعادات سكان البادية، أن تنزل إلى «البنْدر»(8) للتسوّق، ثم تعود إلى مستقرها في البادية.

ذات ليل، خرج والد هذه الفتاة ومعه بعض أفراد القبيلة، لبيع جزء من الإبل، وشراء بعض حاجيات المنزل الضرورية.

لم تكن هذه المرة الأولى التي ينزل فيها إلى «البندر» للتسوق، فقد سبقتها مرات في الأسواق الشهيرة، غَيْرَ أنَّه اختار ارتياد الأسواق «الميْته» التي تقل فيها الحركة ولشراء بعض الأسلحة التي يحتاج إليها أهل البادية للدفاع عن النفس والصيد إن أمكن، إذا كان جو السوق ملائمًا غير مريب.

ظنت هذه القبيلة الصغرى، أنها أصبحت بمأمن من شر تلك القبيلة الكبرى، على حذرها واحتياطها، ونمو استعدادها القتالي إن هوجمت، ومما أكد لها سلامة موقفها، غدوها ورواحها دون أن يتعرض لها أحد، أو يقطع الطريق عليها قاطع، ولقد مضى على ذلك زمن طويل، استرخت فيه النفوس، وزايلها الخوف، فتركت الحذر بعض الشيء، وانطلقت على سجيتها. والزمان يمحو بعضه بعضًا، بما فيه من أحداث جسام قد تُنسى.

ويبدو أن هذا الأسلوب كان (تَكْتيكًا) مقصودًا من قبل القبيلة الكبرى لإزالة الخوف من الفريسة حتى تقع في الفخ، دون أدنى وسيلة للخلاص، وكان على القبيلة الصغرى ألا تنسى قانون الصحراء، بعد أن أكد هروبها ضلوعها في الحادث، وأن هذه القبيلة لا يمكن أن تكون بمنأى عما يدور في النفوس. فما يزال وراء الأكمة ما وراءها وإن خيم الهدوء على الصحراء.

في أخريات ليل وبعض أفراد القبيلة الصغرى ينامون في أطراف سوق «البندر» انتظارًا للصباح للدخول فيه للتسوق، وقع الهجوم المباغت في وقت واحد على من في طَرَفِ السوق، ومن بقي في البادية في قلب المغارات.

لم يبق من أفراد هذه القبيلة سوى هذه الفتاة، ذات الجسم الموفور في نضج كامل، والتي استرعت نظر التاجر الشاب وهي طفلة.. لقد نجت من الهجوم الكاسح بأعجوبة، وإن كان الخطر مازال محدقًا بها، تلاحقها أشباحه من كلِّ مكان. هبَّ التاجر من نومه مذعورًا، إثر حلم مزعج، فتوضأ وصلّى، كعادته كلما رأى حلمًا مزعجًا، ثم لمح شبحًا يركض متجهًا إليه غير واضح المعالم، فرك عينيه أكثر من مرة، وأنعم النظر فيه مليًا كلما اقترب منه، فخيل إليه أنه مازال يحلم، ومع اقتراب الشبح شيئًا فشيئًا تبيَّن له أنها هي بلحمها.. حتى ذلك لم يكن في ظنه سوى محض خيالات إلى أن ارتمت على صدره مُسْتَغيثَةً، وسمع نبضات قلبها، وتبيّن على وجنتيها خطوط دموع ممتزجة بغبار الصحراء، وهي تنتفض خائفة، كالعصفور الذي اختلّ توازنه داخل عاصفة هوجاء.. تلفّتت يمنة ويسرة، وفي أنفاس متلاحقة، راحت تقول: قَتَلُوا أمي وأبوي، وكُلّ أفراد القبيلة وهْيَ نايمة.. وطلبت منه ألا يسلمها لهؤلاء المجانين.

أخذته الشهامة، وقرر إنقاذها من الموت المحقق بأي ثمن، والوقوف معها حتى النهاية، كانت أمامه مشكلة حقيقية لا بد لها من حل سريع: كيف يخفي آثار أقدامها والقوم ماهرون في قصّ الأثر؟

تأمل «شوالات العيش»(9) من حوله، وبسرعة الفهد، ورشاقة النمر، حمل الشَّوَّالات الفارغة، ونفضها نفضًا، وخاصة شوالات الدقيق حتى لا تطبع غبارها على الأرض وهو يلهث، وعيناه مسمرتان على الصحراء اللامتناهية وأذناه تلتقطان وقع حوافر خيل قادمة من بعيد.

طلب منها في صوت خفيض أن تتبعه في صمت، وفرش الشَّوَّالات على الدرب، وأمرها أن تمشي على شوال، بعد شوال دون أن تمس الأرض بقدميها ما بين شوال وشوال، حتى عبرت الدرب الذي حدّده دون أن تبقي أي أثر يدل عليها.

نجحت الخطة التي وضعها، وأوصلها بسلام إلى شجرة «تبلدية»(10) معمّرة منغرسة داخل دُغْلٍ كثيف كأنها بَعْض الأمكنة، التي تحرص الطبيعة على إخفائها عن عيون البشر، لتتخذ منها مخبأ.

طلب منها أن «تقطع(11) الحركة»، ثم قفل راجعًا، وهو يقرأ وجه الأرض، ويشم رائحة المكان، ويصغي علَّ حوافر خيل، أو رُغاء إبل، أو حديث قافلة قادمة من تخوم الصحراء، لم يطمئن إلى سكون الأشياء حوله في الغابة فأوجس خيفة، وصدق ظنه، فقد ثار غبار وازداد وقع حوافر الخيل وضوحًا، وعلا رغاء الإبل، وفي لحظة خاطفة، دخل عليه أفراد القبيلة، وهي ترغي وتزبد.. تفرسوا في وجهه والشرر يتطاير من عيونهم، لقراءة الانطباع الأول في ملامحه، الذي يدل على حقائقَ المكنون في صدره، ثم حدقوا في كل شيء حوله بعيون مِنْقَارِيّة متوعّدة.

وقبل أن يلقوا عليه وابلاً من الأسئلة، زحزحوه عن باب القطية، وفتشوا كل شيء، وقلبوا «العنقريب»(12) الوحيد، وبعثروا كل الشوالات القديمة القابعة في ركن القطية، ولما لم يجدوا الفتاة، التي لا يعرفون كيف نجت، وبأي حيلة، قالوا له في صوت واحد متّهم: «درب الفتاة يقول إنها مرتْ على رَوَاكيبَكْ».

فقال لهم: نعم. مرت فتاة «من شُويّة واشترت تمرًا وراحت لحال سبيلها ولا أعرف عنها أي شي(13)».

جواب منطقي. فَرَوَاكيبهُ معدة لبيع الأشياء وليس من وظيفته

أن يعرف كل الناس الذين يمرون عليه. كان رابط الجأش يتدفق منه الكلام عفويًا مقنعًا. غمغموا، وخيل إليهم أنهم شمّوا رائحة الصدق في كلامه، الذي أجاد دوره فيه، تأملوا الأجوبة المتوقعة من تاجر يُسأل هذه الأسئلة وهو في هذه الحالة، فوجدوها منطقية.

تحركوا في بطء وهم يمضغون بعض كلام، ثم «نهروا»(14) خيلهم بأرجلهم، وظنوا أن الفتاة ما تزال في الطريق قريبًا منهم.

ابتلعتهم الصحراء، واختفت أصوات حوافر خيلهم.

مسح الفضاء اللامتناهي بعينيه، ولم يطمئن فخدع أهل البادية وحيلهم كثيرة، فقد يعود بعضهم فجأة.. وتحسُّبًا لظهور أشباح تتلصص عليه، لتتأكد من صدق موقفه، تريث قليلا حتى خلا الدكان من الزبائن، ولما اطمأن لسلامة الجوّ، وخلو الدرب من المارة، ترك دكانه مفتوحًا كأنه ذاهب لقضاء حاجة، وتلفت يمنة ويسرة، ثم أنزلها من الشجرة في هدوء، حاملاً على كتفيه «شوالين» كي تسير عليهما بالطريقة الأولى نفسها.

في تلك الأثناء ظهرت أمامه مشكلة عاجلة: ماذا لو أن الدرب أعادهم مرة أخرى؟ فكيف يخفي الفتاة وكيف يكون موقفه إن تأكد لهم أنّه كاذب فيما ادّعى؟

قدح ذهنه في سرعة البرق، وتذكر شيئًا مهجورًا في طرف الغابة، مكوّنًا شبه قطيّة، لم تصنعها يد البشر، تدلت عليها أصابع لحاء الشجر ممسكة بيافوخ الأرض، كسنّدات، تحمل الشجرة كلما زاد وزنها.

كان الناس لا يقتربون من هذه «القُطيّة» إلا وهم جماعات، فقد أشيع أنّ الأشباح تسكنها، وهذا التاجر هو الذي روّج هذه الإشاعة لحاجة في نفس يعقوب، فكلما واتته الفرصة، كان يختلس الزمن للمجيء إليها، ويسورها ببعض الأحطاب المنتقاة، مكونًا منها هيكل «قُطيّة»، ثم يجلب مجموعة من أعواد البوص المثقوب، ويضعها بطريقة فنية، بحيث إذا مرت عليها الريح، أحدثت خشْخَشَة وأصواتًا تشبه أصوات البشر تخيف المارة، التي تنقل الخبر، مجسمة الأمور في كل مكان.

اتخذ التاجر من هذه القطية «محفظة»، يخبئ فيها فائض المال، حفر حفرة عميقة، وغطاها بصخرة عريضة، مربعة الشكل، تشبه البلاطة، وردمها بردمية من جنس تراب الغابة، حتى لا تلفت فراسة أهل البادية.

فكر: لماذا لا يخبئ الفتاة في هذه القطية التي يتحاشاها الناس؟ لكن كيف يُفهم الفتاة حقيقة القطية حتى تطمئن للركون إليها مؤقتًا ريثما يتدبر الأمر، ويبعدها كليًا من هذه المخاطر؟ همس في نفسه: ذلك ممكن، بشرط ألا يعود العسس مرة أخرى، فالمشكلة مشكلة زمن، لأن الأحداث أخذت تتلاحق، والفضوليون، يحاولون استطلاع الأنباء. والنفاذ بأي ثمن إلى ظلّ الحقيقة.. أخذ يفكر.. هل تتخلى عنا الأقدار الحسنة؟ لقد كانت معنا الطبيعة التي رسمت ديكورًا سماويًا، وتلك الريح التي هبت حلزونية كمكنسة كبيرة محت الآثار من وجه الأرض، مخفية الدليل على وجودها.

الخوف وارد في ظروف الخوف هذه، فقد تضع الفتاة قدمها على شبر، أو بعض شبر من الرمال، بين شوالين وهي في عجلة من أمرها، فيكون ذلك دليلاً، يفضي إلى أدلة أخرى. وقصّاصُو الأثر ذوو دراية عالية بالتغيرات التي تعتري جسم الأرض في كل لحظة، ثم لا أنسى هذه القطية التي صنعت سائرها الطبيعة وسورتُها بالأشباح الوهمية، التي تمنع عنها تغول البشر.. توكّل على الحيّ الذي لا يموت، وهمس في أذن الفتاة بالحقيقة وتفاصيلها، وأفضى لها بكل مخاوفه وبخطواته القادمة، وقال لها: لا مكان لإيوائها إلا في هذه القطية.

لم تتردد الفتاة، وباتت ليلتها في تلك القطية الملعونة في نظر الناس، المباركة في نظرها، وكانت تسخر من الرعاة العائدين بقطعانهم من المراعي، عندما يزجرون أغنامهم إذا اقتربت من هذه القطية، ويأخذون في الحديث عما رأوا من صخب الأرواح الشريرة، وتطْواف الأشباح التي تحرس طرفَ الغابة.

ونقل هؤلاء الرعاة، أن الفتاة ظهرت في القطية.. والحق أن التاجر كان وراء كل إشاعة، يسبْكُها وينمقها حتى لا يقترب أحد من هذه القطية.

ولما كان قد وَقَرَ في النفوس، أن أشباح الموتى هم الذين يظهرون في الغابة، ظن الناس أن الفتاة قد قُتلت، وأن ما يتراءى لهم هو شبحها، مع أنها منذ ولوجها القطية لم تبرح أعتابها، وأدركتْ أن حديثهم هذا الذي أصبح سياجًا لها، سيسهّل هروبها في أي لحظة، وحتى لو صادفوها في الطريق، فسيظنون أنها شبح من أشباح الموتى.

كان التاجر، يراقب كل شيء، ويصغي إلى كل الأقاويل التي أشعل فتيلها بحكمة ورويّة.

في آخر ليل، ودون أن تحدثه بنواياها وبعد أن همَّ بالرجوع من لدنها إلى دكانه، وكان من عاداته بعد إيصال الزاد إليها، أن يلوّح لها بيديه، وحين أراد فعل ذلك لمح شبحًا يتسرب في الصحراء، وهو يلوح له بالوداع!!

الهوامش:

(*) قصة من التراث الشعبي السوداني.
1- رائحة الدعاش: رائحة المطر.
2- البرق العبادي: برق لا يكذب.
3- زرائبهم: حظائرهم.
4- قولات: جمع قُولة: حفائر يحفظ فيها الماء مدة طويلة.
5- رواكيب: جمع راكوبة: دكان شعبي.
6- بيع العيش: الحبوب.
7- قطية: منزل شعبي.
8- البندر: المدينة ذات الأسواق.
9- شوّلات: الجوالات.
10- تبلدية: شجرة يُجوّفونها لحفظ الماء.
11- تقطع الحركة: تعبير دارج كناية عن الصمت المطبق.
12- سرير مفتول بالحبال.
13- أيّ شي: أيُّ شَيء.



سمو أمير الباحة يرعى حفل تكريم الفائزين في مسابقة القرآن الكريم

الإعلان عن المسابقة الدولية لفن الخط العربي في تركيا

«الوقف ودوره في التنمية» موضوع مسابقة جائزة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني في قطر

في معرض القاهرة الدولي للكتاب: الناشرون يغضبون.. والمنظمون يتعللون!

اكتشاف قرية عمرها 110 قرون في العراق، ومدينة متكاملة تحت قلعة عمان بالأردن

زمالة للدراسات الإسلامية في أكسفورد باسم «أمير ويلز»، وافتتاح قسم للغة العربية في جامعة الدولة في موسكو

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين: سمو ولي العهد يرعى

انطلاق فعاليات المهرجان الوطني الثاني عشر للتراث والثقافة (جنادرية 12)

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود - يحفظه الله - رعى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني السعودي انطلاق فعاليات المهرجان الوطني الثاني عشر للتراث والثقافة (الجنادرية) في يوم الأربعاء 26 شوال المنصرم الموافق الخامس من مارس/ آذار 1997م، وذلك بحضور الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني، وهيلموت شيفر وزير الدولة للشؤون الخارجية في ألمانيا الاتحادية وعدد من كبار الشخصيات العربية والخليجية.

وقد انطلقت الفعاليات في أثناء مثول المجلة للطبع مما حال دون تغطية أنشطة المهرجان التي كان من المقرر - مسبقًا - أن تكون على النحو التالي:

• الخميس 1417/10/27هـ= 1997/3/6م:

يرعى صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبدالعزيز نائب رئيس الحرس الوطني رئيس اللجنة العليا للمهرجان حفل افتتاح النشاط الثقافي الذي يبدأ أعماله في اليوم نفسه، ويشتمل على ندوتين: الأولى عن: «صورة الإنسان المسلم في الغرب وصورة الإنسان الغربي في العالم الإسلامي»، يشارك فيها كل من: د. عبدالقادر طاش وبول كندي ومصطفى العقاد، ويديرها د. عبد الرحمن الزامل، والأخرى عن: «العمارة الإسلامية وأثرها في الحضارة الغربية» يشارك فيها الأمير تشارلز وعدد من المتخصصين في معهد أمير ويلز.

مكتب التربية العربي يناقش بناء قاعدة معلومات للباحثين

اختتمت في الرياض في السابع عشر من شهر شوال المنصرم اجتماعات الدورة الثانية والأربعين للمجلس التنفيذي لمكتب التربية العربي لدول الخليج.

وقد أقر المجتمعون جدول أعمال المؤتمر العام الرابع عشر ومراحل التنسيق التي قطعها المكتب مع المسؤولين بوزارة التربية والتعليم والثقافة بدولة قطر حول استضافة قطر لهذا المؤتمر الذي سيبدأ أعماله بالدوحة في 25 مارس/ آذار المقبل بمشاركة وزراء التربية والتعليم والمعارف بالدول الأعضاء بالمكتب.

وقال الدكتور علي بن محمد التويجري المدير العام للمكتب: إن المجلس التنفيذي ناقش الميزانية المالية لجامعة الخليج العربية للدورة المالية 1998-1999م، كما ناقش بناء قاعدة معلومات للمكتب ووثيقة الأهداف العامة للمناهج وتقويم الكتب الموحدة والمطورة في الرياضيات والعلوم في الدول الأعضاء بالمكتب. وأضاف التويجري: إن مشروع بناء قاعدة المعلومات بالمكتب الذي تمت مناقشته يرمي إلى وضع دول الخليج العربية في مصاف الدول التي تعتني


د. علي بن محمد التويجري





• الجمعة 1417/10/28هـ= 1997/3/7م:

يلقي وزير الدولة للشؤون الخارجية في ألمانيا الاتحادية هيلموت شيفر محاضرة عن «الإسلام وأوربا»، تليها ندوة «الشخصية السعودية» عن الأستاذ الشاعر حسين عرب، ويشارك فيها كل من: د. محمد عبده يماني ود. حسن بن فهد الهويمل ود. محمد العيد الخطراوي ود. عبدالمحسن القحطاني والأستاذ عبدالله نور. ثم ندوة «نهاية التاريخ: مراجعة ونظرة في المستقبل»، ويشارك فيها كل من: د. أبو بكر باقادر ود. أحمد مصلي ود. مطاع الصفدي ومحمد وقيدي ومسعود طاهر، ويديرها الأستاذ عبدالرحمن السدحان.

• السبت 1417/10/29هـ= 1997/3/8م:

تقام ندوة عن «مستقبل الإنسانية: عالم واحد وحضارات متعددة»، يشارك فيها كل من د. علي حرب ود. صالح المانع وفيكتور بروك وفرانسوا لاماند.

• الأحد 1417/10/30هـ= 1997/3/9م:

يقيم الشعراء فواز اللعبون وأحمد بهكلي وعبدالله الصيخان أمسية شعرية.

• الاثنين 1417/11/1هـ= 1997/3/10م:

يلقي د. رضوان السيد محاضرة عن «الإسلام والتعدد الثقافي»، تعقبها ندوة عن «الأسس المعرفية والفلسفية للرؤيتين الإسلامية والليبرالية» يشارك فيها كل من: د. علي المزروعي وفريد هاليداي ود. مراد وهبة ود. محمد جابر الأنصاري ود. عبد الرحمن السنيدي، ويديرها د. علي النملة.

• الثلاثاء 1417/11/2هـ= 1997/3/11م:

تقام أمسية شعرية يشارك فيها عدد من الشعراء، هم: أحمد الصالح (مسافر) وداود المعلا وحسن الأمراني، وسيدير الأمسية د. إبراهيم أبو عباة. ثم تقام ندوة عن «الاستراتيجيات الاقتصادية الغربية وعلاقتها بالعالم الإسلامي»، يشارك فيها: د. أحمد محمد علي ود. علي الدين هلال ود. عبدالعزيز الدخيل ود. شوقي الفنجري، ويديرها د. عبدالله القويز.

• الأربعاء 1417/11/3هـ= 1997/3/12م:

اختتام برنامج النشاط الثقافي بندوة عن «الإسلام والديمقراطية» يشارك فيها: سمو الأمير تركي بن محمد بن سعود ومايكل هدسون وخورشيد أحمد وسعيد بنسعيد وفهمي هويدي، وسيديرها د. عبدالواحد الحميد.

أما النشاط الثقافي النسوي فسيكون في قاعة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، القسم النسوي، اعتباراً من يوم الاثنين 1417/11/1هـ، وستبدأ فعالياته بمحاضرة «المرأة والتحديات الإعلامية» وتشارك فيها كل من: سهيلة زين العابدين حماد ود. مي العيسى، ثم محاضرة «المرأة والتحديات التربوية والتعليمية» وتشارك فيها كل من: آمال المرزوقي وست الحسن الجهني ومنيرة العلولا ونوال الثنيان، ثم محاضرة «المرأة والتحديات الاجتماعية» وتشارك فيها كل من: د. نوره السعد وعواطف البياري وفاطمة الموسى وهناء المطلق، بعدها محاضرة عن «الإبداع النسائي في المملكة» بمشاركة: فاطمة الوهيبي ود. دلال الحربي. ثم يختتم النشاط النسوي فعالياته بأمسية شعرية تشارك فيها كل من: أشجان الهندي وأميمة خوجة وأمل الغنيم وفاطمة القرني ورافدة الحريري.

وسوف يشارك في المهرجان عدد كبير من الأدباء والشعراء والمفكرين والباحثين من عرب وأجانب، وما يقرب من مئة أديب وشاعر وباحث وفنان تشكيلي سعودي، إضافة إلى الفرق الشعبية الفنية المشاركة في افتتاح المهرجان.

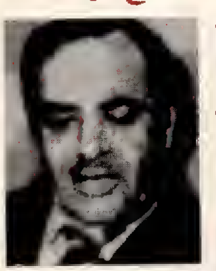
بالمعلومات وتهيئتها للباحثين والمسؤولين عن التعليم الذين هم في أمس الحاجة إلى المعلومات لاتخاذ القرارات المناسبة.

مركز ثقافي إسلامي في القدس بتمويل سعودي

تم توقيع اتفاق سعودي فلسطيني لإقامة مركز ثقافي إسلامي في القدس الشريف، ومنح قروض إسكان بلا فوائد لبناء مساكن عربية في المدينة المقدسة، بغية تأكيد عروبتها.

تبلغ قيمة الاتفاق خمسة ملايين دولار، وقعه عن الجانب السعودي نائب رئيس إدارة المشروعات في بنك التنمية السعودي، وعن الجانب الفلسطيني وزير الأوقاف رئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس حسن طهبوب.

رحيل الشيخ عبدالفتاح أبو غدة



الشيخ عبد الفتاح أبو غدة

انتقل إلى رحمة الله تعالى في مدينة جدة في التاسع من شهر شوال المنصرم فضيلة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة المحقق المعروف، بعد رحلة طويلة مع التأليف والتحقيق استغرقت أكثر من ستين عامًا.

ولد الشيخ عبدالفتاح في حلب سنة 1917م، ودرس في الدار الخسروية بمدينته، ثم نهل بعد ذلك من علماء الحديث بالأزهر حيث نال درجة العالمية، وقد درس على أيدي كبار العلماء في مصر والهند والباكستان وتركيا وغيرها من البلدان.

حضر الشيخ أبو غدة للعمل في المملكة العربية السعودية عام 1387هـ، ودرّس في المعاهد والكليات وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة الملك سعود.

وكان - يرحمه الله - عضواً تأسيسياً في رابطة العالم الإسلامي، ومن كبار العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، وحاز جائزة سلطان بروناي للدراسات الإسلامية 1996م.

ترك مؤلفات عديدة - بين تأليف وتحقيق - من أبرزها: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، والأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، ورسالة المسترشدين للإمام المحاسبي،

سمو أمير الباحة يرعى حفل تكريم الفائزين في مسابقة القرآن الكريم

رعى صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود بن عبدالعزيز أمير منطقة الباحة حفل تكريم الفائزين بجائزة سموه لحفظة كتاب الله الكريم في عامها السابع، الذي أقيم بالمركز الرياضي بالباحة في الثالث والعشرين من شهر شوال المنصرم.

وقد أقيم بهذه المناسبة حفل خطابي بُدئ بآيات من الذكر الحكيم، ثم كلمة للأمين العام للجائزة، أشار فيها إلى أن الجائزة فاز بوشاحها في حفظ القرآن الكريم كاملاً خمسة حفظة من الجنسين، وفي حفظ عشرين جزءاً ثمانية متسابقين، وفي حفظ عشرة أجزاء عشرون متسابقًا، وفي حفظ خمسة أجزاء ثمانية وسبعون متسابقًا.


الأمير محمد بن سعود بن عبدالعزيز

ثم توالت الكلمات؛ حيث ألقى الطالب أحمد درويش غرم الله كلمة الفائزين، وألقى رئيس لجنة المسابقة والتنسيق كلمة ترحيبية، ثم ألقى د. عبدالرزاق الزهراني قصيدة شعرية، بعدها ألقيت كلمة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ألقاها وكيل الوزارة لشؤون المساجد علي بن فهد الغيث، ثم ألقى معالي وزير المعارف الدكتور محمد بن أحمد الرشيد كلمة بيّن فيها العناية التي توليها الوزارة للقرآن الكريم ومدارس تحفيظه.

ثم ألقى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن محمد بن سعود وكيل إمارة الباحة ورئيس الجائزة كلمة الجائزة، حيث أشار إلى دور الجائزة في تشجيع الطلبة وتنافسهم المحمود.

والتصريح بما تواتر في نزول المسيح، والإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، وفتح باب العناية بشرح كتاب النقاية، والمنار المنيف في الصحيح والضعيف، والمصنوع في معرفة الحديث الموضوع، وفقه أهل العراق وحديثهم، وخلاصة تهذيب الكمال، وصفحات من صبر العلماء، وقواعد في علوم الحديث، وكلمات في كشف أباطيل وافتراءات، وقاعدة في الجرح والتعديل، والمتكلمون في الرجال للحافظ السخاوي، وذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل للذهبي، وتحفة الأخيار في إحياء سنة الأخيار، ونماذج من رسائل الأئمة وأدبهم العلمي، والرسول المعلم وأساليبه في التعليم، وغير ذلك من الكتب الأخرى.

معرض «صدى الحرف العربي»

استضافت صالة روزنتال للفنون بجدة معرضًا شخصيًا أقامه الخطاط أبو بكر حسن سعد تحت عنوان «صدى الحرف العربي».

رمى المعرض إلى إبراز جماليات فن الخط العربي من خلال معروضاته التي تنوعت ما بين مائية وأكريلك وجلديات مع مزاوجة بين حداثة الطرح والتقيد بأساليب المدرسة التقليدية، واستخدام وحدات من الزخرفة الإسلامية المذهبة لتأكيد تلازم الزخرفة والخط العربي، انطلاقًا من قناعة بأن الزخرفة هي أم الفنون الإسلامية.

معرض تشكيلي ثلاثي

استضاف المركز السعودي للفنون التشكيلية في جدة معرضًا فنيًا ثلاثيًا للفنانين عبدالله إدريس، وهاشم سلطان، ومحمد الغامدي تحت عنوان «عرض خاص تحت نصف آخر» خلال

محاضرات وندوات

«دور المسلمين في بناء الحضارة الإنسانية: في القانون»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، معالي الدكتور محمد معروف الدواليبي.

«نشاطات البنك الإسلامي ودور القطاع الخاص والمكاتب الاستشارية»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز المؤتمرات بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران، معالي د. أحمد محمد علي.

«الدين النصيحة.. من جوامع الكلم»، عنوان محاضرة ألقاها في قاعة الاجتماعات بمجموعة سندس في المدينة المنورة، الشيخ د. محمد المختار محمد.

«المدائح النبوية عند شعراء مصر وعمان»، عنوان ندوة أقيمت في صالون الفراهيدي الثقافي بالقاهرة، شارك فيها الدكتوران: أحمد درويش، ومحمود علي مكي.

«قانون الإعلام وحرية التعبير»، موضوع محاضرة ألقاها في جبيل (شمالي بيروت) بدعوة من مجلسها الثقافي، وزير الإعلام اللبناني باسم السبع.

«الإسلام والمسألة السياسية»، «تحليل الخطاب الاستشراقي»، محاضرتان ألقاهما في مؤسسة عبدالرحيم بوعبيد في المغرب، المفكر التونسي هشام جعيط.

«الشعر العربي المغربي اتجاهاته ومسيرته»، موضوع ندوة نظمها المركز الثقافي المصري في الرباط، حاضر فيها الناقدان الدكتوران: نجيب العوضي ومحمد الخضري والشاعران د. بلال حديدان وعديس سودائي.

«العلاقات العربية ـ الإيرانية منذ العام 1952م»، عنوان محاضرة ألقاها في معهد الدراسات الدولية في جنيف بسويسرا، د. وليد عبدالناصر.

«الإسلام والفن»، موضوع ندوة أقيمت في صالون إحسان عبدالقدوس بمؤسسة روز اليوسف الصحفية بالقاهرة، تحدث فيها المفكر الإسلامي د. محمد عمارة.

«رحلة في عقل الشباب المسلم»، موضوع ندوة نظمتها الجمعية المصرية للطب النفسي، تحدث فيها د. محمد الراوي، وتهامي منتصر.



بعد ذلك ألقى صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود بن عبدالعزيز أمير منطقة الباحة صاحب الجائزة كلمته التي قال فيها: نفخر بأننا الدولة الوحيدة في العالم التي جعلت من القرآن الكريم وسنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام دستورًا لنا. وأضاف سموه: ولله الحمد والشكر على عطائه وتكريمه أن جعل الحرمين الشريفين في أرضه ويقوم على حمايتهما أئمة وملوك صانوهما وحافظوا عليهما وسخروا موارد الدولة لخدمة الحجيج والمعتمرين وأداء المناسك.

د. محمد الأحمد الرشيد

ثم أعلن رئيس لجنة التحكيم أسماء الفائزين حيث تسلموا جوائزهم من صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود بن عبدالعزيز أمير منطقة الباحة. وفي نهاية اللقاء قدم سمو أمير منطقة الباحة الدروع والهدايا التذكارية للحضور بهذه المناسبة.

شهر شوال الماضي.

ضم المعرض ستين عملاً فنيًا مقسمة بالتساوي على الفنانين الثلاثة، تمثل الأعمال الأخيرة لهم، وتوضح تمايز تجربة كل فنان وتفردها وخصائصها.

معرض جماعي للتصوير الفوتوغرافي

شارك ستون من محترفي فن التصوير الفوتوغرافي وهواته في معرض جماعي نظمه - للمرة الأولى - بيت الفنانين الفوتوغرافيين التابع لجمعية الثقافة والفنون في جدة.

أقيم المعرض في مجمع الراشد بمدينة الخبر، وضم قرابة مئتي عمل فوتوغرافي، واستمر 12يومًا.

كتب جديدة

ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب، تأليف د. عبدالله عباس الندوي، صدر عن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

الخطط التسويقية: كيفية إعدادها وكيفية تطبيقها، تأليف د. مالكولم ماكدونالد، ترجمه إلى العربية صالح الدويش، ود. محمد عبدالله العوض، وصدر عن معهد الإدارة العامة بالرياض.

تكملة الإكمال، تأليف الحافظ أبي بكر محمد بن عبدالغني البغدادي الحنبلي، المعروف بابن نقطة (ت629هـ)، تحقيق د. عبدالقيوم عبد رب النبي، صدر عن معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى في مكة المكرمة.



كتب جديدة

تركيا والعرب، تأليف هيثم الكيلاني، صدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في أبو ظبي.

دليل أوائل المطبوعات العربية في العالم حتى نهاية القرن التاسع عشر، إعداد فوزي تادرس، صدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي.



المؤتمر العربي الدولي الثاني للملكية الفكرية

يرعى رئيس الوزراء البحريني الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة افتتاح المؤتمر العربي الدولي الثاني للملكية الفكرية الذي يقام في المنامة خلال المدة من 14 إلى 16 ذي الحجة المقبل (20 - 22 أبريل 1997م) بمناسبة انضمام البحرين لمعاهدتي باريس وبرن.

ينظم المؤتمر المجمع العربي لحماية الملكية الفكرية، بالاشتراك مع «مؤسسة أبو غزالة للملكية

«محمد تيمور.. رائد التحديث الأدبي»، موضوع ندوة نظمتها مكتبة القاهرة الكبرى، تحدث فيها كل من: د. نبيل راغب، ونهاد صليحة، ومحمد سلماوي، وسمير عوض، وأحمد زكي.

«أحمد أمين أديبًا ومصلحًا ومفكرًا»، عنوان محاضرة ألقاها في ديوان الكوفة في لندن د. صلاح الغباشي.

«الاجتهاد في قضايانا المعاصرة»، عنوان محاضرة ألقاها في قصر رابطة التربية الحديثة بالقاهرة، مفتي مصر الشيخ د. نصر فريد واصل.

«مجلس التعاون لدول الخليج العربية.. من التواصل إلى التكامل»، موضوع محاضرة ألقاها في المجمع الثقافي بأبو ظبي، د. نايف علي عبيد.

«المفهوم الغربي الخاطئ للتعامل مع الشرق الأوسط»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية دالج في لندن، فؤاد مخزومي.

«الدين والضمير في منظور الصيام والعبادات»، عنوان محاضرة ألقاها في المسرح الصغير بدار الأوبرا المصرية، أحمد فراج.

«السلطان عبدالحميد الثاني وقصر يلدز 1876- 1909م»، عنوان محاضرة ألقاها ضمن الموسم الثقافي لدار الآثار الإسلامية في الكويت، د. فيليب مانسل.

«صخرة الأكروبول المقدسة منذ العصر الحجري الحديث وحتى اليوم»، موضوع ندوة نظمتها مؤسسة الثقافة اليونانية في مدينة الاسكندرية، تحدثت فيها أريتي بوتسيو.

«مهارات الباحث وفنية الإبداع الشعبي»، موضوع محاضرة ألقتها في رابطة الأدباء بالعديلية في الكويت، د. حصة الرفاعي.

«الخطابات الإسلامية المعاصرة حول التعددية الديموقراطية»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت، د. أحمد الموصلي.

«الضحك والآخر: صورة العربي في الفكاهة الفرنسية»، الكتاب الأخير للكاتب الصحافي حسن نرايس، كان موضوع ندوة نظمها فرع اتحاد كتاب المغرب بالبيضاء بالتعاون مع دار الرابطة للنشر، وقدمها الشاعر حسن نجمي.

الفكرية»، ويعقد تحت شعار «حماية حقوق المؤلف وحماية البراءات في الدول العربية»، بمشاركة مجموعة من العلماء ورجال القانون والمسؤولين ورجال الأعمال؛ حيث يناقشون موضوعات ذات علاقة، من بينها: آثار اتفاقية الجات في حقوق الملكية، وحقوق المؤلف في العالم العربي، والاتفاقات الدولية بشأن حقوق المؤلف، وموضوعات أخرى.

مهرجان الخليج للإنتاج التلفازي

يفتتح وزير الإعلام البحريني محمد إبراهيم المطوع مهرجان الخليج للإنتاج التفازي، الذي ينظمه تلفاز الخليج بالتعاون مع هيئة الإذاعة والتفاز بالبحرين تحت عنوان «نحو إنتاج تلفازي أفضل» في التاسع من شهر ذي القعدة الجاري لمدة أربعة أيام.

يشارك في المهرجان ممثلون لدول مجلس التعاون ويتضمن مسابقات بين محطات التلفاز في فروع البرامج الدينية والأطفال والمنوعات، إلى جانب ندوات ولقاءات يومية مفتوحة.

قطر

جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني

أعلن مجلس إدارة مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني - رحمه الله - في الدوحة عن جائزة سنوية مقدارها خمسون ألف ريال، وسيكون موضوع الجائزة هذا العام «الوقف ودوره في التنمية».

ومن شروط البحوث المقدمة أن تكون قد أعدت خصيصًا للجائزة، وألا تكون جزءًا من عمل منشور، أو انتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوافر فيها خصائص البحث العلمي. ويقدم الباحث بحثه من ثلاث نسخ مكتوبة على الآلة الكاتبة، على ألا تقل عدد صفحاته عن مئتين ولا تزيد على ثلاثمئة، مع إرفاق ترجمة ذاتية للكاتب. وآخر موعد لتسليم البحوث هو نهاية شهر سبتمبر 1997م.

عنوان مكتب الجائزة: الدوحة ص.ب 9112 فاكس: 00974436070

الكويت

مؤسسة البابطين تفتتح دورة الأخطل الصغير

أعلن مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عن فتح باب الترشيح للجوائز في دورتها السادسة التي تحمل اسم «الأخطل الصغير» في مجالات: الإبداع في مجال الشعر، والإبداع في مجال نقد الشعر، وأفضل قصيدة منشورة في إحدى المجلات أو الصحف أو الدواوين الشعرية خلال عامي 1996- 1997م، وأفضل ديوان شعري صدر خلال خمس سنوات تنتهي في 1997/10/31م.

من ناحية ثانية أعلن الأمين العام للمؤسسة عبدالعزيز السريع عن الاستعداد لإصدار الطبعة الثانية من معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، داعيًا مَنْ فاتهم الاشتراك في الطبعة الأولى من الشعراء العرب إلى مراسلة المؤسسة وتزويدها بالبيانات المطلوبة.

الموسم الثقافي لرابطة الاجتماعيين

يقام حاليًا في مقر رابطة الاجتماعيين الكويتيين بالعديلية الموسم الثقافي الرابع والعشرون للرابطة تحت عنوان «الكويت والمجتمع المدني».

يشتمل الموسم على سبع جلسات موضوعاتها كالتالي: «من الحماية إلى الاستقلال»، «الفترة من الاستقلال حتى الغزو العراقي في مطلع العقد الحالي»، «تطور النظام السياسي في الكويت»، «مسيرة النظام الديموقراطي في بناء المجتمع المدني»، «حركة التنوير في المجتمع الكويتي وتأثيرها في قيام المجتمع المدني»، «دور التعليم والثقافة والمعرفة في بناء المجتمع المدني في الكويت» و«تطلعات المجتمع المدني في الكويت».

كتب جديدة

الرياضة والمجتمع، تأليف أمين أنور الخولي، صدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة».

محاورات مع النثر العربي، تأليف د. مصطفى ناصف، صدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة».

إضاءات الشيب الأسود، مجموعة شعرية ليعقوب السبيعي.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

اليمن

اكتشاف طريق قوافل البخور

اكتشف فريق آثاري أمريكي ينقب في شرقي اليمن الطريق القديم لتجارة البخور والمر واللبان الذي كان يمر في مدينة عبر (إرم ذات العماد التي ورد ذكرها في القرآن الكريم).

وعثر الفريق على 65 موقعًا أثريًا خلال ثلاثة أسابيع تدل على الطريق، من بينها قلاع حجرية كانت تناط بها مهمة حماية قوافل الجمال المحملة، إضافة إلى علامات الطريق الحجرية التي كانت القوافل تسترشد بها، وقبور، وآثار أخرى تدل على وجود مستوطنات قديمة وتجارة مزدهرة.

مصر

اليونسكو تشارك في ترميم الأزهر

يقوم مركز التراث العالمي التابع لمنظمة اليونسكو - حاليا - بإعداد الدراسات والخطوات التنفيذية الخاصة بمشروع صيانة الجامع الأزهر وترميمه.

وصرح الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار في مصر د. علي حسن بأن الحكومة المصرية تولي ترميم الجامع الأزهر اهتمامًا خاصًا، حيث تشترك فيه جهات عليا وهيئات تنفيذية عدة، إضافة إلى المجلس الأعلى للآثار. وأضاف: إنه تم تشكيل لجنة عليا من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ووزيري الثقافة والإسكان للإشراف على تنفيذ خطوات المشروع الذي يتم على مرحلتين، تنتهي أولاها في شهر يوليو/ تموز المقبل، وتشمل المنطقة الشرقية من الجامع، أما المرحلة الثانية فتشمل تدعيم الأساسات وترميم الأسقف ترميمًا معماريًا وجماليًا دقيقًا.



معرض القاهرة الدولي للكتاب الناشرون غاضبون والمنظمون يتعللون

لعل أنسب ما يمكن أن نصف به الدورة التاسعة والعشرين لمعرض القاهرة الدولي للكتاب التي اختتمت أعمالها في نهاية شهر رمضان الماضي، هو أنها دورة المشكلات التي لم يرض عنها أحد.

ذلك أن تزامن إقامة المعرض مع شهر رمضان المبارك وامتحانات نصف العام الدراسي للمدارس والجامعات قد أسهما بشكل كبير في خلق مشكلات لا حصر لها بين المنظمين ممثلين في الهيئة المصرية العامة للكتاب، والناشرين الذين بلغ عددهم 2400 ناشر ينتمون إلى 79 دولة، الذين اشتكوا من الإقبال المحدود - الذي كان متوقعًا سلفًا - فضلاً عن أن مصروفات شهر رمضان استنزفت القدرات المالية للأسر بحيث لم يعد في وسعها أن تتجه لشراء الكتب من المعرض، وخاصة مع ارتفاع أسعار الكتب؛ حتى إن موسوعة جينز العسكرية الإنجليزية عرضت للبيع بسعر يقارب الستة آلاف دولار!

وفي محاولة من الجهة المنظمة للمعرض لتحقيق إقبال جماهيري قامت من جانبها بإلغاء رسم الدخول وفتح الأبواب مجانًا للجمهور، وتمديد مدة المعرض، والاستعانة بنجوم الفن لتحقيق الإقبال الجماهيري، إلا أن هذه المحاولة وان نجحت في زيادة أعداد زوار المعرض لم تؤد في المقابل إلى زيادة المبيعات، فأسعار الكتب صرفت الجمهور إلى سور «الأزبكية» الشهير حيث تقل الأسعار عن مثيلاتها أضعافًا، وكانت الندوات واللقاءات الفكرية أفضل حظًا من الناشرين، إذ أقبل الرواد عليها، وخاصة أن هناك قرابة ألف أديب ومفكر وفنان شاركوا فيها، وإن لم تخل هي أيضًا من السلبيات التي تمثلت في استئثار الشعراء الكبار والأدباء البارزين بالندوات الأساسية مما شكل ظلمًا للمشاركين الباقين، وقد تمحور البحث في اللقاءات الفكرية حول مستقبل الثقافة العربية وطبيعتها على مشارف القرن الحادي والعشرين.

ومن أهم الظواهر التي رافقت المعرض عودة الجناح العراقي للمشاركة بعد غياب دام ست سنوات، وان جاءت مشاركته متأخرة يومين عن الافتتاح الرسمي، ولوحظ تأثر الكتاب العراقي بظروف الحصار على مستوى الشكل والطباعة والورق.

وتضمنت فعاليات المعرض مناقشة عبر الأقمار الصناعية لكتاب الزعيم الليبي معمر القذافي «تحيا دولة الحقراء»، شارك فيها نقاد من بلدان عربية مختلفة، وتناقش الرئيس الليبي مع النقاد عبر شاشة عملاقة تصدرت الصالة حيث أوضح ما يرمز إليه من كتابه.

واختُتم المعرض بقضية خلافية بين الناشرين والجهة المنظمة، إذ يرى اتحاد الناشرين أن هيئة الكتاب مجرد ناشر لا يحق لها تنظيم المعرض، وأن الجهة صاحبة الحق هي الاتحاد، وخاصة مع وضوح إخفاق الهيئة في تنظيم معرض هذا العام، فيما يرى رئيس الهيئة د. سمير سرحان أن المعرض نجح حيث استقبل مليوني زائر، وباع مليونًا ونصف المليون كتاب قيمتها قرابة ثلاثين مليون جنيه.

غالبية سكان العالم العربي أمّيون

كشفت دراسة أجرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن 50٪ من سكان الوطن العربي دون سن العشرين، وأن غالبية السكان أميون!

وأرجعت الدراسة السبب في تفشي الأمية إلى حرمان المرأة العربية من التعليم، وتوقعت أن يرتفع عدد الأميين في الوطن العربي بحلول عام 2000م إلى 66 مليون أمي!

وفيما كشفت الدراسة عن ارتفاع في نسبة التسجيل بالمدارس الثانوية، ذكرت أنه لا تتوافر لدى عدد من الدول العربية القدرة على إلحاق الأطفال بالتعليم، وحذرت من نقل تجارب الغير في محو الأمية من دون دراستها أو مناقشتها وتعديلها.

ندوة حول الأرقام في اللغة العربية

نظمت الجمعية المصرية لتعريب العلوم ندوة في مقر مجمع اللغة العربية حول وسائل معالجة الأرقام في اللغة العربية خلال شهر شوال المنصرم.

ناقشت الندوة عدة محاور، من بينها: «أصل الرقم المستخدم عند العرب»، «واقع استخدام الأرقام عند العرب وتاريخه»، و«التأصيل التاريخي للنظام العددي».

حوار ثقافات أم صراع حضارات؟

نظمت منظمة تضامن الشعوب الأفرو أسيوية مؤتمرًا في القاهرة خلال شهر شوال المنصرم بعنوان «صراع الحضارات أم حوار الثقافات» بحضور شخصيات عربية ودولية بارزة من قارات مختلفة.

ناقش المؤتمر عدة محاور، منها: الهيمنة الغربية على الخصوصيات الثقافية، ونحو نظام إنساني تحرري جديد، والعالم العربي وشعوب العالم الثالث في مواجهة الهيمنة الغربية، وغير ذلك من المحاور المتعلقة بالموضوع.

مؤتمر للمرأة العربية


د. عصمت عبد المجيد

برعاية معالي الأمين العام للجامعة العربية د. عصمت عبدالمجيد، تقيم الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا اليوم (غرة ذي القعدة) مؤتمرًا للمرأة العربية في الاسكندرية تحضره 200 مديرة عربية من البحرين والكويت وسورية ولبنان وتونس، إضافة إلى مصر.

وتسعى المشاركات - على امتداد ثلاثة أيام - إلى حصر الطاقات البشرية للمديرة العربية في المجالات المختلفة، وتشخيص المعوقات أو المشكلات التي تواجههن في العمل، كما يتم الإعلان عن تأسيس اتحاد للمديرات العربيات وشبكة معلومات تتبع الاتحاد.

كتب جديدة

رواد في مسيرة التنوير، تأليف عثمان محمد الحسن، صدر عن دار المستقبل العربي بالقاهرة.

شواهد ومشاهد، تأليف د. عبدالحليم إبراهيم، صدر ضمن سلسلة «الثقافة الجديدة».

المواجهة الدامية (عن انهيار الاتحاد السوفياتي) تأليف رسلان حسب اللاتوف، ترجمه إلى العربية د. أبو بكر يوسف، وصدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر.

شعر الرثاء في صدر الإسلام، تأليف د. مصطفى عبدالشافي الشورى، صدر ضمن سلسلة «الشعر والشعراء» عن دار لونجمان.

فدوى طوقان.. ظلال الكلمات المحكية، تأليف ليانا بدر، صدر عن دار الفتى العربي.

كتاب الموت، ديوان جديد لأحمد الشهاوي، قدم له جمال الغيطاني.

قواعد الشعر، تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، شرحه وعلق عليه د. محمد عبدالمنعم خفاجي.

صدر الكتابان السابقان عن الدار المصرية اللبنانية.

جيلي عبدالرحمن: شاعر الوقت في سياق آخر، تأليف حيدر إبراهيم علي، وإلياس فتح الرحمن، صدر عن مركز الدراسات السودانية بالقاهرة.

إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، تأليف د. محمود إسماعيل، صدر عن دار عامر للطباعة والنشر.

الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، تأليف محمود قاسم، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

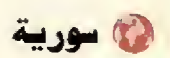
زينة الحياة، مجموعة قصصية لأهداف سويف، صدرت ضمن سلسلة «كتاب الهلال» عن مؤسسة دار الهلال الصحفية.

سينما اليهود.. دموع وخناجر، تأليف رؤوف توفيق، صدر عن مؤسسة روز اليوسف الصحفية.

شطف النار، مجموعة قصصية لجمال الغيطاني، صدرت عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

سورية

رحيل سعيد الأفغاني



سعيد الأفغاني

انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الثلاثاء 11 شوال أحد أعلام اللغة العربية في القرن العشرين، وهو الأستاذ سعيد الأفغاني.

ولد الأفغاني في مدينة دمشق عام 1909م، وتعلم بمدارسها إلى نال الإجازة في اللغة العربية وآدابها من الجامعة السورية 1934م.

عمل أستاذ كرسي لعلوم اللغة العربية في جامعة دمشق، فرئيسًا لقسم اللغة العربية، ثم عميدًا لكلية الآداب إلى أن أحيل إلى التقاعد في 1/1/1969م.

كان ـ يرحمه الله ـ عضواً بمجمع اللغة العربية في دمشق، والمجمع اللغوي بالقاهرة، والمجمع العلمي العراقي، وشارك في عدد كبير من المؤتمرات الخاصة باللغة العربية والنحو على وجه الخصوص.

من مؤلفاته: أسواق العرب في الجاهلية، ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة، الإسلام والمرأة، عائشة والسياسة، في أصول النحو، الموجز في قواعد اللغة العربية وشواهدها، من حاضر اللغة العربية، نظرات في اللغة عند ابن حزم، من تاريخ النحو، معاوية في الأساطير.

ومن تحقيقاته: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي، المفاضلة بين الصحابة للزركشي، جزء ابن حزم من مخطوطة سير أعلام النبلاء للذهبي، جزء السيدة عائشة من مخطوطة سير أعلام النبلاء للذهبي، تاريخ داريا للقاضي الخولاني، الإغراب في جدل الأعراب لأبي البركات الأنباري، لمع الأدلة للأنباري، الإفصاح للفارقي، ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان لابن حزم، حجة القراءات لابن

رسائل جامعية

«مرويات الوثائق المكتوبة عن النبي صلى الله عليه وسلم»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها محمد بن عبدالله الغبان.

«الميول والاتجاهات القرائية لدى التلميذات السعوديات بالمدارس الابتدائية والمتوسطة بمنطقة جدة التعليمية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم الوثائق والمكتبات بكلية الآداب في جامعة القاهرة، تقدمت بها نشوى سيد يوسف الشريف.

«الصياغة الجمالية للزينة الشعبية وإثراء دراسة الحلي الحديثة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية الفنية بجامعة حلوان المصرية، تقدم بها أشرف محمد عبدالقادر.

«الحروب العربية وأثرها في الرواية المصرية في الفترة من 1965إلى1975 م»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدمت بها غادة محمد عفيفي.

«القانون 93 ودور نقابة الصحفيين بقيادة إبراهيم نافع في إسقاطه»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم الصحافة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، تقدمت بها ماهيتاب عزالدين.

«دور التلفاز والصحافة في توجيه اهتمامات الجمهور»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها خالد صلاح حسين.

«السلام والأمن الدوليان في نظام الأمم المتحدة»، موضوع رسالة ماجستير



زنجلة، وغير ذلك من المؤلفات والتحقيقات النفيسة، والمقالات المنشورة في الصحف والمجلات.

كتب جديدة

الاتباع والمزاوجة، تأليف أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق محمد أديب عبدالواحد جمران.

فنسنت فان جوخ، تأليف إيرفنج ستون، ترجمه إلى العربية ناهض منير الريس، وصدر ضمن سلسلة «دراسات فكرية».

صدر الكتابان السابقان عن وزارة الثقافة.

عين النمس، رواية لحسين عيد، صدرت عن مركز الإنماء الحضاري في حلب.

مشاهد صامتة، ديوان لهاشم شفيق، صدر عن دار المدى في دمشق.

ثرثرة على وقع نهاية البحر، مجموعة قصصية للدكتور زهير غزاوي، صدرت عن دار الأهالي.

العراق

اكتشاف قرية عمرها 110 قرون

اكتشف آثاريون عراقيون بالقرب من بلدة فايدة المجاورة للموصل قرية ذات مساكن مشيدة بالطوب اللبن (الطين المخلوط بالقش) يعود تاريخها إلى ما بين ثمانية إلى تسعة آلاف سنة قبل الميلاد.

وتعد القرية المكتشفة واحدة من أقدم القرى الزراعية في العالم.

الأردن

مدينة متكاملة تحت قلعة عمان

أكدت عمليات البحث والتنقيب في موقع «قلعة عمان» وجود مدينة متكاملة تحت القلعة تتضمن مقرًا للحاكم وثكنة عسكرية.

كما عُثر على تماثيل وأوان فخارية ومبان أخرى تعود إلى حضارات مختلفة تعاقبت على القلعة منذ عام 3200 قبل الميلاد، حيث ينتظر أن تؤدي هذه الكشوفات إلى إلقاء مزيد من الضوء على الإنسان الذي عاش في المنطقة منذ أكثر من خمسة آلاف عام.

الترشيح لجوائز شومان

فُتح - مؤخرًا - باب الترشيح لنيل جوائز عبدالحميد شومان للباحثين العرب الشباب من مواليد عام 1956م وما بعده، الذين يعملون حاليًا في الوطن العربي.

وقد تم تخصيص جوائز في 12 مجالاً علميًا للتنافس عليها، قيمة كل منها خمسة آلاف دينار أردني، وهي: العلوم الطبية، والعلوم الإدارية والقانونية، والعلوم الهندسية الزراعية، والعلوم الحياتية والاجتماعية، والعلوم الإنسانية، والرياضيات (بما في ذلك الحاسب الآلي والإحصاء)، والعلوم الفيزيائية، والعلوم الجيولوجية، والعلوم الكيميائية، والعلوم النفسية والتربوية، والعلوم الاقتصادية والمالية والمصرفية.

متحف وطني شامل

تقرر إنشاء متحف وطني أردني شامل على أرض مساحتها 12 ألف متر مربع بجانب المدرج الروماني الأثري بوسط المدينة القديمة في عمان.

يقام المتحف بالتعاون بين وزارة السياحة وأمانة مدينة عمان وبمشاركة خبراء أمريكيين، وترأس لجنة المتحف الشريفة هند بنت ناصر، ويأتي قرار إنشائه حماية لآثار الأردن وكنوزه من الضياع والسرقة والتهريب على أيدي عصابات متخصصة.

ومن المقرر أن يحتوي المتحف على قاعات تروي تاريخ الأردن وحضارته على مر العصور، وسيتضمن إلى جانب المعرض الدائم معارض متغيرة ومكتبة وقاعة للندوات، وتتكلف عملية إنشائه عشرين مليون دولار.

كتب جديدة

الفخ، مجموعة قصصية لأحمد عودة، صدرت عن وزارة الثقافة.

جوزيف برودسكي: المنفى المستحيل، إعداد وترجمة غازي مسعود، قدم له

نوقشت في جامعة ويستمنستر البريطانية، تقدم بها أحمد نافع.

«الأرض في رواية المغرب العربي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة دمشق، تقدمت بها ربيعة جلطي.

«القرارات العربية بالمشاركة في مؤتمر مدريد»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدم بها معتز محمد صلاح الدين.

«التدريب في القطاع الحكومي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدم بها مسعد رضوان.

«مسرح اليسار الأمريكي في فترة العشرينيات والثلاثينيات»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدمت بها أماني أبو الفضل أحمد فرج.

«الحركة النقدية حول مسرح شوقي الشعري»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بمدينة بني سويف المصرية، تقدم بها محمد مصطفى سليم.

«البث المباشر في العالم العربي.. دراسة وصفية لتأثير البث المباشر في المملكة العربية السعودية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة كنتاكي الأمريكية، تقدم بها سفران المقاطي.

«توسيع صمامات القلب دون تدخل جراحي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الطب بجامعة عين شمس، تقدم بها د. هشام بشرى.

«التجربة الديموقراطية في مصر 1981- 1993م»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في أكاديمية ناصر العسكرية العليا بالقاهرة، تقدم بها الطيار مدحت عرفة.

تركيا

المسابقة الدولية الرابعة لفن الخط العربي


الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز

تنظم اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي - التي يترأسها صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز آل سعود، وتتبع منظمة المؤتمر الإسلامي وتتخذ من استانبول مقرًا لها - المسابقة الدولية الرابعة لفن الخط العربي التي تحمل اسم الخطاط الراحل حمدالله الأماسي (833- 926هـ)، وذلك في 14 نوعًا من أنواع الخطوط المعروفة في العالم الإسلامي وهي: الثلث الجلي، الثلث العادي، النسخ، التعليق الجلي، التعليق العادي، الديواني الجلي، الديواني العادي، الكوفي، المحقق، الريحاني، الإجازة، الرقعة، المغربي، التعليق الدقيق.

ترمي المسابقة إلى الحفاظ على قيم الخط وأساليبه وإحيائه، ويبلغ مجموع جوائزها ما يزيد على 43ألف دولار.

ويمكن لأي خطاط التقدم بطلب الاشتراك في المسابقة على ألا يشترك في أكثر من ثلاثة أنواع من الخطوط المذكورة، ويجب أن تصل استمارة الاشتراك إلى سكرتارية المسابقة في موعد أقصاه شهر يوليو 1997م، وتُرسل الأعمال بالبريد المسجل من دون ثني أو طي، ومن دون لصقها على ورق مقو أو خشب، أو تُسلَّم باليد لسكرتارية المسابقة على أن تصل في موعد أقصاه شهر ديسمبر 1997م، كي يمكن أن تجتمع لجنة التحكيم في فبراير 1998م، لتعلن النتائج في مارس 1998م. وعنوان المراسلة هو:

INTERNATIONAL CALLIGRAPHY COMPETITION
RESEARCH CENTRE FOR ISLAMIC HISTORY ART AND CULTURE (IRCICA),
P.O. BOX 24, BESIKTAS 80692 ISTANBUL, TURKEY - PHONE (90 - 212) 259 17 42 - 49,
TELEX: 26484 ISAM TR TELEFAX 2584365
(YILDIZ SARAYI, BARBAROS, 80700 BESIKTAS, ISTANBUL)

عبدالوهاب البياتي.

نهر يستحم في البحيرة، رواية ليحيى يخلف.

صدر الكتابان السابقان عن دار الشروق في عمان.

فلسطين

أول متحف وطني

تقرر بناء متحف وطني هو الأول من نوعه في الأراضي الفلسطينية في منطقة الشاطئ بقطاع غزة.

وأعلن الوكيل المساعد لوزارة السياحة والآثار الفلسطينية عبدالله حجازي أن تكلفة المتحف تصل إلى 3 ملايين دولار، ويسهم المجلس الاقتصادي الفلسطيني (بكوار) بمبلغ مئتي ألف دولار في تمويل المرحلة الأولى لبناء المتحف التي تشمل إقامة جناح واحد.

صحيفة أسبوعية جديدة

صدر في مدينة غزة في مطلع شهر شوال الماضي العدد الأول من صحيفة «الرسالة» الأسبوعية الناطقة باسم حزب الخلاص الوطني الإسلامي المنبثق عن حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

يرأس تحرير الصحيفة صلاح البردويل، ويدير التحرير غازي حمد، وقد طُبع من العدد الأول ستة آلاف نسخة.

لبنان

كتب جديدة

الطريق إلى المستقبل، تأليف فهمي جدعان، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

العقوبات الإلهية، تأليف أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق د. محمد خير رمضان يوسف، صدر عن دار نشر ابن حزم.

الاعتراف بالآخر، الغفران والمصالحة: دروس من لبنان، لمجموعة مؤلفين بإشراف جورج إميل عيراني، ولوري كينج عيراني، صدر عن الجامعة الأمريكية في بيروت.

وردة المتاهة، مجموعة للشاعرة مها سلطان، صدرت عن دار الجديد.

تونس

ندوة عالمية عن ابن رشد

في إطار الاحتفال باختيار تونس عاصمة ثقافية إقليمية للعالم العربي لعام 1997م، يجرى حاليًا الإعداد لتنظيم ندوة دولية احتفاء بالمئة الثامنة لوفاة الفيلسوف المسلم ابن رشد، والإعلان عن عام 98م ليكون سنة ابن رشد.

كما اتخذت السلطات التونسية استعداداتها لإقامة نحو ستين عرضًا وتظاهرة ثقافية تقام في مدن مختلفة، وإن حظيت العاصمة بالنصيب الأكبر منها، تحيل تونس فضاء ثقافيًا ثرًا، وقطبًا إقليميًا، ومنطقة تبادل حرة بين الثقافات.

من الكتب الجديدة

مختارات من الرواية المغاربية المعاصرة،




الملك الحسن الثاني

دراسة بوشوشة بن جمعة، صدرت عن منشورات بيت الحكمة في قرطاج.

المغرب

توزيع جوائز الحسن الثاني لحفظ القرآن الكريم

أعلنت في الرباط في أواخر شهر رمضان المبارك الماضي نتائج مسابقة جائزة الحسن الثاني في حفظ القرآن الكريم وتجويده، حيث فاز ثمانية من القراء المغاربة بالجوائز الثلاث الأولى من ضمن 42 قارئًا شاركوا في المسابقة من بلدان مختلفة. ورعى الحفل الختامي الدكتور عبدالكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربي وعدد من سفراء البلدان العربية والإسلامية المعتمدين لدى المغرب.

وقد أحرز القارئ عبدالله القصرية الجائزة الأولى في فرع الحفظ والترتيل، بينما نال القارئ عبدالحميد الحميدي الجائزة الأولى في فرع التجويد على الطريقة المغربية، والقارئ محمد حسن الجائزة الأولى في فرع التجويد على الطريقة المشرقية. كما فاز القارئان محمد حجاز وعبدالمجيد التيجاني بالجائزتين الثانية والثالثة في فرع الحفظ مع الترتيل، في حين أحرز القارئان حسن جعيط ومحمد العويفي الجائزتين الثانية والثالثة في فرع التجويد على الطريقة المغربية. أما القارئان حسن شرارة ورشيد جميل، فقد فازا بالجائزتين الثانية والثالثة في فرع التجويد على الطريقة المشرقية.

كتب جديدة

دور الرأي في تحقيق الوحدة الفكرية بين المسلمين، تأليف د. عبدالمجيد النجار، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) في الرباط.

المكان الوثني، مجموعة شعرية لمحمد بنعيسى.

بعد برشلونة: المغرب العربي ضروري، تأليف فتح الله ولعلو، صدر بالفرنسية.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر توبقال في الدار البيضاء.

تدقيق الحسابات ومراقبة التيسير، تأليف عبدالحميد الكادي، صدر عن منشورات مطابع ميثاق المغرب بالرباط.

نضال امرأة، تأليف آسيا الهاشمي البلغيثي، صدر عن دار نشر لينو النخلة.

إثيوبيا

اكتشاف أقدم أدوات حجرية استخدمها الإنسان

اكتشف فريق آثاري أمريكي في منطقة جونا 3 آلاف معول وأداة حجرية استخدمها الإنسان القديم في حوض أحد الأنهار بأثيوبيا، قبل مليون وستمئة ألف عام.

وتعد الأدوات المكتشفة أقدم أدوات حجرية استخدمها الإنسان، حيث يزيد عمرها بمقدار مائتي ألف عام عما كان يعتقد من قبل، إلا أن الفريق لم يعثر على أية أدلة تفيد بوجود بقايا للإنسان في المنطقة التي عُثر فيها على الأدوات.

الدانمارك

وثيقة كوبنهاجن تثير غضب المثقفين العرب

شارك مثقفون من مصر وفلسطين والأردن وإسرائيل في توقيع ما سمي وثيقة كوبنهاجن «الحلفاء من أجل السلام».

وتدعو هذه الوثيقة إلى التطبيع بين إسرائيل والبلدان العربية، الأمر الذي حدا بالعديد من المثقفين العرب إلى استنكار الوثيقة والإعلان عن أن هذا التحالف لا يعبر عن غالبية المثقفين أو الشعوب العربية، وإنما يضم أفرادًا يرتبطون بعلاقات وثيقة مع إسرائيل.

الغريب أن من بين الموقعين على وثيقة كوبنهاجن الكاتب لطفي الخولي، الذي كان من أشد المعارضين لاتفاقيات كامب ديفيد التي وقعها الرئيس المصري الراحل أنور السادات.

بلجيكا



ديوانية رمضانية عربية

شهدت بروكسل تأسيس أول ديوانية رمضانية عربية في أحد مقاهيها الراقية في ساحة لويز بلان المعروفة بوسط العاصمة، ضمت المثقفين ورجال الأعمال وأعضاء السلك الدبلوماسي العربي.

الديوانية تحولت إلى ما يشبه سوق عكاظ حيث ضمت عربًا من مختلف المشارب، التقوا في مجلس تمتزج فيه جميع ألوان الثقافة والأدب العربي، مشكلة بوتقة تجمع بينها ثقافة واحدة.

ينتظر أن تتحول الديوانية إلى تقليد سنوي في شهر رمضان من كل عام عقب صلاة التراويح لبحث الموضوعات الدينية والثقافية والفكرية التي تهم المغتربين العرب، ويسعى رئيس الديوانية وصاحب فكرتها عماد الحريري إلى تحويلها لمنتدى دائم على مدار العام.

فرنسا

حضارة اليمن تُعرض في باريس

ينظم معهد العالم العربي في باريس معرضًا عن الحضارات القديمة في اليمن خلال شهر جمادى الآخرة المقبل 1418هـ

(أكتوبر 1997م) لمدة ستة أشهر.

ينتظر أن يضم المعرض نحو ثلاثمئة قطعة أثرية قديمة منها 200 قطعة من مقتنيات المتاحف اليمنية، والمئة الباقية مستعارة من متاحف أوربا وأمريكا.

ويقوم فريق من هيئة الآثار اليمنية حاليًا بتوثيق القطع المزمع إرسالها، كما يجرى إعداد كتاب باللغات: العربية والإنجليزية والفرنسية يرسم صورة للتاريخ اليمني القديم وحضارة اليمن وملامحها.

وقد تقدمت متاحف أوربية بعدة طلبات لاستقبال المعرض بعد عرضه في باريس، من بينها متحفا ميونيخ في ألمانيا وفيينا في النمسا.

معرض فرساي للكتاب

يُفتتح معرض فرساي الدولي السابع عشر للكتاب في الرابع من الشهر الجاري (12مارس 1997م) لمدة ستة أيام.

ويتم خلال هذه الدورة تكريم الأدب الياباني بمشاركة نحو أربعين مؤلفًا وكاتبًا يابانيًا، وتسبق المعرض مجموعة من اللقاءات الفكرية تعقد في جامعة السوربون.

فرع في باريس لجامعة الأزهر

تقرر افتتاح فرع لجامعة الأزهر في باريس في إطار مساع لافتتاح فروع للجامعة في دول أوروبية مختلفة تضم جاليات إسلامية.

وتجري إدارة جامعة الأزهر - حاليًا - ترتيبات بالتنسيق مع وزارة الخارجية المصرية لافتتاح الفرع الذي لم يتحدد موعده بعد.

معرض لمعمار أوربا وزخارفها

يستضيف متحف باريس للفنون حاليًا معرضًا يجسد أهم خصائص فنون المعمار والزخرفة في أوربا عامة وفرنسا خاصة خلال مرحلة الثلاثينيات الميلادية.

يقام المعرض تحت عنوان «فن المعمار والتصميمات» ويستمر حتى التاسع من شهر ذي الحجة المقبل (15 أبريل 1997م).

متحف للسردين

افتتح في سيت بجنوب فرنسا أغرب متحف في نوعه أطلق عليه اسم «المتحف الخيالي لسمك السردين»!

قام بإنشاء المتحف العالم الفرنسي المتخصص بسمك السردين فيليب أنجينو، الذي يطلق عليه لقب «أول عالم للسردين».

من أحدث الكتب

فرنسا والشرق الأدنى، وثائق وصور اختارها وأعدها للنشر بيار فورنيي، وجان لوي ريتشيولي، وصدرت عن دار نشر كسترمان.

الصور والمغامرات (عن فن الرسوم المتحركة)؛ تأليف فرانسو أشوبتان، صدر عن دار نشر موناسيون.

قصص من المغرب العربي، تأليف مجموعة من القاصين، اختارها أحمد المديني، وصدرت باللغة العربية ضمن منشورات «كتاب الجيب».

الليل والنهار، ديوان لأنيسة بومدين (أرملة الرئيس الجزائري الراحل)، صدر بالفرنسية عن دار نشر سان جرمان دي بريه

زبد البحور، مجموعة شعرية لمحمد الرفرافي، صدرت عن دار نشر لامارتان.

برمانيا: الثورة المخطوفة، تأليف ريتشارد سولا، صدر عن دار نشر رثمان.

الفظاعة الاقتصادية، تأليف فيفان فورستر، صدر عن دار نشر فايار.

من على بعد، ديوان شعر لهنري ميتشو، صدر عن دار نشر موكوري دي فرانس.

بريطانيا

زمالة باسم أمير ويلز للدراسات الإسلامية

تأسس في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية كرسي زمالة باسم «زمالة أمير ويلز لدراسة العالم الإسلامي».

وقد اختير مدير المركز د. فرحان أحمد النظامي لنيل أول درجة زمالة يمنحها المركز.

وقال متحدث باسم المركز: إن تأسيس زمالة باسم أمير ويلز «يوفر تأييدًا علميًا ومعنويًا للحوار الدولي بين شعوب الثقافات المختلفة، الذي يحتل المكانة الرئيسية في نشاطات المركز».

استفتاء أدبي

نظمت إحدى قنوات التلفاز البريطاني استفتاء أدبيًا بين مشاهديها حول أحب الكُتّاب إليهم، أسفر عن اختيار الكاتب البريطاني الراحل رونالد رول في المركز الأول بالنسبة للكتاب البريطانيين، والفيلسوف الفرنسي الراحل جان جاك روسو في المركز الأول بالنسبة لمواطنيه.

الغريب أن نتيجة الاستفتاء خلت من أي ذكر لكُتّاب كبار مثل همنجواي وبيكيت، فيما احتل إليوت المركز المئة في الترتيب.

مهرجان ثقافي مصري

ينظم المكتب الثقافي المصري في لندن حاليًا ولمدة شهر مهرجانًا ثقافيًا مصريًا بعنوان «مرحبًا» يتضمن محاضرات ثقافية عن مصر في القرن الحادي والعشرين وعروضًا فنية.

يتضمن المهرجان أيضا ندوة تستمر ثلاثة أيام تقام بالتعاون مع كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن بعنوان «مصر في القرن الحادي والعشرين» تناقش موضوعات الثقافة والديموقراطية والتنمية في مصر، فضلاً عن معرض لفنانة بريطانية استوحت أعمالها التشكيلية من البيئة المصرية.

معرض للوحات براك الأخيرة

تستضيف الأكاديمية الملكية للفنون في لندن حاليًا أول معرض يقام في بريطانيا للفنان العالمي جورج براك (1882- 1963م).

يستمر المعرض حتى نهاية شهر ذي القعدة الجاري ويضم 45 لوحة أنجزها الفنان الراحل في سنواته العشرين الأخيرة.

ويعد براك أحد الذين أسهموا مع الفنان بابلو بيكاسو في تغيير اتجاهات الفن التشكيلي المعاصر، إلا أنه مع ذلك لم يحظ بالذيوع الذي حظي به رفيقه.

هيني يفوز بجائزة وايت بريد

مُنح الشاعر البريطاني شيموس هيني جائزة «وايت بريد» لأفضل كتاب هذا العام عن كتابه الجديد «على المستوى الروحي».

وتعد هذه الجائزة ثاني أكبر جائزة أدبية ينالها هيني خلال شهور قليلة، حيث فاز - مؤخراً - بجائزة نوبل للآداب.

أحدث الكتب

القاضي وقارئ البخت، رواية لنبيل صالح، صدرت باللغة الإنجليزية عن دار نشر كوارتيت بوكس في لندن.



عبدالوهاب البياتي.. ما يبقى بعد الطوفان، تأليف عدنان الصائغ ومحمد النصار، صدر عن نادي الكتاب العربي.

الأسواق الناشئة، تأليف مارك موبيوس، صدر عن دار نشر باتمان.

ألمانيا

المتاحف على شبكة الإنترنت

انتهت السلطات الألمانية من تنفيذ مشروع ربط جميع المتاحف الفنية بشبكة الإنترنت عبر نظام «جيزي».

ويمكن للمواطن الألماني المحب للفنون عبر هذا النظام الاطلاع على محتويات متحف اللوفر في باريس أو المتحف التاريخي الألماني أو غيرهما من المتاحف وهو في منزله، فضلاً عن التمتع بمشاهدة لوحات كبار الفنانين والاطلاع على نبذة من تاريخهم والحصول على قوائم بأسعار لوحاتهم.

جائزة لباحثة فلسطينية

مُنحت الباحثة الفلسطينية د. سمية فرحات ناصر جائزة الرابطة الألمانية للناشرين الإنجليين عن كتابها «صعتر وحجارة» الصادر حديثًا للمرة الأولى باللغة الألمانية.

ويعالج الكتاب الوضع السياسي والاجتماعي الذي يحياه الفلسطينيون تحت ظل الاحتلال الإسرائيلي.

وفاة مؤلف سنوات المتاهة

فقدت ألمانيا واحدًا من أبرز مبدعيها بوفاة الأديب الكاتب هانز أيجون هولتهوسن عن عمر ناهز 84 عامًا.

وُلد هولتهوسن في 15أبريل 1913م في مدينة رندسبورج، ونما وترعرع في هيلدسهايم، ثم درس الأدب الألماني في جامعات ميونيخ وبرلين وتوبينجن، ونال درجة الدكتوراه عن رسالة أعدها حول أديب ألمانيا الكبير ريلكه. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية غادر بلاده إلى الولايات المتحدة وعمل أستاذًا في جامعتها، وظل بها حتى كُلِّف في مطلع الستينيات الإشراف على مركز جوته الألماني في نيويورك، وحين عاد إلى بلاده انتخب عام 1968م رئيسًا لجمعية الفنون الجميلة في بافاريا، وعضوًا في جمعية الفنون البولونية.

وله العديد من المؤلفات، منها: «موضوعات شعرية»، «الإنسان المشرد»، «سنوات المتاهة»، «نعم ولا»، «الجمال والحقيقة»، «مرافعة من أجل الأفراد» وكتب أخرى. وكان قد فرغ وقته في السنوات الأخيرة من حياته للكتابة في الصحف والمجلات الفكرية والثقافية.

إسبانيا

غرناطة تقيم معرضًا لقطع نقدية إسلامية

يقام في غرناطة في المدة من 4- 22 ذي القعدة الجاري (13-31 مارس/آذار) معرض يضم ألف قطعة نقدية ذهبية ونحاسية من العصر الإسلامي الأندلسي وذلك في قصر كارلوس الخامس. ويشمل المعرض قطعا نقدية من النقود العربية في الأندلس منذ عهد الفتح الإسلامي حتى عصر المملكة النصرية. ومن المعروضات البارزة قطعة نحاسية تعود إلى عصر ملوك الطوائف وأخرى ذهبية عُثر عليها في قصر الحمراء.

يقوم بتمويل المعرض بيت الثقافة العالمية في برلين الذي سيمول أيضا معرضا آخر حول أثواب وسجاد الحمراء سيحتضنه قصر الحمراء بين أول أكتوبر/ تشرين الأول المقبل و28فبراير/ شباط 1998م.

وفاة مانويل دي لارا

نعت الأوساط الثقافية الإسبانية المؤرخ الإسباني الكبير مانويل دي لارا، الذي توفي عن عمر ناهز 81 عامًا.

ويعد دي لارا أحد أبرز علامات التاريخ المعاصر، وكان أحد الذين عارضوا دكتاتورية فرانكو، وتعرض بسبب ذلك للاضطهاد، حتى اضطر عام 1946م للهجرة إلى فرنسا، حيث عمل أستاذًا بجامعاتها للأدب الإسباني، ثم عاد إلى بلاده مرة أخرى عام 1972م، وترك برحيله تراثًا يضم 29 مؤلفًا تعالج أحداث بلاده السياسية والاجتماعية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

من أحدث الكتب

ثقافات المغرب العربي، إعداد كُتَّاب مغاربة وأوروبيين بإشراف ماريا أنخليس روكي، صدر عن المعهد الكتالاني للبحر المتوسط في برشلونة.

الولايات المتحدة

رحيل جيمس ديكي

ودعت الأوساط الثقافية الأوربية الشاعر والروائي جيمس ديكي الذي توفي - مؤخرًا - عن عمر ناهز 73 عامًا.

ويعد ديكي من أبرز روائيي أمريكا وشعرائها، وقد نال عام 1966م جائزة الكتاب القومي في الشعر عن ديوانه الأول «مختارات من الشعر»، كما فازت روايته الأولى «قرار الاستسلام» التي صدرت عام 1970م بجائزة ميديتشي الأدبية الفرنسية للكتب الأجنبية عام 1971م.

روسيا

اللغة العربية في جامعة الدولة في موسكو

قررت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) إنشاء قسم للغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة الدولة في موسكو يكون من اختصاصه إعداد مدرسي اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وذلك في إطار التعاون بين الإيسيسكو ومعهد الحضارة الإسلامية في موسكو وجامعة الدولة في العاصمة الروسية.

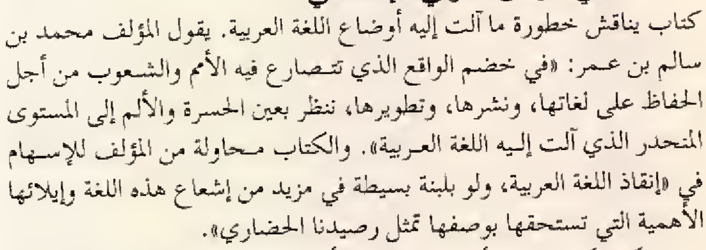
كما قررت المنظمة بالتعاون مع معهد الحضارة الإسلامية تنظيم يوم إعلامي للتعريف بها بمناسبة افتتاح قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية.




الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يومياً عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزائر اس جي
www.ahlaltareekh.com







اللسان العربي وتحديات التخلف الحضاري في الوطن العربي الإسلامي

كتاب يناقش خطورة ما آلت إليه أوضاع اللغة العربية. يقول المؤلف محمد بن سالم بن عمر: «في خضم الواقع الذي تتصارع فيه الأمم والشعوب من أجل الحفاظ على لغاتها، ونشرها، وتطويرها، ننظر بعين الحسرة والألم إلى المستوى المنحدر الذي آلت إليه اللغة العربية». والكتاب محاولة من المؤلف للإسهام في «إنقاذ اللغة العربية، ولو بلبنة بسيطة في مزيد من إشعاع هذه اللغة وإيلائها الأهمية التي تستحقها بوصفها تمثل رصيدنا الحضاري».

ارتكز الكتاب على أربعة محاور: الأول: الظروف التاريخية لتقدم اللغة العربية والخط العربي وتطورهما وانتشارهما، والثاني: خصائص اللغة العربية والخط العربي، ومدى تميزهما من بقية لغات العالم، والثالث: المخاطر المحدقة باللغة العربية، سواء كان ذلك من قبل المسلمين أنفسهم أو من قبل أعداء اللغة العربية المتربصين بها. والرابع: كيفية النهوض باللغة العربية.

طرح المؤلف اقتراحات عديدة للنهوض باللغة العربية، وأكد أن الشرط الأول لذلك هو أن تُستخدم لغتنا من قبل المبدعين العرب والمسلمين في شتى صنوف المعرفة بحسب تخصصاتهم المختلفة. واختتم الكتاب بإيراد بعض النماذج من فن الخط العربي.

يقع الكتاب في 30 صفحة من القطع الصغير، وقد صدر عن المطبعة العصرية في تونس.

الإسلام والغرب والديمقراطية

كتاب يناقش الخلاف التاريخي والقيمي بين الشرق والغرب، والعلاقة بين الإسلام والغرب.

فقد قام كل من جودت سعيد وعبدالواحد علواني بطرح ما قد يكون «صورة أقرب إلى الواقع لهذه العلاقة»، عبر آراء من العالمين.

قدم علواني قراءة في مقالة هيتينجتون «صدام الحضارات»، ومقالة بريان بيدهام «الإسلام والغرب». ثم تناول جودت سعيد مقالة بيدهام عارضًا أفكاره، متكئًا على طروحات بيدهام، وعاد علواني ليقدم مقالتين تحللان مقالتي هنتينجتون وبيدهام، وطبيعة علاقة الغرب مع الإسلام. وقد اشتمل الكتاب إضافة إلى مقدمة بعنوان: «الجغرافية المستقبلية للصراع البشري»، على خمسة فصول: الأول: صدام الحضارات: رؤية مبكرة للقرن الحادي والعشرين، والثاني: الإسلام والغرب: قراءة في وجهة نظر غربية، والثالث: الأمة الإسلامية بين الرشد والغي، والرابع: نهاية التاريخ أم نهاية الفاوستية، والخامس: المارد الإسلامي وهواجس الغرب.

يقع الكتاب في 224 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن دار الفكر المعاصر في بيروت، ودار الفكر في دمشق.

المتأخر وقصص أخرى

قصص تربوية لليافعين كتبها أحمد محمد علي صوأن بأسلوب أدبي تصويري، مركزًا على عدد من العناصر التي تمثل مقومات التنشئة، وغرس الفضائل في نفوس الفتيان والفتيات.

تضم المجموعة خمس قصص قصيرة، تناول المؤلف من خلالها قضايا ومشكلات تربوية تهم الآباء والأمهات والمجتمع بأسره، لدى التعامل مع اليافعين. جاءت عنوانات القصص كالتالي: «المتأخر»، وهو ما اختاره عنوانا للمجموعة، وقد ناقشت أهمية المشاركة. «زيارة سعيدة» ناقشت زيارة المريض، وتقديم النصح بطريقة محببة. «مكبر الصوت»، محور القصة حث التلميذ على الدراسة والاهتمام بالواجبات المدرسية. «الرجل الصغير»، ناقشت تعويد الناشئة الصراحة، وتعليمهم طرائق الحوار المفيد. «الأخير» مضمون القصة: اختيار الأصدقاء، وتحديد الهدف.

تقع المجموعة في 63 صفحة من القطع الصغير، وقد صدرت عن مطبعة عكرمة في دمشق.

موسوعة المرأة المسلمة

كتاب يقدم معلومات مفيدة للمرأة المسلمة، ويدلها على كيفية التعامل مع بعض الأمور التي قد تكون خافية عليها لبناء حياة أسرية قويمة. قامت هيا بنت مبارك البريك بإعداد الكتاب بالرجوع إلى مجموعة من المصادر التي تتناول المجتمع المسلم وأسس بنائه. وجمعت فيه مجموعة من النصائح والإرشادات ومفاتيح الثقافة العامة، والحياة الهانئة السعيدة.

يشتمل الكتاب على خمسة أقسام، القسم الأول بعنوان: «لك سيدتي» يناقش خصوصيات المرأة المسلمة وما يُفترض أن تلم به كل امرأة لفهم هذه الخصوصيات والتعامل معها بطريقة صحيحة. القسم الثاني بعنوان: «لك ولزوجك»، وهو خاص بالحياة الزوجية. القسم الثالث: «لك ولطفلك»، وهو خاص باستقبال الطفل وتربيته وفق الموجهات الإسلامية. القسم الرابع بعنوان: «لك ولعائلتك» يزود المرأة المسلمة بمعلومات ونصائح تساعدها في الحفاظ على أسرتها متماسكة في مواجهة الظواهر الاجتماعية المنذرة بالخطر والعادات السيئة الدخيلة. أما القسم الخامس بعنوان: «لك ولمنزلك» فهو يناقش مقومات البيت المثالي.

يقع الكتاب 255 صفحة من القطع المتوسط وقد صدر عن دار المداد للنشر والتوزيع في الرياض.



مسابقة مجلة

الفيصل

١ـ جوائز المسابقة :

جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريال، ١٥٠ ريال)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة ، مجلة الفيصل،

ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)

المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد 242

ج 1 : اللقطة هي كل مال معصوم معرض للضياع لا يُعرف مالكه. وكثيراً ما تُطلق على ما ليس بحيوان، أما الحيوان فيقال له: ضالة.

وأخذ اللقطة مستحب، وقيل: واجب، وقيل: إن كانت في موضع يأمن عليها الملتقط إذا تركها استحب له الأخذ، وإن كانت في موضع لا يأمن عليها فيه إذا تركها وجب عليه التقاطها، وإذا علم من نفسه الطمع فيها حرم عليه أخذها.

ومما يجب على المرء أن يفعله حيال اللقطة، ماجاء في الحديث الشريف الذي رواه البخاري وغيره ـ بألفاظ مختلفة ـ أن رجلاً جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأله عن اللقطة، فقال: «أعرف عفاصها ووكاءها، ثم أعرفها سنة، فإن جاء صاحبها، وإلا شأنك بها». قال: فضالّة الغنم؟ قال: «هي لك أو لأخيك أو للذئب»، قال: فضالّة الإبل؟ قال: «مالك ولها؟ معها سقاؤها وحذاؤها وترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها».

والعفاص: الوعاء الذي يكون فيه الشيء من جلد أو نسيج أو خشب وغيره. والوكاء: الخيط الذي يُشد به على رأس الكيس والصرة. والمقصود من معرفة العفاص والوكاء تمييزهما من غيرهما حتى لا تختلط اللقطة بمال الملتقط، وحتى يستطيع إذا جاءه صاحبها يستوصفه العلامات التي تميزها من غيرها ليتبين صدقه من كذبه. كما يجب على الملتقط أن يتبين علاماتها كذلك من نوع وجنس ومقدار، وأن يحفظها كما يحفظ ماله، وتبقى وديعة عنده، لا يضمنها إذا هلكت إلا بالتعدي. ثم ينشر نبأها في المجتمع بكل وسيلة، وفي كل مكان يظن أن صاحبها موجود فيه.

فإن جاء وعرّف علاماتها وأماراتها دفعها إليه وإن لم يقم البينة، وإن لم يجئ عرّفها الملتقط مدة سنة، فإن لم يظهر لها صاحب بعد سنة حلّ له أن يتصدق بها أو ينتفع سواء كان غنياً أو فقيراً، ولا ضمان عليه. ويستثنى المأكول والحقير من الأشياء، مثل ثمرة في طريق، أو عصا وحبل ونحوها.

ج 2 : سنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمسلمين «الوليمة»، وهي طعام العرس، وكل طعام يُصنع لدعوة الناس إليه. ومن الأحاديث الشريفة التي جاءت في الوليمة:

مارواه البخاري ومسلم عن أنس، قال: «ما أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه، ما أولم على زينب: أولم بشاة».

وروى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولم على بعض نسائه بمدّين من شعير». وهذا الاختلاف مرجعه ليس تفضيل بعض نسائه على بعض؛ وإنما سببه اختلاف حالتي العسر واليسر.

وكذلك ماراوه أحمد بسند لا بأس به ـ كما قال الحافظ ـ عن بريدة، قال: لما خطب علي فاطمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه لا بد للعرس من وليمة».

وقد ذهب الجمهور من العلماء إلى أنها سنة مؤكدة، ولا بد من إجابة الداعي إليها لما في ذلك من إظهار الاهتمام به، وإدخال السرور عليه، وتطييب نفسه.

ج 3 : هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (362- 440هـ= 973- 1048م). الفيلسوف الرياضي المؤرخ، من أهل خوارزم. أقام في الهند بضع

نتائج مسابقة العدد 242

أ ـ فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، راشدة خاتون، نيودلهي، الهند.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعودياً، نجلة إبراهيم حبيب الله، بعلبك، لبنان.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعودياً، أحمد رامي القطان، الرميثية، الكويت.

ب ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (24 عدداً)، كل من:

1ـ بوفرعة مصطفى، سطيف، الجزائر.

2ـ خالد مساعد المحمدي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

3ـ جاندا عثمان، دمشق، سورية.

4ـ أجاويد حسن أحمد محمد حسن، الخرطوم، السودان.

5ـ عبدالمنعم الشبري، القنيطرة، المغرب.

ج ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عدداً)، كل من:

1ـ نجاة يوسف رضي محمد علي، توبلي، البحرين.

2ـ محمد عباس البطل، الجيزة، مصر.

الاسم: ....
العنوان: ....

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

سنين، ومات في بلده. اطلع على فلسفة اليونان والهند، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره. صنف كتبًا كثيرة، منها: «الآثار الباقية عن القرون الخالية»، «الاستيعاب في صنعة الأسطرلاب»، «الجماهر في معرفة الجواهر»، «تاريخ الأمم الشرقية»، «القانون المسعودي»، «التفهيم لصناعة التنجيم»، «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل [أو العلم] أو مرذولة»، «تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن»؛ وغيرها من الكتب العلمية والتاريخية.

ج 4: حفل تاريخ تغلب، القبيلة العربية العريقة، بعدد من الشعراء المجيدين في الجاهلية والإسلام، نذكر منهم على سبيل الاختصار:

- عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، أبو ليلى المهلهل (ت: نحو 100 ق هـ= نحو 525م): الشاعر الجاهلي، وأحد أبطال العرب، وخال امرئ القيس الشاعر. قيل: لُقِّب بالمهلهل لأنه أول من هلهل نسج الشعر؛ أي رققه، وكان من أصبح الناس وجهًا ومن أفصحهم لسانًا.

- عميرة بن جعْل بن عمرو بن مالك (ت: نحو 60ق هـ= نحو 562م): شاعر جاهلي لم يكن له من الشهرة مثل حظ معاصريه؛ فضاع أكثر شعره.

- عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب، أبو الأسود (ت: نحو 40ق هـ= نحو 584م): الشاعر الجاهلي الشهير من الطبقة الأولى وأحد أصحاب المعلقات.

أما في الإسلام فمنهم:

- غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، الملقب بالأخطل (19- 90هـ= 640- 708م): الشاعر النصراني، مادح بني أمية، وأحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم مع صاحبيه: جرير والفرزدق.

- عُمير بن شُييم بن عمرو بن عبّاد، أبو سعيد الملقب بالقطامي (ت: نحو 130هـ= نحو 747م): شاعر غزل فحل، كان من نصارى العراق ثم أسلم. جعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين.

- العتّابي، كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي (220هـ= 835م): شاعر مجيد يسلك طريق النابغة، وكاتب مترسل. وهو يتصل في نسبه بعمرو بن كلثوم. مدح الرشيد، ورمي بالزندقة، فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن، ثم أمّنه الرشيد فعاد. كان مختصًا بالبرامكة، لأن الفضل بن يحيى هو الذي أخذ له الأمان من الرشيد.

- الحارث بن سعيد بن حمدان، أبو فراس (320- 357هـ= 932- 968م): الأمير الشاعر الفارس، صاحب الوقائع مع الروم، وابن عم سيف الدولة الحمداني وربيبه، ومعاصر المتنبي. من أشهر الشعراء على مر العصور. قال عنه الصاحب ابن عبّاد: بدأ الشعر بملك وخُتم بملك - يعني امرأ القيس وأبا فراس.

ج 5: هو امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المُرار (نحو 130- 80ق هـ= نحو 497- 545م): أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. مولده بنجد أو بمخلاف السكاسك باليمن. اختلف المؤرخون في اسمه؛ فقيل: حُنْدُج، وقيل مليكة، وقيل عدي. كان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام. جعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته... ثم ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك؛ فقال قولته المشهورة: «ضيعني صغيرًا وحملني دمه كبيرًا، لا صحو اليوم ولا سكر غدًا! اليوم خمر وغدًا أمر». رحل إلى القبائل وإلى قيصر الروم لإدراك ثأره في أخبار طوال.

أسئلة مسابقة العدد 245

السؤال الأول:

شرع المولى - عز وجل - البيع توسعة منه على عباده، وهو ينعقد بالإيجاب والقبول، وهما صيغة العقد. ولصيغة العقد شروط. اذكرها باختصار.

السؤال الثاني:

شرع الإسلام الصلح بين المتخاصمين من أجل أن يحل الوفاق محل الشقاق؛ إلا صلحا أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالاً. والصلح في الأموال أقسام. فما هي؟

السؤال الثالث:

حرَّم الإسلام الظهار، وهو أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي. اذكر كفارة الظهار.

السؤال الرابع:

لبعض الشعراء ألقاب يُعرفون بها. اذكر اسماء أصحاب الألقاب التالية: بدوي الجبل - أبو عبادة - صريع الغواني - عرار.

السؤال الخامس:

من الأمراض الوبائية في الحيوانات ما يُعرف باسم: «خنّاق المواشي». عرّفه باختصار.

3- نوال علي النبابتة، عمّان، الأردن.

4- محمد محمد علي الغوثي، طبلبة، تونس.

5- زايد سويد براك العصيمي، الطائف، المملكة العربية السعودية.

6- محمود قمرالدين إدريس عبدالرحمن، الخرطوم، السودان.

7- محمد سليمان الأنباري، الدوحة، قطر.

8- نهاد هنداوي، حلب، سورية.

9- محمد عبدالعزيز جردانة، عمّان، الأردن.

10- طارق محمد فوزي عبدالرحمن حسن، الاسكندرية، مصر.

د - كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

1- مازن محمد عباس، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

2- ولهي بلّخضر، بوسعادة، الجزائر.

3- نُهى سليمان الجبرين، الرياض، المملكة العربية السعودية.

4- لزهر طاهر العيادي، مدنين، تونس.

5- بشرى طواهري بن الحسن بن محمد، مكناس، المغرب.

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد 245
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

الكُفرُ مَخْبَثَةٌ لنفسِ المُنعم

يُضرب لمن يُحسن إلى بعضهم فيُجازَى على إحسانه بكفران النعمة؛ مما يغير نفس المنعم، ويفسدها على المنعم عليه.

وقيل إن عنترة فارس بني عبس قد بلغه أن بعض من أحسن إليهم لا يشكر هذا الإحسان، وأنه جزاه على معروفه بالكفران، فقال:

نُبِّئتُ عمراً غير شاكر نعمتي
والكفرُ مخبثةٌ لنفس المُنعِمِ

مسافة.. ومسافة

سُئل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تُرى كم المسافة بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشمس.

فقيل له: وكم تكون المسافة بين السماء والأرض؟ قال: دعوة مستجابة.

تسامح

جاء رجل يومًا إلى علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، وقال: إن فلانًا قال فيك كلامًا لا ينبغي أن يقال في مثلك.

فقال علي بن الحسين: هيا بنا ننطلق إليه ونرى لماذا قال ذلك.

فلما أتياه لم يزد علي بن الحسين على أن قال: يا هذا، إن كان ما قلت فيّ حقًا فغفر الله لي، وإن كان ما قلت فيّ باطلاً فغفر الله لك.

جاهل

كان سفيان بن عيينة جالسًا يومًا، إذ جاءه ابن أخ له طالبًا يد ابنته. فرحب به سفيان وقال: كفء كريم، ثم أجلسه إلى جواره وقال له: يا بني اقرأ عشر آيات من كتاب الله. فارتج الأمر على الشاب ومكث واجمًا، فقال سفيان: إرو عشرة أحاديث. فلم يستطع. فقال سفيان: حسنا.. أنشد عشرة أبيات من الشعر، فلم يتمكن الشاب، وعندئذ قال سفيان: ما هذا يا بني: لا قرآن ولا حديث، ولا شعر. فعلى ماذا أضع ابنتي عندك؟! ثم استدرك قائلاً: خذ هذه أربعة آلاف درهم، وابحث لنفسك عمن تليق بك.

إسراف

كان الحسن بن سهل رجلاً كثير العطاء، مع أن حالته المادية لم تكن مواتية، فقيل له يومًا: ليس في الإسراف خير. فقال: لا .. ليس في الخير إسراف.

ترك الحسد

روى الأصمعي: رأيت أعرابيًا ذات يوم قد بلغ مئة وعشرين سنة، وهو نشيط كفتى في العشرين، فتعجبت لنشاطه وحيويته، وقلت له: ما أطول عمرك أيها الشيخ! فقال الرجل: تركت الحسد فبقيت.

أكثر ما يحزنه

سُئل المفكر الإسلامي التركي د. فؤاد سيزكين، الحائز جائزة الملك فيصل العالمية: ما هو الجانب المحزن في حياة المسلمين في عصرنا الراهن؟ فقال: أكثر ما يحزنني أن المسلمين في هذا العصر لا يقرؤون، وإذا قرؤوا فإن أكثرهم لا يفكرون!

يثير مناقشات

سُئل الفيلسوف هارتوبل جورجيا عن رأيه في الجهل فقال: ليس هناك غير شيء واحد يمكن أن يقال عنه وهو أنه يثير كثيرًا من المناقشات الممتعة مع الأذكياء.

هكذا كانوا

يُروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجَّهَ جيشًا إلى الروم وفيه عبدالله بن حذافة، فأسره الروم، وقال له ملكهم: تَنَصَّر فأتركك في ملكي، فأبى عبدالله، فأمر ملك الروم بصلبه ورميه بالسهام فلم يجزع، ثم أمر بِقِدرٍ يُصب فيها الماء المغلي عليه، فلم يهن ولم يضعف، وحين



وَمَنْ يَنْأَ عن دارِ العشيرةِ لم يَزَلْ عليه رُعُودٌ جَمَّةٌ وبُروقُ

استراحة العدد

علم الملك بذلك ذهب إليه ليراه، فوجده ساجداً باكيًا، فسأله: لِمَ تبكي؟ فقال عبدالله: تمنيت لو أن لي مئة نفس تلقى هكذا في سبيل الله. فتعجب الملك من هذا الإيمان الصادق وقال: قَبِّل رأسي وأنا أطلق سراحك.

فقال عبدالله: شرطي أن تُطلق معي جميع أسرى المسلمين. فوافق الملك، وقام عبدالله وقَبَّل رأسه، وعندئذ خلَّى ملك الروم عنه وعن جميع الأسرى.

من نوادر النحاة

يُروى أن نحويًا أصابه مرض، فزاره أحد أقاربه من الأعرابِ وسأله عما يشكو. فقال النحوي: إنها حُمَّى جاثية، نارها حامية، منها الأعضاء واهية، والعظام بالية.. فقاطعه الأعرابي قائلاً: لا شفاك الله بعافية، يا ليتها كانت القاضية يا أخا الثعالب في البادية.

خطباء المناسبات

سُئل الفيلسوف والأديب الإيرلندي الساخر جورج برنارد شو يومًا أن يصف خطباء المحافل في المناسبات فقال: إن خطيب المناسبات عادة هو الرجل الذي يأكل وجبة لا يريدها، لكي يتمكن من الوقوف لسرد قصص كثيرة لا يذكرها لأشخاص سمعوها من قبل ولا يقبلون تكرار سماعها!

في إجازة

منح الرئيس الأمريكي الأسبق دوايت أيزنهاور وسام الجمهورية للخدمة الممتازة للدكتور وينفريد أوفر هول، طبيب الأمراض العقلية الشهير ومدير مستشفى سانت إليزابيث بواشنطن، وفيما كان الرئيس يضع شريط الوسام حول عنق الطبيب، ابتسم أيزنهاور ونظر حوله دائرًا ببصره على موظفي البيت الأبيض، وقال مخاطبًا د. وينفريد: ألا تتساءل أحيانا يا دكتور عن حالتنا العقلية جميعا. فرد الطبيب وقد أدرك الدعابة: لا.. فإنني الآن في إجازة يا سيدي الرئيس!

كل شيء

سُئل الشيخ علي عقل أن يأتي بأبيات من ارتجاله يعارض بها البيت الشهير:

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ
وكل نعيم لا محالة زائلُ

فقال يرحمه الله:

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ
وكل فؤاد لم يوحده عاطلُ
أصون ودادي أن يدنسه الهوى
وأحفظ عهدي العمر ما أنا غافلُ
أرى الروض مزدانا قد اخضر عوده
ولكنه في آخر العهد ذابلُ
وكم ملك تهتز منه فرائص
ومن لحمه دود المقابر آكلُ

وصية

أوصى الإمام جعفر الصادق ابنه يومًا فقال: يا بني إن مَنْ قنع بما قسم الله له استغنى، ومَنْ مدَّ عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيرًا، ومَنْ لم يرض بما قسم الله اتهم الله - سبحانه وتعالى - في قضائه، ومَنْ استصغر زله نفسه استعظم زلة غيره، ومَنْ كشف حجاب غيره، انكشفت عورات بيته، ومَنْ سلَّ سيف البغي قُتل به، ومَنْ جالس العلماء وُقِّر، ومَنْ خالط السفهاء حُقِّر، ومَنْ أدخل نفسه مداخل السوء اتُّهم.

مسافة آمنة

سُئل الممثل الكوميدي الأمريكي بوب هوب عن رأيه في السفر بالطائرات فقال لسائله: إنه سفر جميل، لأنه يتيح لك - على الأقل - أن تتخطى كل سائقي السيارات وأنت على مسافة آمنة منهم!!

الخصال الخمس

قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يومًا: أي الخصال من الإنسان خير؟! قال: الدين. قال: فإذا كانت اثنتين؟ قال: الدين والمال. قال: فإذا كانت ثلاثًا؟ قال: الدين والمال والحياء. قال: فإذا كانت أربعًا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق. قال: فإذا كانت خمسًا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء. قال: فإذا كانت ستًا؟ قال لقمان: يا بني: مَنْ اجتمعت فيه تلك الخصال الخمس فهو تقي، والله ولي مَنْ كان منَ الشيطان بريئًا.

أقوال حكيمة

قيل: الأذلاء أربعة: النمَّام، والكذاب، والمدين، والفقير، واثنان لا يجتمعان أبدًا: المروءة والكذب، وزهدك في راغب فيك نقصان حظ، ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس.

مكانة العلماء

دخل عروة بن الزبير يومًا بستانًا لعبدالملك بن مروان، فقال عروة: ما أحسن هذا البستان يا أمير المؤمنين؟ قال عبدالملك: أنت والله أحسن منه، فهذا يؤتي أكله كل عام، وأنت تؤتي أكلك كل يوم.

الأحنف والحلم

قيل للأحنف بن قيس رضي الله عنه: ما أحلمك؟! قال: لست بحليم، ولكني عالم، والله إني لأسمع الكلمة فأحجم لها مليًا، ما يمنعني من الجواب عنها إلا خوف أن أسمع شرًا منها.

إيمان

يروى أن عبدالله بن عتبة بن مسعود باع يومًا أرضًا كانت له وتصرَّف في ثمنها للفقراء، فعاتبه صديق وقال: أنسيت أن لك ولدًا هو أحوج ما يكون إلى أن يُدَّخر له هذا المال؟ قال عبدالله: والله ما نسيت، لكني أجعل هذا المال ذخرًا لله تعالى، قال الصديق: وولدك؟! قال عبدالله: أما ولدي فسيكون الله ذخرًا له.

العلم والأخلاق

نصح الإمام الشافعي رضي الله عنه أحد أصحابه فقال: يا أخي رضا الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمْهُ، فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أنه مَنْ تعلّم القرآن جَلَّ في عيون الناس، ومَنْ تعلّم الحديث قويت حجته، ومَنْ تعلّم النحو هابه الناس، ومَنْ تعلّم العربية رق طبعه، ومَنْ تعلّم الحساب جزل رأيه، ومَنْ تعلم الفقه نُبل قدره، ومَنْ لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله: التقوى.

الأم

قال فيلسوف الثورة الفرنسية ومفكرها جان جاك روسو: لو كان العالم كله في كفة، وأمي في كفة لاخترت أمي.



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصيدة

من وحي النوى

شعر: إبراهيم محمد شرف الدين
كلية الآداب، جامعة الخرطوم.

كلما لاح صباحٌ مشرقُ الوجه صبوح
أو جرت منكم إلينا ما بدا الإصباح ريح
ضنت النفس وضجت وبكى القلب الجريح
وترى الآلام فيه ومشت فيه الجروح
وغدا النور ظلامًا وبدا الفجر كلوح
هذه الدنيا عليَّ قفرةُ الأيدي شحيح
إن سألت السعد ضَنّتْ وهي بالحزن تفوح
كم سرينا والشواطئ نائيات لا تلوح
وبكينا والرزايا عاكفات لا تروح
والليالي عابسات صامتات لا تبوح
لا ترى فيها سوى الأشباح تغدو وتروح
ليت شعري كيف ألقاكِ فأرسو وَاسْتَريح

التعليق: هذه الأبيات جرت في بحر الرّمل وقافية المترادف ورويِّ الحاء، وقد استهلّها إبراهيم بالبكاء والجروح والحزن والآلام، حيث لاح صباحُهُ مشرق الوجه جميل الطّلعة.

ولكنَّ الجروح تعاورت قلب إبراهيم، وانتابه الألم من كُلِّ فجٍّ وصوب، وبكى قلبُه الجريح، ودبَّت فيه الآلام والجروح، وأصبحت الدنيا عليه بخيلة لا تمنحُه أيديها شيئًا، بل ظلّت لَحزَةً بها شيءٌ من الشُّحِّ. وإن سأل السّعد في الدنيا، فإنها تبخل عليه وتضنُّ به، وهي حزينة كئيبة لا تبتسم في وجهه. وطال سيره ليلاً على الشواطئ فألفاها بعيدة قاصية عنه لا تبدو ولا تقترب. فطال بكاؤه وكأن المصائب خالدة لا تزولُ، ولياليه حزينة مكفهرّة الوجه صامتة لا تفصح عن شيء. وفيها أشباح تجيء وتذهب. ثم ختم أبياته بأمنية لقائها كي يهدأ وتُكتب له الراحة بعد هذا العناء.

جاءت الأبيات ممتلئة بالحزن والآهات والآلام، وقد انتظم هذا التيّار في الأبيات من البداية إلى النهاية. وقد استطاع الناظم تصوير هذا الشعور الكئيب تصويرًا ماثلاً لِمَنْ يتأملُ وكأني به يتكلّفُ حَشْدَ هذه الصّور ويتعمّدُ رصدها. وقد أعانه في ذلك حرف الحاء الذي مخرجه من وسط الحلق وصفته الهمس. وهذا لِمما يعينُ على ستر المعاناة وإخفائها، حيث ذُكر حرف الحاء في ستة عشر موقعًا من بينها حروف الرويّ، وكذلك

الحلق هو مكان الغصة واعتراض ما يُتبلّغ به. وعلى الرغم من أنه بكى مرّتين عند قوله: وبكى القلبُ الجريح في البيت الثاني، وقوله: وبكينا في البيت التاسع، فإنّ دُموعه لم تنهمرْ ولم تجرِ، إذْ ظَلَّ مُتماسكًا، ولعلَّ الشريفُ الرَّضي الشاعر كان أوضح في هذا الموضع، إذ عندما أراد من يتغنّى بهم الرحيل، قال:

تَسرقُ الدّمعَ في الجيوبِ حَياءً

وَبنا ما بنا من الأشواق

أما أبو الطيِّب ـ رحمه الله ـ فقد كان أوضح منكما حين قال في بائيّته :

حتى إذا لم يدع لي صدقُهُ أملاً

شرقتُ بالدّمع حتّى كاد يشرقُ بي

فلماذا إبراهيم يتّسمُ ويتزيّا بهذه الشدّة والقسوة على نفسه في هذه المواطن، بل إن الصراحة والوضوح هنا أجل وأسمى. أمّا الزمن عنده فقد كان متداخلاً مضطربًا، إذ بدأ بالصباح، ثُمَّ جاء نهاره الذي أضحى نوره ظلامًا وأعقبه فجأة بفجر كلوح، حيث قفز على ليالي ذلك اليوم الكئيب. فإن كان اليومُ كذلك فالليالي أحرى أن تكون كموج البحر مُرْخيةً سدولها، وبعد ذلك الفجر. كذلك تناسى النّهار وَركن إلى ليالٍ عابسات طبعت على خَبل. فليت الزمن كان ذا ترتيب طبعيٍّ كي تأتيَ المعاناة كذلك واضحة مرتّبة ليكون الإحساسُ بها ملموسًا.

أمّا قوله في ضروب الأبيات: صبوح، ريح، كلوح، شحيح، وتروح، واستريح، فقد جعل من حرف الرّدف في قصيدته مرّةً واوًا، ومرّة ياء، وهذا لمّا وقف عنده العَروضيّون، ولكنه ليس عيبًا؛ فقد جوّزوا مجيء الواو مع الياء، وهذا البابُ وَلجه كبارُ الشعراء أمثال علقمة الفحل في بائيّته:

فإن تسألوني بالنّساء فإنّني

بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ

إذا شاب رأسُ المرءِ أو قلّ ماله

فليس له في ودّهنّ نصيبُ

وقال:

يكلّفني ليلى وقد شطّ وليها

وَعادت عواد بيننا وخُطوبُ

ألا تراه أتى بالياء مع الواو؟ وإنْ نبّه عليه النّقاد فليس بِعَيْب.

د. محمد أحمد سليمان إدريس

متابعات

الأخ فاتح عيسى الأشرم، دير الزور، سورية:

قصيدتك «على وصيد التوبة» فيها شعور طيب، وإحساس مشكور بحقيقة الحياة وأنها دار عبور.

حاولت بناء قصيدتك على تفعيلة المتقارب التي جاءت (فَعو) محذوفة السبب الخفيف (لن) في القافية، وأفلحت في ذلك مما منح القصيدة إيقاعًا يقرب من النفس، وخصوصًا أنها جاءت تعالج موضوع التحول من المعصية إلى الإيمان.

لديك استعداد شاعري نرجو تطويره بالقراءة المستمرة، كما نرجو أن تتخلى عن هذه اللهجة الخطابية الوعظية، وأن تهتم بإبداع صور شعرية جديدة خاصة بك، لأن صورك مكرورة، ومعانيك عادية ليس فيها الخصوصية التي تمنح الشاعر استقلالية تأخذ بيده إلى الإبداع.

وجدناك تخطئ في مواضع من قصيدتك: «ثمة صوت»، والصواب «ثمة صوتٌ»، «بأني سأصبح يومًا رهين» لا يجوز التسكين لأن الصواب «رهينًا» خبر أصبح، ولكنها القافية. وكانت العرب بحسها الجمالي تحاول إذا كانت القافية مقيدة أن تكون الحركة واحدة عند الترنم، فأنت إذا استقرأت قصيدة الحطيئة التي أولها [مجزوء الكامل] «ديوانه 165»:

شاقتك أظعان لليـ

لى دون ناظرةٍ بَوَاكِرْ

وجدت أن قوافيها عند الترنم والإعراب تجيء مرفوعة، وقصيدتك ليست كذلك، فأرجو أن تداوم على قراءة شعر الفحول زمنًا قبل أن تمسك بالقلم، مع الدعاء لك بالتوفيق.

الأخ بن أحمد علي، تزنيت، المغرب:

قصتك يا أخ أحمد ذات بناء درامي لا بأس به، ولكنك لم تُحسن بناء النهاية بما يتناسب مع الحدث الذي تريد أن تعالجه.

إن شكل القصة القصيرة يتسم بالتركيز والاقتصاد، ويعتمد هذا الشكل في مضمونه على «المويجة» الشعورية واللاشعورية لا على التيار الشعوري واللاشعوري المسترسل.

وأنت استرسلت في كل شيء، فجاءت قصتك فضفاضة، وكان يمكن أن تفصلُها على قدّ الحدث دون حاجة إلى الاستغراق في الجزئيات التي لا تخدم فكرة القصة. نضرب لك مثلاً من نهاية القصة، فأنت تقول: «اتجهوا جميعًا نحو سيارة بيضاء، متوسطة الحجم، على سطحها ضوء أحمر، يشتعل وينطفئ، قذف بالرجل داخل السيارة البيضاء..».

هذا الكلام فيه كثير من الفضول في قصة قصيرة، وكان يمكن أن تكتفي بالإلماح والإشارة دون تطويل ومباشرة مما لا تحتمله القصة القصيرة.

ونأمل الانتباه إلى أخطائك اللغوية والنحوية، فأنت تقول: «ثم تبعه عسكرين» والصواب «عسكريان»، وتقول: «لم يكد الآخران يدخلا» والصواب «يدخلان»، وتقول: «ربما يكن» والصواب «يكون»، وتقول «نسي أن له أخ» والصواب «أخًا»، وتُعدّى فعل «ينفث» بالباء والصواب «ينفث من أنفه».

نرجو أن تقرأ كثيرًا من القصص القصيرة لكتاب تمرسوا بينائها لتحاول في كتاباتك المقبلة أن تصوغ صياغتهم سواء من ناحية التركيز أو اللغة.



الأخ أحمد سلمان عبدالله بن عميرة، الدوادمي، السعودية:

المجلة تهتم بالموضوعات العلمية، وغالبًا ما تكون الصفحات الملونة من نصيبها. أما سؤالك عن وجود إصدارات لدار «الفيصل» الثقافية عن الكيمياء أو الفيزياء النووية، فنفيدك بعدم وجود مثل هذه الإصدارات. وسوف تصل إليك قريبًا - إن شاء الله - الأعداد التي طلبتها، إضافة إلى بعض الأعداد التي بها موضوعات علمية تهمك.

الأخ محمد الروبي عبدالوهاب السيد، تبوك، السعودية:

لا نستطيع الحكم على المقالات التي تبدي استعدادك لإرسالها إلى المجلة ما لم تخضع للتقويم من قبل اللجنة المختصة، لذا نأمل إرسالها، وستُبلَّغ بموقفها من النشر عقب تقويمها، ومرحبًا بك وبمشاركاتك.

الأخ مختار عبدالله إسماعيل، باتنة، الجزائر:

نشكر لك ما تبديه في رسالتك من نصائح للشباب، أما الطلبات الخاصة التي وردت في خطابك فلا تستطيع المجلة أن تلبيها، وهو ما نوّه به في زاوية «إيضاحات» التي نأمل من جميع الإخوة الذين يراسلون المجلة أن يطلعوا عليها.

الأخ تاج السر أحمد خليل، بورتسودان، السودان:

تحياتك إلى أسرة المجلة وكتابها بَلَغَتْهُم، ونحن نشكر لك هذا الإطراء، ونأمل أن تكون المجلة عند حسن ظن قرائها دومًا.

الأخ محمد أحمد بكور، حلب، سورية:

عتابك شديد اللهجة الذي جاء في رسالتك لا يقوُم على أساس، فاقتناع الكاتب بأحقية مادته للنشر لا يلزم المجلة أن ترى رأيه، ولكن اعلم أن كل مادة تجد الاهتمام الكافي، وبدلاً من لوم المجلة، نأمل أن تهتم بأن تحسن مستوى ما ترسله حتى يجد طريقه إلى النشر. وعمومًا، تتقبل المجلة عتابك لأنك كما تؤكد صديق لها، فمرحبًا بمحاولات أخرى لك تكون أكثر توفيقًا.

الأخت صفات أمين مصطفى سلامة، الولايات المتحدة الأمريكية:

مقالتك «من كُتّاب أدب الخيال العلمي في الغرب» الخاصة بباب «دائرة المعارف» وصلت إلى المجلة وقد أجيزت للنشر. ونأمل أن توافي المجلة بموضوعات تتناول التخصص الذي تعملين فيه لنيل الدكتوراه، وننتظر منك ترجمات لكتب حديثة صادرة في هذا المجال. فمرحبًا بمشاركاتك، وشكرًا لاهتمامك بالكتابة إلى المجلة، مع الدعوات لك بالتوفيق في دراستك.

الأخ كنان عبدالناصر، ولاية بومرداس، الجزائر:

المجلة تولي اهتمامًا كبيرًا بالتاريخ الإسلامي، ولايكاد يخلو عدد من التطرق إلى هذا الموضوع، وعمومًا سنرسل إليك بعض الأعداد التي حوت دراسات عن التاريخ الإسلامي.

الأخ د. ياسين أحمد نحاس، حلب، سورية:

ملاحظتك دقيقة، والمجلة تحرص دومًا على إيراد المراجع مع كل مقالة. أما الكاتب الآخر الذي أشرت إليه، فقد أوقفت المجلة التعامل معه بعد أن كُشف أمره، ونأمل أن يكون جميع الإخوة القراء على مستوى حرصك ومتابعتك الدقيقة لما ينشر في «الفيصل» وغيرها.

الأخ عبدالله علي عبدالله الأشول، محافظة حجه، اليمن:

ستصل إليك بعض أعداد المجلة، وقائمة بالكتب التي صدرت عن دار الفيصل الثقافية حتى يتسنى لك اختيار ما تريده منها.

الأخ أحمد رفاعي، أندونيسيا:

لا تصدر عن دار الفيصل الثقافية مجلة غير مجلة «الفيصل». أما الكتب فهناك عدد كبير من الكتب تم إصدارها، إضافة إلى مجموعة أخرى في الطريق.

الأخ سعودي الطيب بن عمر، الهامل، بو سعادة، الجزائر:

أنت تقترح إصدار معجم خاص بأسماء الذين استضافتهم المجلة في حواراتها معهم، ومعجم آخر بموضوعات المسابقة الشهرية. والمجلة تطبق هذا الاقتراح عمليًا إذ تصدر كشافًا سنويا يتضمن تصنيفًا وترتيبًا للموضوعات وكتّابها، يعد وفق طرائق التكشيف العلمية، وهذا الكشاف يوزع مجانًا مع العدد. أما إذا كنت تعني باقتراحك جمع الموضوعات المتخصصة وإصدارها في كتب، فذلك ما تعد له دار الفيصل الثقافية استجابة لرغبات القراء، وسيرى هذا المشروع النور قريبًا إن شاء الله.

إلى كتابنا الكرام

نأمل من كتابنا الكرام الذين نُشرت لهم موضوعات في «الفيصل» ولم تصل إليهم مكافآتهم أن يوافونا بعناوينهم حتى يتسنى لنا إرسالها إليهم، ونخص بالذكر منهم الأساتذة: وليد مدفعي - مصطفى يعقوب عبد النبي - عبدالرحمن محمد المساوي - عبدالله الطنطاوي.

كما نأمل من جميع الكتاب الكرام الذين يرسلون إلينا موضوعاتهم من خارج المملكة بغرض النشر أن يرفقوا معها الاسم (ثلاثيًا أو رباعيًا إن أمكن) باللغتين العربية واللاتينية التي يتم الصرف على أساسها. مع وافر شكرنا لكل من شارك، ويشارك، في الكتابة للمجلة.

بين القارئ والقارئ

أرجو من قراء «الفيصل» الكرام تزويدي بأعداد «الفيصل» التي تم التطرق فيها إلى قضايا البيئة، وكذلك بعض الكتب والمجلات التي عالجت موضوع التلوث البيئي، لأنني بصدد إعداد رسالة تخرّج حول هذا الموضوع.

بلغار عبدالرشيد
بشارة، المعاضيد
المسيلة، 28111، الجزائر.

أرغب في تنمية التواصل الثقافي مع المعنيين أينما كانوا، ولدي استعداد لأن أتبادل معهم أوعية الثقافة والمعرفة: المكتوبة والمسموعة والمرئية. فمن كان من قراء «الفيصل» لديه هذا الاستعداد فليتعاون معي في مد الجسور.

عبدالغني محمود
ص.ب 8545
عمان 11121، الأردن.

أرجو من الإخوة القراء تزويدي ببعض الأشرطة المسجل فيها تلاوة القرآن الكريم، وحبذا لو كانت بصوت القارئ ناصر الغامدي أو محمد أيوب أو عبدالله خياط، كما أرجو مساعدتي في الحصول على كتاب «الكامل» في اللغة لأبي العباس المبرد، نظير كتاب «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري، محقق.

أبو ذر أحمد محمد
ص.ب 2828
الخرطوم، السودان.

لقد قرأت في زاوية «بين القارئ والقارئ» العدد 241 طلب الأخ عبدالله التميمي، ورغبته في تزويده بالأجزاء 18، 20، 22، 23 من كتاب التمهيد لابن عبدالبر (الطبعة المغربية)، وتجاوبًا مع طلب الأخ الكريم قمت بإرسال الأجزاء المذكورة إلى عنوانه: ص.ب 488 الدمام 31411، السعودية. ولكنني فوجئت برجوع الرسالة إليّ وقد كُتب عليها (هذا الشخص غير معروف لدينا)، لذا أرجو من الأخ التميمي الكتابة إليّ للتفاهم حول كيفية إيصال الأجزاء المطلوبة.

عبدالرحمن شتور
مكتبة منار العرفان، 16زنقة مونا ستير
الرباط، المغرب.

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ منور عبدالمجيد، القامشلي، سورية:

من العناوين التي استطعنا توفيرها لك:

* عنوان مجلة التربية (الإمارات):
ص.ب 295، وزارة التربية والتعليم
أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف 321950
* عنوان مجلة التربية (الكويت):
ص.ب 16222،
مركز البحوث التربوية
وزارة التربية، الكويت
هاتف 4830744-4836800
فاكس 4838128
* عنوان مجلة الأمة (قطر):
ص.ب 193- الدوحة، قطر
* عنوان المجلة العربية للثقافة (تونس):
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
ص.ب 1120، تونس
هاتف 784466
فاكس 784965
* عنوان مجلة المدينة العربية (الكويت):
ص.ب 4954، منظمة المدن العربية
الصفاة 13050، الكويت
هاتف 2435540، فاكس 2448653

الأخ تبو عبدالوهاب، قسنطينة، الجزائر:

* عنوان جامعة الملك سعود:
ص.ب 2454، الرياض 11451
المملكة العربية السعودية
* عنوان جامعة الملك عبدالعزيز:
ص.ب 1540، جدة
المملكة العربية السعودية

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة ـ بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.



أحلام تربوية .. غائبة



عوّدنا الأستاذ الدكتور زيد الحسين، في كل إطلالة، أن يقدم لقراء «الفيصل» الغراء دراسة فكرية في كل عدد، وهذا ما يكفل للقارئ العربي تكوين منظومة معرفية بنيتها الأساسية بناء فكر عربي قادر على النهوض المعرفي لمواكبة كل التطورات العالمية المستمرة، مع الحفاظ على تراثنا العربي والإسلامي.

ويتابع الدكتور الحسين مسيرته التنويرية التي انطلق بها منذ توليه رئاسة تحرير مجلة الفيصل، فيطرح لنا في العدد 237 دراسة تربوية جديدة، أتت تحت عنوان «تربية لا تغتال العقل» يعبر من خلالها عن أحاسيس المثقف والمفكر العربي المخلص لقضايا أمته، فتشعر أن أفكاراً قيمة كهذه، يجب أن تخرج من مجالها النظري إلى المجال التطبيقي، ومن اللازم أن يطلع عليها كل القائمين على إعداد مناهج التربية في كل الدول العربية، وذلك لما لها من أهمية معرفية وفكرية في مسائل التربية العربية وقضاياها.

وما أريد أن أقوله من خلال هذا التعقيب: إن السياسات التربوية المتبعة في معظم الأقطار العربية وحالة التشويش الفكري المقصود، وإسناد الإدارة التربوية العربية، ووضع المناهج وتغييرها إلى خبرات أجنبية لا تُعرف مقاصدها الحقيقية، وأمور أخرى عديدة، جميعها تعدّ من أكبر المعوقات في طريق التنمية العربية الشاملة.

ولا أريد أن يفهم القارئ العزيز أنني من دعاة الانغلاق الحضاري والتزمت الفكري، ولكننا نريد أن تكون تربية أجيالنا تربية عربية أصيلة تستمد مبادئها وقيمها من تعاليم ديننا الحنيف، وبعد ذلك فإننا نطلع على الدراسات والأبحاث الغربية ونأخذ منها ما يلائم قيمنا ومعتقداتنا الفكرية المستندة في بنائها إلى الدين الإسلامي. يقول الدكتور زيد الحسين في العدد 238 من مجلة الفيصل: «الأمة الإسلامية لها قاموسها الخاص وخطابها الحضاري المتميز، وهي بذلك غير قابلة للذوبان في هويات غيرها من الأمم، وإنما تأخذ من تلك الأمم وتتفاعل معها بالقدر الذي لا يؤثر سلبًا في قيمها».

وعندما كنا في المرحلة الجامعية، لاحظ العديد من الزملاء الطلاب، أن الأفكار والمفاهيم التربوية التي نتعلمها في دراستنا للتربية معظمها لمفكرين أجانب، إلى جانب قدر ضئيل من الأفكار التربوية العربية، وعندما كنا نسأل عن السبب، كانت الأجوبة تتشابه في مضمونها، وخلاصتها أن ما وصلت إليه المجتمعات الغربية من تقدم وازدهار، هو نتاج لأنظمة تربوية ناجحة. وفي الحقيقة أن أصحاب هذه الفكرة هم من أبناء جلدتنا الذين بهرتهم الأضواء الزائفة للحضارة الغربية. ونحن بالتأكيد لا نختلف معهم بشأن التقدم التقني (التكنولوجي) - دون الجانب الاجتماعي والإنساني - الذي وصل إليه الغرب والأنظمة التربوية الناجحة، ولكن السؤال: هل اعتمد الغرب في تربية أجياله على مفاهيم مستوردة؟ وهل سمح لعنصر أجنبي أن يتدخل في وضع الخطط والأهداف الرئيسة لأنظمته التعليمية؟ وهي بذلك - أي الدول الغربية - تطبق قاعدة تربوية مهمة للغاية، مفادها أنه لا يمكن دراسة قيم ومفاهيم تربوية ومجال تطبيقها بمعزل عن تراث المجتمع المقصود بالدراسة وثقافته، وهذه القاعدة التربوية تطبقها جميع المجتمعات التي تريد إحداث تغيير في نظامها التعليمي، لكن معظم أبناء جلدتنا الدارسين في الغرب يريدوننا أن نسير على نهج الحضارة الغربية بمفاهيمها ومعتقداتها وأساليب الحياة فيها.

لذلك كان حلم الزملاء في الجامعة، هو محاولة تغيير كل المفاهيم الخاطئة حول عدم قدرة التربية العربية على إعداد أجيال ترتقي بفكرها إلى مستوى الفكر العالمي المعاصر، وبالطبع فقد كان الحلم مرتكزاً على أسس التربية العربية الإسلامية ومفاهيمها التي انبثقت عنها حضارة عريقة لا يزال العالم يعيش من نتاجها الفكري، ويرتكز في كثير من إنجازاته المعاصرة على نتائج وحقائق علمية كانت الحضارة العربية قد أبدعتها في أوج ازدهارها الحضاري.

وبدهي القول إن أي نظام تربوي إذا بُنيت أسسه بشكل صحيح، وانطلق في وضع أهدافه من واقع المجتمع وآماله، فإنه بالتأكيد قادر في النهاية على إعداد أجيال قادرة على تحويل مجتمعها نحو غد أفضل. والعكس صحيح فإن التربية إذا انحرفت عن مسارها الصحيح، ونهجت المنهج التقليدي في تربية

أجيالها، فإنها بذلك تقود تلك الأجيال إلى طريق التخلف والتبعية، وإذا أرادت أمة من الأمم تغييب الدور الحضاري لأمة أخرى فإنها تعمل على إبقاء التربية لهذه الأمة تقليدية في جوهرها وحضارية في ظاهرها، وذلك لإبعادها من موكب التقدم الحضاري، ولتعيش أجيالها فيما بعد حالة تبعية دائمة لمجتمعات صدّرت لها مفاهيم مزيفة وأساليب تربوية مغلوطة.

لذلك كانت التربية العربية هدفًا أساسيًا من أهداف الغزو الفكري الذي تعرضت وما زالت تتعرض له أمتنا العربية والإسلامية منذ عهود خلت وحتى الوقت الحاضر. فمن إحراق المكتبات العربية من قبل الغزاة المغول والتتار، والتي كانت تحتوي على مخطوطات علمية وأدبية للعلماء العرب والمسلمين، إلى الحكم العثماني والغربي ومحاربته اللغة العربية وإبعادها من الصفوف الدراسية ومناهجها، إلى الاستعمار الحديث الذي يصدر لنا نماذج لأنظمة تربوية مضللة. والحقيقة أن أغلب الدول العربية التي تحررت من قيود الاستعمار، لا تزال تعيش حالة احتلال فكري وثقافي، وذلك من خلال تطبيقها للأنظمة التربوية التي وضع أسسها الاستعمار خلال احتلاله المنطقة، وكل محاولات التغيير لهذه الأنظمة التقليدية لم تستطع أن تقترب من الأنظمة التربوية الصحيحة أو الجادة، ولعل هذا ما عبَّر عنه الوزير الفرنسي بينو، بقوله: «لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية، وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية». الفيصل، العدد 218، ص5).

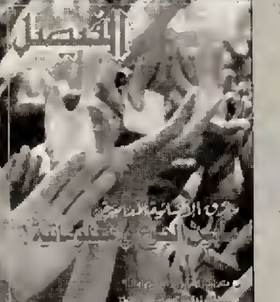
ويقول الدكتور الحسين في العدد 233 من مجلة الفيصل: «والفارق بين المناهج التربوية الجادة ـ وهي التي تتبعها دول الغرب على الرغم مما يعتريها من إشكالات ـ والمناهج التقليدية ـ وهي التي تسود في معظم بلداننا العربية والإسلامية ـ أن الأولى توازن بين قدرات التفكير والقدرات المعرفية، بينما ترجح الثانية جانب المعلومات على حساب شحذ قدرات التفكير».

وكل الأساليب الاستعمارية المختلفة ـ من قديمها إلى جديدها ـ مقصدها الأساسي قتل العقل العربي، وطمس الهوية الحضارية للأمة العربية والإسلامية، والمحاولة المستمرة لإبقاء الإنسان العربي.. جسدًا بلا روح.

على أية حال، إن أغلب الأنظمة التربوية العربية، أجحفت بحق التربية العربية ومبادئها، وسارت في تربية أجيالنا العربية على الطريقة الغربية ـ المضللة والمشوشة ـ وأبعدتهم من الطريق الصحيح، والدليل على ذلك أننا الآن نعيش حالة تبعية عمياء لمجتمعات لا تريد لحضارتنا العربية أن تزدهر مجددًا. والأسئلة التي تطرح نفسها الآن: لمصلحة من تُطبَّق أنظمة تربوية مضللة؟ ولماذا لا نعيد النظر في أنظمتنا التعليمية القائمة حاليًا؟

وعلى الله قصد السبيل.

إبراهيم عبدالكريم الحسين
أستاذ محاضر في جامعة حلب
الرقة، سورية



النهج الإسلامي
سبيل البشرية للخروج من الفقر

..في لمسة إنسانية بليغة اهتزت لها شغاف قلوبنا، وأحسسنا أنها تمس أوتار أرواحنا وتُحيي مواتَ نفوسنا، وتسلِّط أعيننا على بعض أوجاع البشرية وما تعرضت له من استغلال ومحاصرة وتطويق على أيدي المستعمرين والمغامرين عبر مسيرتها الحضارية مما استنزف الكثير من ثرواتها ومقدراتها، جاءت إطلالة الدكتور زيد الحسين في العدد 242 من الفيصل الغراء والمعنونة: «هكذا يزداد الفقير فقرًا» بفكرها الأدبي الرصين وأسلوبها العلمي المتسم بالعمق والصدق والموضوعية.

لقد تطابقت نظرة الإسلام ومعالجته لمشكلة الفقر لتظل إلى الأبد النموذج الأمثل للإنسانية. فدعوته الخالدة إلى أن العمل والإنتاج واجب حتمي يكمِّلُ به الواجب الديني من أجل خير البشرية جمعاء، وأنهما سبيلنا الوحيد وقوتنا للارتقاء بالمستوى الاقتصادي لشعوبنا. فقول الحق تبارك وتعالى: *وأعدُّوا لَهُم ما استطعتُم من قوَّة ومن رباط الخيل تُرهبُونَ به عَدُوَّ اللّه وعَدُوَّكُم*. **الأنفال**: 60، يدعونا ـ حكَّامًا ومحكومين ـ لاستخدام الوسائل المادية والبشرية كافة لتحقيق القوة الاقتصادية بالعمل على التنمية في جميع المجالات. والنصوص القرآنية في الحث على التنمية وإعمار الأرض لاستخراج

خيـراتها والتمتع بثرواتها لإشبـاع الاحتياجات الإنسانية كثيرة ومتعددة.

يقول الحق تبارك وتعالى: *هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا*. **هود:** 61. وما أبلغ قول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه في رسالته لواليه بمصر: «وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد». وقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فَهُمْ أولى بمحمد يوم القيامة».

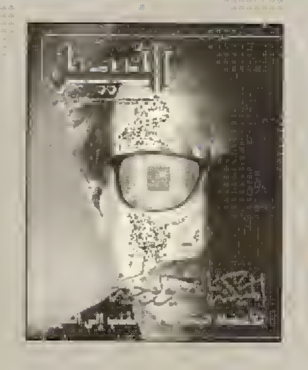
وتمضي الشريعة الإسلامية الغراء في نهجها الراقي المتكامل البناء، فبعد إعمار الأرض والعمل والإنتاج يحدث الرخاء فتأتي الزكاة والصدقات تطهيراً للنفوس المؤمنة من مشاعر الحسد والحقد والبغضاء والعداوة نتيجة لتفاوت الدخول بين الأغنياء والفقراء، فالنفس المؤمنة لن تهنأ وهي ترى غيرها محرومًا، ولهذا تعد فريضة الزكاة، بما تحققه من تكافل وترابط وتراحم، مكسبًا اقتصاديًا يؤمن المجتمعات، ويدعم نموها الاقتصادي، ويزيد من حركة البيع والشراء مما يعود نفعه على الأغنياء أنفسهم، بوصفهم مُلاَّكًا للمتاجر وأصحابًا للصناعات.

قال تعالى: *قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ*. **المؤمنون:** 1-4. فضلاً عما تحققه الزكاة من توثيق للروابط الاجتماعية بين المسلمين، وإشعار كلٍّ منهم بأنه مسؤول عن أخيه؛ فإن الهدف الاقتصادي الأسمى هو القضاء على الفقر ومعاونة كل ذي حاجة.

ومن هنا فإنه لا خروج للإنسانية جمعاء من هذا المأزق المخزي الذي وضعت نفسها فيه بإرادتها؛ طمعًا في استغلال ثروات الشعوب، ونهب خيراتها، واستنزاف مقدراتها، ووفاة الملايين بفعل الثلاثي القاتل «الفقر والجوع والمرض» في أرجاء متفرقة من العالم إلا إذا رجعت إلى النهج الإسلاميّ الحنيف، وجعلت القرآن لها نبراسًا ومنهاجًا يخرجها من ظلامها الدامس، وضلالتها العمياء، وقسوتها الظالمة، التي صرفت عن الإنسان إنسانيته، وفجَّرت في روحه نوازع الشر والشّراسة الباغية بين أشرف خلق الله في مُلك الله: الإنسان.

مهندس/ عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود
الإدارة الزراعية بالمنصورة
الدقهلية، مصر.

مفهوم الانتماء والالتزام



كم نحن بحاجة إلى إيضاح بعض الأفكار التي تعالج المسائل الحساسة في مختلف مظاهر الحضارة البشرية. وقد نشرت مجلة الفيصل في العدد 234 مقالاً بديعًا يتحدث عن مفهوم الانتماء والالتزام في التصور الإسلامي، للكاتب محمد منتصر الريسوني، تطرق فيه إلى مفهوم الانتماء والالتزام في الفكرين الاشتراكي والوجودي. ولكي تتضح الصورة أكثر نقول: إن الفكر الفلسفي الغربي بمختلف تياراته ظهر بعد الأزمة العميقة التي واجهها ذلك الفكر في العلم والفلسفة بشكل خاص. وحدثت المواجهة العميقة مع العلم النيوتوني، فقد كان معظم فلاسفة الغرب يعتقدون أن علم الطبيعة الذي انتهى إليه العالم الإنجليزي إسحق نيوتن هو تصوير صادق مطلق الصدق للعالم، وفي نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين أخذ بعض المفكرين بالتشكيك في قيمة التصور الطبيعي (الفيزيقي) النيوتوني للعالم. كما أخذوا في رفض مبدأ الحتمية الشاملة Determinism، ويقصد به: مبدأ يفيد عموم القوانين الطبيعية وثبوتها. وتختلف الحتمية عن الجبرية التي تخضع الطبيعة لقوى خارجة عنها (هي الألوهية عادة)، في حين أن الحتمية تعتمد على ضرورة كامنة في الطبيعة ذاتها. والجبرية Fatalism هي مذهب من يرون أن كل شيء يتم على نحو لا مرد له، فلا تستطيع قدرة الإنسان ولا إرادته أن تغيرا شيئًا في مجرى الحوادث. ويمثل الجبرية في التراث الإسلامي (الجهميّة) الذين يردون كل شيء إلى الله تعالى، والعبد عندهم أشبه ما يكون بريشة في مهب الريح.

وتتمثل أعراض الأزمة الفكرية في ظهور حركات فكرية تعارض المذهبين الأهمين في الفكر الأوربي، أي المذهب (الميكانيكي) المادي والمذهب الذاتي. ومن الجدير أن نورد بعض أقوال المفكرين حول هذه الظاهرة، وهل الفلسفة الغربية التي

ظهرت هي مجرد انحراف عن الحضارة الغربية؟ أم هي تعبير عن تيار أصيل فيها؟ وما الثمار التي قطفوها، والنتائج التي وصلوا إليها؟ فإذا أخذنا الاشتراكية نجد أن الثورة البلشفية في روسيا عام 1917م استوردت الماركسية من خارج أرضها، وبعد أن قام لينين بالثورة، تعرضت روسيا لعزلة شديدة، فأعلن لينين عن استراتيجية مغايرة وجديدة من أجل أن يتميز من الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية في غرب أوربا، وأطلق على حزبه اسم «الحزب الشيوعي»، واتهم تلك الأحزاب الغربية بخيانة الاشتراكية، وأخذ الحزب الشيوعي في تأميم وسائل الإنتاج. ولتطبيق تلك السياسة، أصبحت الثورة بحجة ديكتاتورية الكادحين أو طبقة العمال (البروليتاريا) في قمة الاستبداد، ولاسيما في مرحلة حكم ستالين، وخاصة عندما فرض نظام المزارع الجماعية، وساد الإرهاب حتى طال صفوف الحزب ذاته. وبعد مرحلة الركود التي عانى منها الاتحاد السوفييتي نادى جورباتشوف بالبيريسترويكا ومحاولة إعادة البناء، ثم حدث الانقلاب الشيوعي الفاشل على جورباتشوف عام 1991م، مما دعا خليفته يلتسين إلى مطالبة الجماهير بالدفاع عن الديمقراطية، على معرفة الأغلبية أن التحول إلى اقتصاد السوق جاء متأخراً، ومازالت الجماهير تعاني من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، بعد أن أنهك السوفييت سباقُ التسلح مع الغرب. وإذا عدنا إلى جذور تلك الأفكار نجد أنها نبتت تحت ضغط ظروف آنية، وزُرعت في تربة غير تربتها، وهل الحلول كانت هي ما نادى به ماركس وأنجلز، بأن العالم المادي هو وحده العالم الحقيقي؟ فعندما رأت الماركسية أنه ينبغي تغيير وجهة الأخلاق وفلسفة الجمال والفن، وجدت أنه ينبغي إلغاء الدين تماماً، وماركس هو القائل: «الدين أفيون الشعوب»، وكانت المادية التاريخية ترى أن الدين ما هو إلا نسيج من الأقوال الخاطئة والعجيبة، التي يدينها العلم الطبيعي، وقد سقط الفكر الماركسي في هوة سحيقة عندما هدم الدين. وللحقيقة نقول إن النصرانية تمتلئ حين تعتمد على العهد القديم (التوراة) على الخصوص، بالتقريرات التي يعارضها العلم، وأكبر مثال على ذلك الضجة الكبرى التي قامت بعد ظهور نظرية دارون في التطور. إن الانتماء والالتزام في الفكر الاشتراكي يُعد في النهاية منفصلاً عن الواقع الحقيقي الذي رسمه ربّ العالمين للبشر. وكلمة الإلزام هي أقرب من الالتزام في الفكر الشيوعي، لأنه نشأ في ظله أجيالٌ دارت في فلك العبودية للعقل والاسترقاق الفكري، بعد أن قال ماركس: «لا إله والحياة مادة»، وعندما نقابل بين تلك الأفكار ومعتقدات الزنوج البدائيين، نجد أن هؤلاء الزنوج أقرب إلى الحقيقة، فهناك قبيلة تسمى الدنكا يؤمنون بإله واحد يسمونه «نيالاك» وهو الذي في السماء أو الأعلى، وقبيلة الشيلوك يؤمنون بإله واحد يسمونه «جوك» وأنه في كل مكان وهو خالق كل شيء. وفي قبيلة الماو ماو يؤمنون بإله يسمونه «موجابي» ويصفونه بأنه واحد أحد لم يلد ولم يولد وليس له شبيه، لا يُرى، ويُعرَفُ من آثاره، رازق وهاب، يسمع الدعاء وينجد المأزوم. وقبيلة نيام نيام يؤمنون بإله واحد يسمونه «مبولي» يسلط الصواعق على الأشرار ويكافئ الأخيار بالبركة والأمان. وها نحن أولاء نرى ذهاب المنظرين لتلك الأفكار الهدامة وبقاء الناس في تخبط وبلبلة في الأفكار، بعد أن ألّهُوا المادة وقدّسوا الفرد. أما بالنسبة للفكر الوجودي الذي ضل عن الحقيقة، وسبب الكثير من الويلات، فيعود إلى أقطابه جابريل مارسال وكارل ياسبرز ومارتن هيدجر وجان بول سارتر. وهم جميعًا يعلنون انتسابهم إلى كيركجارد. ويرى الوجوديون أن الإنسان وحده هو الذي يحوز الوجود، والإنسان يخلق نفسه بنفسه. وهناك تناقض كبير عند الفلاسفة عندما قالوا بوجود الألوهية أو بوحدة الوجود والألوهية، أو بإنكار الألوهية، حتى نادى سارتر أخيراً بوجوب إقامة مذهب منكر للألوهية صريح ومتسق الأركان. ونستطيع القول إن الوجودية هي التي خلقت الأفكار الفاشية والنازية وما جرته على البشرية من أهوال مروعة. وإذا تناولنا حالة مارتن هيدجر (1889 - 1976م) الذي يُعدّ بحق فيلسوف النازية، نجد أن أفكاره لها دور كبير في تشكيل الفكر النازي، الذي شرحه هتلر في كتابه «كفاحي». وتتلخص الأفكار النازية في التالي:

النظرية العرقية - اتحاد الألمان في دولة مركزية - إلغاء حقوق اليهود الانتخابية، إذ «أول ما يجب حذفه اليهود لأنهم ليسوا من العرق الآري..» - مكافحة فكرة العالمية، وخاصة الشيوعية والكاثوليكية - إقصاء فكرة الديمقراطية وفكرة الأكثرية، لأن عامة الشعب لا تستطيع التنظيم - المجال الحيوي للشعب الألماني. وهكذا يوسع هتلر بوضوح الهيمنة القارية. وقد ظهرت الفاشية إلى جانب النازية، وجُرَّت أوربا إلى الحرب. وتقوم النظرية الفاشية على احتقار الحرية البرلمانية، وقد صرح موسوليني «أن الأمم لا تتوصل إلى وعي نفسها إلا بالحماسة التي يبعثها فيها الرجل الاستثنائي الذي تسلم السلطة..». وقامت الحرب العالمية الثانية وقُتل عشرات الملايين من البشر، وفي النهاية قُتل موسوليني بيد أحد الجنود اليهود، وانتحر هتلر مع كثير من أعوانه، وأسدلت صفحة سوداء من تاريخ البشرية، بعد أن زرعت الوجودية أفكار التعالي والقوّة والعنصرية في أوربا.

وللحقيقة نقول: إن أكبر حربين في تاريخ الحضارة الغربية، هما حربان غربيتان (أوربيتان) وليست صفة العالمية إلا صفة غير دقيقة بسبب توسع رقعة الحرب، وكلتا الحربين تدل على الأزمة العميقة التي وقعت فيها الحضارة الغربية، بحيث كانتا تمهيداً لتحلل تلك الحضارة مهما كان

مظهر القوّة فيها باديًا، فهي قوّة خادعة، وأسباب الانحلال تنخر فيها باستمرار وانتظام.

إن القاسم المشترك لتلك الفلسفات بمختلف التيارات والمذاهب هو ضياع الإنسان، مثل الذي صادق النمر، فيومًا هو راكبه ويومًا هو مأكوله. وتدور الشبهات حول دوافع تلك التيارات التي تجتاح العالم، وأن من ورائها مَنْ يخطط لها ويدفعها للانتشار. والدارس لأسفار التوراة الحالية والشروحات التلمودية، يجد فيها محاولات لرسم الشخصية اليهودية والتسويغ لآراء العنصرية ونشر الفساد والانحلال. وهناك منظمة تدعى (القبالة) وهي من أهم المنظمات العالمية التي تنشر الفكر المسمم، تلك المنظمة التي تعرف بالجمعية الماسونية وتعمل على نشر منهاج الصهيونية «بروتوكولات حكماء صهيون»، وترمي إلى تعرية الإنسان من معتقداته ومبادئه ومثله العليا، ولقد خطت خطوات واسعة في ميدان إضعاف الإيمان لدى النصارى في أوربا، وتحاول قتل روح الوطنية لدى الشباب والقضاء على مفهوم الناس حيال التقاليد والأعراف الموروثة، كالشرف والعرض والأمانة والأخلاق، وهي الآن في طريقها لبسط سلطان الكفر والإلحاد والحيوانية المطلقة على العالم أجمع، حتى إن هذه المنظمة تتعقب المفكرين الذين يكشفون زيف الدعاية المضللة التي تنتهجها.

إن المستقبل القريب سيغص بسلبيات الغزو الثقافي المنظم وغير المنظم، والمسؤولية كبيرة لحماية الأجيال الصاعدة. إن الانتماء للدين الإسلامي والتزام شريعته فيهما سعادة الدنيا والفوز بالآخرة. قال الله تعالى: *إنّ الّذينَ قالوا ربُّنا اللّهُ ثم استقامُوا فلا خوفٌ عليهِم ولا هُم يحزَنونَ*. **الأحقاف**: 13.

أحمد حسين الجهماني
نوى، درعا، سورية.

حول موضوع ملح الطعام



في موضوع الكيميائي زياد أبو غنيمة «ملح الطعام» في العدد 241 ص73 ذكر بأنه «أتى على الملح حين من الدهر، كانت تجارته في أوج الازدهار، فكان الأباطرة والملوك يفرضون عليها ضرائب باهظة.. ولعل أشهر ضريبة من هذا النوع، تلك التي فرضها ملوك فرنسا في أوائل القرن الثالث عشر، واشتهرت في التاريخ باسم GABELLE.. ويذهب بعض المؤرخين إلى أن هذه الضريبة كانت سببًا من الأسباب التي فجّرت الثورة الفرنسية عام 1789م».

إنني أود الإشارة هنا إلى أن كلمة GA-BELLE ما هي إلا الكلمة العربية «قَبالة» بمعنى ضريبة أو صك الالتزام، التي كانت تُدفع في العصور الوسطى على شكل ملح في أوربا، وقد دخلت إلى عدة لغات أوربية من طريق اللغة اللاتينية الوسطى التي كانت اللغة المشتركة بين الأوربيين آنذاك، وذلك عن لفظة CABALLA و GABELLA التي ظهرت في الفرنسية (والإنجليزية الوسطى) على شكل GABELLE بمعنى ضريبة الملح التي فُرضت في فرنسا قبل الثورة (قارن اللفظة الإسبانية التي تظهر مع «الـ» التعريف العربية ALCABALA بمعنى رسم البيع، والتي دخلت هي أيضا إلى الإنجليزية على شكل ALCABALA و ALCAVALA، وهي موثقة في كتاب آدم سمث: ثروة الأمم WEALTH OF NATIONS، عام 1776م).

د. أسعد مصري
KATTOWITZER WEY 2
35119 BONN - GERMANY

المصدر:

أسعد مصري، معارات عربية باللغة الإنجليزية، رسالة دكتوراه نوقشت بكلية اللغات الحديثة في جامعة برلين الحرة عام 1982م.

دور الكلمة في التغيير الاجتماعي



طالعتنا مجلة الفيصل الغرّاء في عدديها 235، 240 بمقالين للدكتور حلمي محمد القاعود ـ وهو أستاذ فاضل أعرفه ولا يعرفني ـ وهما: الكلمة المكتوبة ورسالة مؤثرة. وكان لهذين المقالين عظيم الأثر في نفسي إذ أثارا فيها شجونًا.

وما أكتبه إنما يصدق عليه قول الدكتور زكي نجيب محمود: «إن الكاتب صاحب

رسالة، ولأنه لا يطيق حبس فكرته في رأسه، ولا يكفيه أن يكتب ما يكتبه ليضعه في أدراج مكتبه، إنها رسالة، والرسالة لابد أن تُنشر بين الناس، ولهم بعد ذلك أن يقبلوها أو يرفضوها، وذلك معناه أن الكاتب لا يكون كاتبًا إلا إذا قرأه قارئون، حتى ولو جاء هؤلاء القارئون في عصور تالية». ولهذا كانت هذه الرسالة التي أتمنى لها القبول:

قال تعالى: *يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا*. **الأحزاب**: 70.

والسؤال الآن: ما الذي يعطي هذا القول القوّة والقدرة على التغيير؟

إن السر العجيب ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات فحسب، إنما هو كامن - قبل ذلك - في قوّة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلولات، إنه في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حيّة، والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس.

إنه ليس كل كلمة تبلغ قلوب الآخرين فتحركها، وتجمعها وتدفعها، إنها الكلمات التي تقطر دمًا، لأنها تقتات قلب إنسان حي، كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان.

أما الكلمات التي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسنة، ولم تتصل بذلك النبع الإلهي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبرًا واحدًا إلى الأمام. إن أحدًا لن يتبناها، لأنها ولدت ميتة، والناس لا يتبنّون الأموات.

إن القرآن الكريم وهو الإعجاز البلاغي الذي لم يقاربه بلغاء الأقدمين والمحدثين، يظل كلمات ما لم تتجسد هذه الكلمات فتلمسها الأيدي وتراها العيون.

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - في كتابه دراسات إسلامية: «وانتصر محمد بن عبدالله - عليه الصلاة والسلام - يوم صنع أصحابه - عليهم رضوان الله - صورًا من إيمانه، يوم صاغ من كل منهم قرآنًا حيًا يدب على الأرض.. يوم جعل من كل فرد نموذجًا مجسمًا للإسلام، يراه الناس فيرون الإسلام».

ولخطورة الكلمة وأثرها الفاعل في التغيير الاجتماعي وصناعة المجتمع الفاضل، ثم المحافظة عليه، كانت صيحة المخلصين من الأمة المسلمة بأسلمة المعرفة، والأدب الإسلامي والإعلام الإسلامي.

ولكن حتى يتم ذلك كله لابد أن يكون القرار إسلاميًا، وحتى ينتشر الأدب الإسلامي الفاعل ليأخذ المكان الطبيعي والدور القيادي على الساحة، لابد أن يكون الإعلام إسلاميًا.

ألست معي أستاذي الدكتور حلمي، أن الجهود المبذولة ما زالت فردية لا يضمها عمل جماعي، نحن لا نريد أن نغمط الأفراد حقّهم، ولا أن نقلل من شأن ما قدموا وما زالوا يقدمون.

نعم هناك رابطة العالم الإسلامي، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية وغيرهما، وهذه كلها جهود مشكورة مأجورة بإذن الله تقوم بها المملكة العربية السعودية أو تقف من ورائها، ثم تقف معظم الدول العربية والإسلامية ضدها للحيلولة دون انتشارها وأن تؤتي ثمارها.

فالمطبوعات الإسلامية لا تأخذ حقّها في الانتشار، والأدب الأصيل المبدع كذلك.

يقول الدكتور حلمي: «إن كثيرين من كتّابنا وأدبائنا وباحثينا الكبار، قدرًا ومقامًا، والذين أنفقوا كل ما يملكون: مالاً وجهدًا ووقتًا من أجل الكلمة: إبداعًا وترجمة وتأليفًا وتحقيقًا لم يحظوا بمثل ما يحظى به أولئك الفقراء في الموهبة والفن والثقافة».

وأقول: وحيث إن هؤلاء الكتّاب أصلاء، وسيقولون ما يخالف المطلوب منهم، سيكون دور حارس البوابة الإعلامية هو عدم السماح بالمرور لهذه الرسائل الإعلامية - إبداعاتهم - من الظهور على الجمهور أو النشر للقراءة.

إن هذا الحارس لن يسمح بالمرور إلا للذي يعرفه جيدًا ويعرف هويته.

وأذكر كلمة لشيخ العربية الأستاذ محمود محمد شاكر: «عشت أكثر من أربعين سنة، وأنا أجاهد هذه الحياة التي أحاطت بي منذ ولدت، وأبيت أن أقبلها على علاّتها، لأني منذ بدأت أعقل ما أنا فيه، رأيتني أنشأ في قطيع يُساق إلى المجزرة، وهو فرح بها نشوان: رأيت مجتمعًا يتمزق وهو ينشق عن كل تاريخه الماضي، بخطاطيف قد علقت بلحمه، تجذبه من هنا وهناك، لا تكاد تدركها الأبصار، ولكنها على ذلك خطاطيف، كنت أجد مغرزها في لحمي، وأحس بجذبها في وجداني، يومئذ فزعت فزعًا لا يطيق القلم أن يصوره في أسطر».

وعندما نعيد القراءة لنعي ما تحمل الكلمات القليلة التي تقول لنا الحقيقة مجردة قاسية بلا مواربة ولا تورية، نجد مجتمعًا انقسم إلى فريقين:

أحدهما: يحمل لواءه أستاذنا محمود محمد شاكر وهم أصحاب الرسالة.

والثاني: وهو الغالب الأعظم فرح نشوان بما هو مسوق إليه ولا يزال.

والمجتمع ما زال أيضًا يتمزق وينشق عن تاريخه الماضي، إلا بقايا أوصال تأبّت على التمزق، بفضل الجهود الجبارة والخارقة لأصحاب الرسالة، الذين يحافظون على حياة هذه الأمة، وعلى النبض الأخير، لا يألون في ذلك جهدًا.

إن الكاتب - صاحب الرسالة - يكتب ليعبّر عن العقيدة السليمة، ويشارك في واجب الدعوة إلى الله، ويحفظ الأدب من التمزق والجري وراء الغرب، ويصون الأمة من الغزو الداهم.

وحتى يُتاح لهذا الكاتب أن يكون له التأثير في تغيير المجتمع نحو المستقبل الأفضل والمجتمع الفاضل، لابد أن يكون حارس البوابة الإعلامية قد نشأ على النهج الإسلامي.

وعسى أن يكون ذلك قريبًا.

كيميائي/ محمود محمود عبده عمر
شارع شاكر، عزبة عبدالرازق
المنصورة، مصر.



على نوعين

السباحة في بحر الظلمات

د. حلمي محمد القاعود

قرأت قبل مدة عرضًا لكتاب من الكتب كتبه أستاذ جامعي معروف، آملاً أن أجد فيما كتب إضافة جديدة أو رأيًا جديدًا أو وقفة مع المؤلف تغني موضوع الكتاب، أو على الأقل عرضًا محايدًا يقدم لنا مضمون الكتاب ومحتواه بإيجاز.. لكن المفاجأة أن عارض الكتاب أسرف في أحكامه العامة ضد الحياة الثقافية وضد من لا يشاطرونه آراءه وتصوُّراته، وذهب إلى أبعد من ذلك حين وصف هؤلاء بالأقزام والصغار والجهلة وأشباه المثقفين..الخ!

في الوقت ذاته رأيته يسبغ على المؤلف والشخصية موضوع الكتاب كثيرا من الصفات التي تتجاوز حدود المعقول والمنقول، تكريمًا وتعظيمًا وتفخيمًا!

إن عارض الكتاب يتطرف في مواقفه بين المدح والقدح، دون برهان علمي أو سند موضوعي، وهو ما يعطي دليلاً خطيرًا على بعض الحالات في واقعنا الثقافي، وخاصة إذا كانت هذه الحالة تمثل واقعًا أكاديميًا وصل إلى أعلى الدرجات العلمية، ويفترض فيها التزام منهج يقوم على الدليل والبرهان والحجة والإقناع العقلي.

إن الأستاذ الجامعي الأكاديمي قدوة لطلابه في المرحلة الجامعية والدراسات العليا على السواء، فضلاً عن القارئ العادي الذي يتأثر بما يقرأ ويطالع تأثرًا بالغًا، وإذا جاز لبعضهم، وخاصة في المجالات السياسية أو الحزبية، أن يستخدموا من الأساليب ما يجذب الناس إليهم، أو ينفّرهم من فكرة ما، فالرجل الأكاديمي على العكس من ذلك، يتتبع الظواهر، ويقيس، ويتقصّى، ويدلل، ويبرهن بطريقة هادئة عاقلة لا تهبط أبدًا إلى درك السِّباب والمهاترات وشتم المخالفين ووصفهم بالأقزام والصغار والجهلة وأشباه المثقفين.

من حقي ومن حق أي إنسان أن يرفض ما لا يقتنع به، مادامت لديه الأسباب والحيثيات التي تسوّغ هذا الرفض، ومن حق الآخرين أن يأخذوا الموقف المضادّ على أن يقدموا الأدلة والبراهين المقنعة.. أما الهجاء أو الإقذاع، فلا مجال له في هذا السياق، لأنه ضد العلم والأخلاق والحياة الثقافية الجادّة التي يحلم بها الكثيرون، بل ضد الجمال أيضا، لأن الهجاء في غير موضعه ومناسبته قُبْحٌ وتوحّشٌ وبدائيةٌ أولى.

إن الحياة الثقافية مملوءة بنماذج رديئة كثيرة، وشكوانا من هذه النماذج لا تعني أن كل من فيها رديء، فهناك النماذج الممتازة التي تحيا بشرف وعفّة، ولا تساوم على قيمها ومبادئها، اختلف الناس معها أو اتفقوا.

ومن ثمّ، فإن هجاء الآخرين لاختلاف التصور أو التوجه، ليس الوسيلة المثلى لإعادة الحياة الثقافية إلى الجدّية والاحترام.

لا ريب أن الشمولية أحدثت في واقعنا الأدبي والثقافي شرخًا واضحًا حين سيطرت النظرية الأحادية في تقويم الأشخاص والأعمال، وجعلت بعضنا لا يرى غير نفسه، ودفعت بالفريق الآخر إلى مطاردة المخالفين تحت دعاوى مختلفة، وهو ما يجعل للآراء المخالفة وقعًا غير مقبول عند الشموليّين وأشباههم.

إن أبسط قواعد المنطق والعلم أن تردّ على الحجة بالحجة، وعلى الدليل بالدليل، وعلى البرهان بالبرهان.. أما أن تشتمني أو تهجوني، فهذا ليس من العلم أو المنطق في شيء.

كانت أمتنا الإسلامية في عهود ازدهارها وحريتها، تقيم المناظرات الثقافية والأدبية في المساجد والقصور ومجالس الخلفاء والولاة ومنتديات الأدب والشعر، ويلتقي الفرقاء من كل مذهب وملّة واتجاه، ويقول كل فريق ما لديه مدعومًا بالدليل والحجة والبرهان، ويخرج الجميع بعد أن يفرغوا ما لديهم، دون أن يتهمهم أحد بالأقزام أو الصغار أو الجهلة أو أشباه المثقفين.

حضارتنا الإسلامية قدمت للعالم أرقى نماذج الحوار واحترام الرأي المخالف، والعقيدة المخالفة، في الوقت الذي كان فيه الأوربّيون يسبحون في بحر الظلمات التي صنعتهاالقرون الوسطى، وللأسف فإن فريقًا منا يريدنا أن نسبح في بحر الظلمات، ولا نستعيد مجدًا قديمًا مضيئًا، ويهدّدنا بقاموس من الشتائم لا يليق بالمكان ولا المكانة.